

هاروكي موراكامي
@ketab_n
Follow Me
14.5.2014
ما بعد الظلام
رواية
المركز الثقافي العربي

هاروكي موراكامي

ما بعد الظلام

رواية

ترجمة

أنور الشامي



هاروكي موراكامي

ما بعد الظلام

العنوان الأصلي للرواية:

Haruki Murakami

After Dark

الكتاب

ما بعد الظلام

تأليف

هاروكي موراكامي

ترجمة

أنور الشامي

الطبعة

الأولى، 2013

الترقيم الدولي:

ISBN: 978-9953-68-647-9

الناشر

المركز الثقافي العربي

الدار البيضاء ـ المغرب

ص. ب: 4006 (سيدنا)

42 الشارع الملكي (الأحباس)

هاتف: 0522 303339 ـ 0522 307651

فاكس: 305726 522 212+

Email: markaz.casablanca@gmail.com

بيروت ـ لبنان

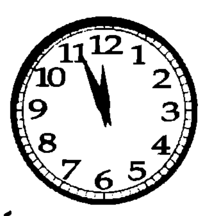
ص. ب: 5158 ـ 113 الحمراء

شارع جاندارك ـ بناية المقدسي

هاتف: 01 750507 ـ 01 352826

فاكس: 343701 1 961+

Email: cca_casa_bey@yahoo.com



الساعة 56 : 11 ليلاً

1

عيون ترصد المدينة من الجو.

بنظرة طائرٍ ليلٍ يحلق عالياً، نُلقي نظرة شاملة على المشهد من الجو. في نطاق الرؤية الواسع، تبدو المدينة شبيهة بكائنٍ عملاقٍ - أو تبدو أكثر شبهاً بكيانٍ جَماعي واحد تشكِّله كثيرٌ من الكائنات الحية المتشابكة فيما بينها. هناك عددٌ لا حصر له من الشرايين التي تمتد لتصل إلى أطراف جسده المراوغ، فتزوِّده دائماً بحاجته من خلايا الدم الجديدة، وتبعث له ببيانات جديدة فيما تستردّ القديمة، وترسل له مواد استهلاكية جديدة فيما تقوم بجمع القديمة، وتبثّ تناقضات جديدة فيما تجمع تلك القديمة. على إيقاع نبضه، ترتعش أجزاء الجسم جميعاً ثم تتوهج وتتلوى. يوشك الليل أن ينتصف، ورغم أن ذروة النشاط اليومي قد زالت، إلا أن الوظائف الأساسية التي تُديم الحياة تتواصل دون أدنى تأثير، فتُخرج صوتاً عميقاً ومتصلاً لأنين المدينة، إنه صوت رتيب لا يعلو ولا ينخفض، ولكنه يُنذر بالشرور.

يتجه خط رؤيتنا نحو منطقة شديدة السطوع، نركز بؤرة الرؤية هناك، ثم نهبط نحوها في صمت - فإذا بها بحر من أضواء النيون. إنها منطقة يسمونها «حي البهجة» "amusement district". مع اقتراب الليل من منتصفه، تنطفئ الشاشات الرقمية العملاقة المثبتة على جوانب البنايات، لكن مكبِّرات الصوت التي تحتل واجهات المتاجر ما زالت تُصدر أصواتاً صاخبة من موسيقى الهيب هوب. يوجد مركز ألعاب كبير يعجّ بالشباب؛ وتصدر عنه أصواتٌ إلكترونية مجنونة؛ وهناك مجموعة من طلبة الجامعة يغادرون إحدى الحانات؛ فيما تظهر فتيات في سن المراهقة بشعورهن اللامعة المصبوغة وبسيقانهن النضرة وقد برزت من تنوراتهن بالغة القِصر؛ فيما يهرول رجال من ذوي البذّات السوداء عبر خطوط المرور المائلة في الشوارع حتى يلحقوا بآخر القطارات المتجهة صوب ضواحي المدينة. حتى في هذه الساعة المتأخرة، يظلّ باعة الرصيف في نادي كارأوكي ينادون على الزبائن. ثمة عربة سوداء لامعة تجول في الشارع وكأنها تُجري تقييماً لحالته عبر نوافذها المصقولة باللون الأسود. تشبه العربة كائناً من كائنات أعماق البحار المعروفة بجلدها وأعضائها غير المألوفة. يجول شرطيان خلال الشارع فيما ترتسم على وجهيهما علامات التوتر، لكن لا يبدو أن أحداً يلحظهما. في مثل هذا الوقت من الليل يُطبّق الحي قواعده الخاصة. الوقت هو أواخر الخريف. ليس هناك رياح، إلا أن الهواء يحمل لفحة من البرد. يوشك تاريخ اليوم أن يتغير.

* * *

نحن الآن داخل مطعم دينيز.

الإضاءة ليست ساطعة، لكنها كافية؛ التصميم الداخلي وأدوات المائدة لا تعبِّر عن هوية المكان؛ أما الأرضية فقد صُمِّمت بكل تفاصيلها من قبل مهندسي الإدارة؛ تنبعث في أرجاء المكان موسيقى مملّة؛ موظفو المطعم مدربون جيداً للتعامل مع الزبائن بحسب ما تُمليه القواعد: «مرحباً بك في مطعم دينيز». كل ما في المطعم مجهول الهوية ويمكن تبادله. المقاعد كلها مشغولة تقريباً.

بعد معاينة سريعة داخل المطعم، تستقرّ أعيننا على فتاة تجلس بجوار النافذة الأمامية. لماذا هي بالذات؟ ولماذا ليس أحداً غيرها؟ سؤال يصعب الجواب عنه. ولكنها ولسبب ما، تلفت انتباهنا بشكل طبيعي للغاية. فهي تجلس على مائدة مخصصة لأربعة أفراد، وتنهمك في قراءة كتاب. ترتدي سترة ذات قلنسوة، وبنطالاً من الجينز وحذاء خفيفاً أصفر بهت لونه من أثر الغسيل المتكرر. وعلى ظهر الكرسي المجاور لها كانت تعلق سترة شبابية. وهذه أيضاً لم تكن جديدة البتة. يُرجَّح أنها في السنة الأولى من الجامعة، وإن كان بعض عبق المدرسة لم يزل عالقاً بها. شعرها ذو ملمس أملس ولون أسود ومنسدل فوق كتفيها. لا تضع من مساحيق الزينة إلا القليل، ولا ترتدي من الحلي أي شيء. وجهها ضئيل ونحيف. ترتدي نظارة ذات إطار أسود. ومن حين لآخر، تَعقِد ما بين حاجبيها ملقية نظرة جادة.

بين يديها كتاب تقرأه بتركيز بالغ. نادراً ما ترفع عينيها عن صفحاته - يبدو كتاباً ذا حجم سميك وغلاف مُقوَّى. ثمة ورقة

تجليد تحجب عنوانه. تشي ملامحها المستغرقة بالكتاب بأنه ربما يحوي موضوعاً معقداً. إنها لا تتصفحه وإنما يبدو وكأنها تلتهمه وتمضغه سطراً سطراً.

فوق مائدتها وُضع فنجان من القهوة ومنفضة سجائر. وبجوار منفضة السجائر، وضعت قبعة بيسبول داكنة الزرقة وتحمل شعار فريق بوسطن ريد سوكس 'B'. ربما تكون القبعة أكبر قليلاً بالنسبة إلى حجم رأسها. على الكرسي المجاور لها، تضع حقيبة كتف جلدية بنية اللون؛ تبدو منتفخة كما لو أن محتوياتها قد دُسَّت بداخلها دفعة واحدة. تمدّ يدها على فواصل زمنية منتظمة لتتناول فنجان القهوة، لكن لا يبدو أنها تستمتع بمذاقها. فهي تحتسيها لأن أمامها فنجاناً من القهوة وحسب، فذلك هو دورها كزبون. من حين إلى آخر، تضع سيجارة بين شفتيها وتشعلها بقداحة بلاستيكية. تُضيّق من حدقتي عينيها، وتنفث نفخة هادئة من الدخان في الهواء، ثم تضع السيجارة في المنفضة، وعندئذٍ، وكأنها تهدئ من حدة صداع قادم، تدلِّك جانبي رأسها بأطراف أصابعها.

ثمة موسيقى تُعزف بصوت هادئ هي «اذهبي بعيداً أيتها الطفلة الصغيرة» لبيرسي فيث Percy Faith وفرقته الأوركسترالية. بطبيعة الحال، لا أحد يُنصت. يوجد أطياف كثيرة ومختلفة من الناس ينهمكون في تناول طعامهم واحتساء قهوتهم في هذا الهزيع المتأخر من الليل في مطعم دينيز، ولكنها هي الفتاة الوحيدة التي تجلس بمفردها. من حين إلى آخر ترفع وجهها عن كتابها لتنظر في ساعتها، فيما يبدو أنها مستاءة من المرور البطيء للوقت. وهي لا

تفعل ذلك لأنها في انتظار أي أحد؛ إذ لا تتلفت حولها في المطعم أو ترسل بناظريها إلى الباب الأمامي، بل تنكب على قراءة كتابها وحسب، وتُشعل سيجارة جديدة كلما اقتضى الأمر، وتنقر بأصابعها نقراً خفيفاً على فنجان قهوتها فيما يحدوها أمل بأن يمضي الوقت على نحو أسرع قليلاً. ومن الجلي أنّ الفجر لن يطلع قبل ساعات.

تقطع قراءتها لتلقي نظرة إلى خارج المطعم عبر النافذة. يمكنها عبر هذه النافذة رؤية الشارع المزدحم في الأسفل. حتى في مثل هذا الوقت المتأخر، ما زال في الشارع إضاءة كافية وما زال يغصّ بأناس يغدون ويروحون - أناس لديهم وُجهة يقصدونها وآخرون لا يلوون على شيء، وأناس لديهم غاية يمشون إليها وآخرون يمشون بلا غاية؛ أناس يحاولون أن يستوقفوا عقارب الزمن وآخرون يستحثونها على الإسراع. بعد نظرة طويلة وثابتة على الشارع بمشهده المضطرب، تحبس أنفاسها للحظة ثم تدير وجهها ثانية نحو كتابها. تتناول فنجان قهوتها. لم تنفث دخان سيجارتها سوى مرتين أو ثلاث، ما جعل سيجارتها تتحول إلى عمود من الرماد وقد أخذ شكلاً متقناً في منفضة السجائر.

ينفتح الباب الكهربائي ليدلف منه شاب طويل القوام ونحيل البنيان. يرتدي معطفاً جلدياً قصيراً أسود اللون، وبنطالاً أخضر ذا ملمس مُجعد، وينتعل حذاء عمل بني اللون. شعره طويل ولكنه متشابك بعض الشيء. أغلب الظن أنه لم يتسنّ له غسله لبضعة

أيام، أو وربما خرج لتوّه من إحدى الغابات في مكان ما، أو لعلَّه يجد راحة أكبر عندما يكون أشعث الشعر. تجعله نحافته يبدو وكأنه يعاني سوء تغذية أكثر من كونه ذا قوام رشيق. تتدلى من كتفه حقيبة كبيرة سوداء اللون يضع بها آلة موسيقية ويحمل معه أيضاً جراباً ظهرت عليه آثار الاتّساخ. يبدو أنه محشوّ بمدونات موسيقية وبضعة أشياء أخرى متنوعة. توجد على خده الأيمن ندبة تلفت إليه الأنظار. إنها ندبة صغيرة ولكنها تبدو عميقة كما لو أن اللحم قد أُجتز منها بآلة حادة. ليس به شيء آخر يلفت النظر. إنه شاب عادي جداً توحي سيماؤه بأنه كلبٌ ضال لطيف ولكنه ليس متّقد الذكاء.

تُرشده النادلة إلى مقعدٍ في آخر المطعم. يمر بجوار مائدة الفتاة الممسكة بالكتاب، لكنه وبعد أن تجاوزها ببضع خطوات، يتوقف فجأة وكأن فكرة ما قد خطرت له. يبدأ في الرجوع ببطء للوراء وكأنه في فيلم يدار شريطه للخلف، ويتوقف عند طاولتها. يميل برأسه ويمعن النظر في وجهها. يبدو وكأنه يحاول أن يتذكر شيئاً ما، ويُمضي وقتاً طويلاً حتى يتذكره. يبدو أنه من نوعية الأشخاص الذين يستغرقون وقتاً طويلاً في عمل أي شيء.

تستشعر الفتاة وجوده، فترفع وجهها عن الكتاب. تُضيق عينيها وتنظر نحو الرجل الذي يقف أمام طاولتها. تجده طويل القوام حتى يهيّأ لها أنها تنظر فوق رأسها نحو شيء بعيد. تلتقي أعينهما معاً. يبتسم لها الشاب. ابتسامة يقصد من ورائها أنه لا يُضمر لها سوءاً.

* * *

يقول: «معذرة إن أخطأت، ولكن ألستِ الشقيقة الصغرى لإيري أساي؟»

لم تُحر جواباً. راحت تحدق فيه وكأنها تنظر إلى شجرة كثيفة الأغصان في ركن من أركان حديقة.

يستطرد: «لقد التقينا ذات مرة. اسمك هو... يوري... اسم يشبه اسم شقيقتك إيري فيما عدا المقطع الأول منه»

دون أن تُنزل تحديقتها الحذرة عنه، تصححه سريعاً: «ماري».

يرفع إصبع سبابته ويقول: «ذلك هو! ماري. إيري وماري. اختلاف في المقطع الأول. يبدو أنك لا تذكرينني، أليس كذلك؟»

تُميل ماري رأسها قليلاً. وهي إمالة تحتمل الجواب بنعم ولا في آنٍ. تخلع نظارتها وتضعها بجانب فنجان القهوة. تتراجع النادلة خطوات إلى الوراء وتسأل: «هل أنتما معاً؟»

يجيب: «آه. نحن معاً»

تضع قائمة طعامه على الطاولة. يسحب المقعد المواجه لماري ثم يضع حقيبته على المقعد المجاور له. بعد لحظة يتذكر أن يسأل ماري: «هل تمانعين إن جلست هنا لبعض الوقت؟ سوف أغادر فور انتهائي من تناول الطعام. فأنا مرتبط بموعد مع شخص ما».

تعبس ماري في وجهه قليلاً: «ألم يكن حري بك أن تقول هذا قبل أن تجلس فعلاً؟»

يفكر في معنى كلماتها: «تقصدين قولي بأني مرتبط بموعد مع شخص ما؟»

ماري: «لا. . .».

- آه، تقصدين الناحية الذوقية.

- آه. نعم.

يومئ برأسه. «معك حق. كان ينبغي أن أسألك أولاً إن كنت لا تمانعين أن أجلس إلى طاولتك. اعذريني. ولكن المكان مزدحم، ولن أضايقك طويلاً. هل تمانعين؟»

تهز ماري كتفيها قليلاً وكأنها تقول «كما تشاء». يفتح قائمة الطعام ويتطلّع بها.

يسألها: «هل انتهيتِ من طعامك؟»

- لست بجائعة.

بوجه عابس، يتطلّع في قائمة الطعام، ثم يطويها بحركة مفاجئة ويضعها على الطاولة. ويقول: «في واقع الأمر ليس عليّ أن أفتح القائمة. إنني أتظاهر بذلك وحسب».

لم تعلق ماري بشيء.

- لا أتناول هنا سوى سلطة الدجاج. أبداً. إن سألتِني، فإن الشيء الوحيد الذي يستحق أن يتناوله المرء في مطعم دينيز هو سلطة الدجاج. لقد سبق أن جربت كل ما تضمّه هذه القائمة تقريباً من أصناف. هل جربتِ سلطة الدجاج لديهم؟

تهز ماري رأسها.

- إنها ليست سيئة. سلطة الدجاج والخبز المُحمص. ذلك هو كل ما أتناوله في مطعم دينيز.

- لماذا إذن تعبأ بالنظر في القائمة؟

بإصبع يده الصغير يمسح على تجاعيد ظاهرة في زاوية عينيه. «كنت أطالعها وحسب. ألن يكون مُحزناً جداً أن أدخل مطعم دينيز وأطلب سلطة الدجاج دون النظر في القائمة؟ إن ذلك سيكون وكأنني أخبر العالم كله، بأنني آتي إلى مطعم دينيز لأنني أحب سلطة الدجاج. لذلك فإنني دائماً ما أفتح القائمة وأتظاهر بأنني اخترت سلطة الدجاج بعد أن فكرت في أصناف أخرى».

تحضر النادلة له كوباً من الماء فيطلب سلطة دجاج وخبزاً محمصاً. يقول بثقة: «اجعليه محمصاً جداً. حتى يكاد يحترق». يطلب أيضاً قهوة لما بعد الطعام. تسجل النادلة طلبه على جهاز تمسكه بيدها ثم تؤكد الطلب بقراءته له بصوت عالٍ.

يقول وهو يشير إلى فنجان ماري: «وأعتقد أن الآنسة سوف تحتاج إلى ملء فنجانها مرة أخرى».

- أشكرك سيدي. سوف أُحضر القهوة حالاً.

يتابعها بعينيه وهي ذاهبة.

يسأل ماري: «ألا تحبين الدجاج؟»

تقول ماري: «ليست مسألة أحبه أو لا أحبه. ولكن لدي سبب يجعلني لا أتناوله في الخارج».

- ولما لا؟

- لا سيما الدجاج الذي يقدَّم في مطعم ينتمي إلى سلسلة مطاعم - إنه مليء بعقاقير غريبة مثل هرمونات النمو وغيرها. هذا الدجاج يُحبس في أقفاص ضيقة مظلمة ثم يُحقن بجميع هذه الحقن، كما أن غذاءه مليءُ بمواد كيميائية، ويوضع أيضاً على أحزمة نقل قبل أن تُفصل رؤوسه ثم يُنتف ريشه.

يقول مبتسماً وقد زادت التجاعيد الظاهرة في زوايا عينيه: «ماذا!! سلطة دجاج على طريقة جورج أورويل!»

تُضيِّق ماري حدقتَي عينيها وتنظر إليه. لا يمكنها أن تحدِّد ما إن كان يستهزئ بها.

يقول: «على أية حال، فإن سلطة الدجاج هنا ليست سيئة. حقاً».

وكأنه تذكَّر فجأة أنه يرتديه، يقوم بخلع معطفه الجلدي ثم يطويه ويضعه على المقعد المجاور له. يفرك يديه معاً فوق الطاولة. يرتدي كنزة خضراء اللون برقبة دائرية وخشنة الحياكة. كما هو شَعره، كان صوف الكنزة متشابكاً في بعض الأماكن. من الواضح أنه ليس من نوعية الأشخاص الذين يُعتنون كثيراً بمظهرهم.

- تقابلنا في حمام سباحة بأحد الفنادق في شيناغاوا. قبل عامين. هل تذكرين؟

- تقريباً.

- كان صديقي هناك، وشقيقتك كانت هناك، وأنت كنت هناك، وأنا كنت هناك. أربعتنا معاً. كنا قد التحقنا لتوّنا بالكلية،

وأنا على يقين من أنك كنت في السنة الثانية من المدرسة الثانوية. أليس كذلك؟

تومئ ماري دون أن تبدي كبير اهتمام.

- كان صديقي يواعد شقيقتك على نحوٍ ما. لقد دعاني مرة في مواعدة ثنائية. حجز أربعة تذاكر إلى حمام السباحة، وأختك اصطحبتك، لكنك وقتها مع ذلك لم تتفوهي بكلمة. لقد أمضيت الوقت كله في الحمام، تسبحين مثل دلفين صغير. ذهبنا إلى غرفة الشاي في الفندق لتناول آيس كريم بعد ذلك. وطلبتِ آيس كريم بالخوخ والتوت.

تقطّب ماري وجهها. «ما الذي يجعلك تتذكر أشياء مثل هذه؟»

- أنا لم أواعد فتاة كانت تأكل آيس كريم بالخوخ والتوت من قبل. وكنتِ جذّابة بطبيعة الحال.

تنظر إليه ماري مشدوهة. «كذاب. لقد كنت تحدق في شقيقتي طول الوقت».

- أنا؟

تجيب ماري بالصمت.

- ربما ذلك. لسبب ما أتذكر أن البكيني الذي كانت ترتديه كان صغيراً للغاية.

تسحب ماري سيجارة، وتضعها بين شفتيها، ثم تشعلها بقدّاحتها.

- دعيني أخبرك شيئاً. أنا لا أحاول أن أدافع عن مطعم دينيز

أو أي شيء، ولكني متأكد أن تدخينك علبة كاملة من السجائر هو أسوأ بكثير من تناولك لطبق من سلطة الدجاج التي تجدين غضاضة في تناولها. ألا تعتقدين ذلك؟

تتجاهل ماري سؤاله.

- كانت ثمة فتاة أخرى يُفترض أن تذهب مع شقيقتي في تلك المرة، ولكنها مرضت في آخر لحظة، فأرغمتني شقيقتي على مرافقتها. حتى لا ينقص العدد عن أربعة.

- إذن لقد كنت في حالة مزاجية سيئة.

- إنني أتذكرك رغم ذلك.

- حقاً؟

تضع ماري إصبعها فوق وجنتها اليمنى.

يلمس الشاب الندبة العميقة على خده. «أوه، هذه. عندما كنت طفلاً، كنت أركب دراجتي سريعاً ولم أستطع أن أنعطف بها عند سفح التل. بوصة واحدة وكنت سوف أفقد عيني اليمنى. كما تشوّهت حلمة أذني أيضاً. هل تريدين رؤيتها؟»

تقطب ماري جبينها وتهزّ رأسها.

تجلب النادلة سلطة الدجاج والخبز إلى المائدة. تصب قهوة جديدة في فنجان ماري وتتحقق من أنها جلبت كل ما طُلب إلى الطاولة. يتناول سكينه وشوكته، وبحركات مدرَّبة، يبدأ في تناوله لسلطة الدجاج. ثم يمسك بقطعة من الخبز ويحدق فيها، ويعقد حاجبيه.

- مهما صرخت بهم حتى يجعلوا خبزي محمَّصاً قدر

الإمكان، لم يحدث أن وجدته مرة واحدة على النحو الذي أريده. لا أستطيع أن أتخيل سبباً لذلك. كيف يحدث ذلك في ظلّ الجدية اليابانية وثقافة التكنولوجيا الفائقة ومبادئ السوق التي تتبعها سلسلة مطاعم دينيز دائماً، فلا ينبغي أن يكون صعباً أن أحصل على بعض الخبز المحمص، ألا تعتقدين ذلك؟ إذن، لماذا لا يستطيعون ذلك؟ ما قيمة حضارة لا يمكنها أن تُحمِّص قطعة من الخبز حسب الطلب؟

لا تتابعه ماري في ذلك.

يقول الشاب كما لو كان يتحدث إلى نفسه: «ولكن على أية حال، فقد كانت شقيقتك فائقة الجمال».

تنظر ماري لأعلى. «لماذا تقول ذلك في الزمن الماضي؟»

- لماذا . . . ؟ أعني، أنني أتحدث عن شيء حدث منذ زمن طويل، لذلك استخدمت الزمن الماضي، هذا هو كل ما في الأمر. إنني لا أقول إنها لم تعد جميلة الآن أو أي شيء.

- أعتقد أنها ما زالت جميلة.

- حسناً، هذا ممتاز. ولكن حتى أكون صادقاً، فأنا لا أعرف إيري أساي معرفة جيدة. كنا في فصل دراسي واحد لمدة سنة في المدرسة الثانوية، ولكني بالكاد كنت أتحدث معها. ربما سأكون أكثر دقة إن قلت إنها لم تكن تعيرني أدنى اهتمام.

- إنك ما زلت مهتماً بها، أليس كذلك؟

يوقف الشاب سكينه وشوكته في الهواء ويفكر لبرهة. «مهتماً. اممم. ربما كنوع من الفضول الفكري».

- الفضول الفكري؟

- نعم، فضول من قبيل كيف تبدو مواعدة فتاة في جمال إيري أساي؟ أقصد أنها فتاةِ غلاف بحق.

- هل تسمي ذلك فضولاً فكرياً؟

- نعم، شيء من هذا القبيل

- ولكن في ذلك الحين، كان صديقُك هو من يخرج معها، وأنت كنت الشخص الآخر في مواعدة ثنائية.

يومئ بفم مليء بالطعام، ويأخذ عندئذٍ كل ما يحتاجه من وقت لمضغ الطعام.

- أنا شخص بسيط. والأضواء لا تناسبني. إنني أشبه طبقاً جانبياً مثل سلطة الكرنب أو البطاطس المقلية! مطرب احتياطي.

- ولهذا السبب واعدتني أنا.

- ولكن مع ذلك فقد كنت جذابة للغاية.

- هل ثمة شيء في شخصيتك يجعلك تفضل استخدام الزمن الماضي؟

يبتسم الرجل. «لا، كنت أود أن أعبر كيف كان شعوري آنذاك وحسب من منظور الحاضر. لقد كنت شديدة الجمال. حقاً. لكنكِ بالكاد كنت تتحدثين إليّ مع ذلك».

وضع سكينه وشوكته فوق طبقه، وشرب بعض الماء، ومسح فمه بمنديل من الورق. «إذن وبينما كنت تسبحين، سألتُ إيري أساي، «لماذا ترفض شقيقتك الصغرى الحديث معي؟ هل هناك عيب فيّ؟»»

- ماذا قالت لك؟

- قالت إنكِ لا تبادرين بالكلام مع أحد أبداً. وأنكِ مختلفة بعض الشيء، وأنك ورغم كونك يابانية فإنك تتحدثين الصينية أكثر من اليابانية في أغلب الأحوال. إذن لا ينبغي لي أن أقلق. لم تكن تعتقد أن ثمة عيب معين يخصني.

بصمت تطفئ ماري سيجارتها في منفضة السجائر.

- هذا صحيح، أليس كذلك؟ لم يكن هناك عيب معين يتعلق بي، أليس كذلك؟

أطرقت ماري لبرهة. «لا أتذكر كل ذلك جيداً، ولكني لا أظن أنه كان ثمة عيب معين يتعلق بك».

- حسناً. كنت قلقاً. بالطبع، لدي بضعة العيوب، ولكن تلك الأشياء هي مشكلات أحتفظ بصرامة بها داخلي. وأكره أن أراها مكشوفة لأي أحد آخر. وخصوصاً في حمام سباحة في الصيف.

تنظر إليه ماري ثانية وكأنها تؤكد له دقة تعبيره. «لا أعتقد أني كنت على علم بأي مشكلة تحتفظ بها داخلك».

- هذا مريح لي.

ماري: «لكني لا أستطيع تذكر اسمك مع ذلك».

- اسمي؟

- اسمك.

يهز رأسه. «لا مشكلة إن نسيتِ اسمي. إنه اسم عادي جداً مثل أي اسم. حتى أنا نفسي أرغب أحياناً في نسيانه، لكن ليس

هيناً، رغم ذلك، أن يُنسى المرء اسمه. إنني دائماً أنسى أسماء الآخرين، بل حتى تلك التي يتعين عليّ تذكّرها».

يلقي بنظرة من النافذة وكأنه يبحث عن شيء ما كان له أن يفقده. ثم يستدير ناحية ماري مرة أخرى.

- هناك شيء واحد كان يحيرني، وهو لماذا لم تنزل شقيقتك إلى حمام السباحة تلك المرة؟ كان يوماً حاراً، والحمام كان رائعاً حقاً.

تنظر إليه ماري كما لو كانت ستقول، **هل تعني أنك لا تفهم ذلك أيضاً؟** «لم تكن تريد لمساحيق زينتها أن تزول. هذا أمر في غاية الوضوح. ولا يمكنك حقاً أن تسبح في بذلة سباحة مثل تلك».

يقول: «هل الأمر كذلك؟ أمر مدهش أن يكون هناك شقيقتان مختلفتان إلى هذا الحد».

- إننا نعيش حياتين مختلفتين.

يفكر في كلماتها لبضع دقائق ثم يقول: «إنني أسأل نفسي كيف سينتهي بنا الأمر ونحن نعيش هذه الحيوات المختلفة. خذي شقيقتك وأنت مثالاً. لقد ولدتما لنفس الأبوين، ونشأتما في الأسرة نفسها، وكلتاكما فتاتان. كيف انتهى بكما المطاف حتى تكونان على مثل هذا الاختلاف الواضح في الشخصية؟ عند أي نقطة افترقتما كلٌ في طريقها؟ واحدة ترتدي بكيني مثل علم سيمافور صغير وترقد بجوار حمام سباحة وتبدو مثيرة، والأخرى ترتدي بذلة سباحة المدرسة وتسبح بكل قوتها مثل دلفين..»

تنظر ماري إليه. «هل تريد مني أن أشرح لك ذلك هنا والآن في خمس وعشرين كلمة أو أقل فيما أنت تتناول سلطة الدجاج؟»

يهز رأسه. «لا، كنت فقط أعبِّر عمّا خطر ببالي بدافعٍ من فضول أو بأي دافع آخر. ليس عليك أن تجيبي. كنت أتساءل مع نفسي وحسب».

يبدأ في التعامل مع سلطة الدجاج مرة أخرى، لكنه يغير رأيه ثم يستطرد:

«ليس لدي أشقاء أو شقيقات، لذا كنت أريد أن أعرف فحسب: إلى أي مدى يتشابه الأشقاء معاً، وفي ما يختلفون؟»

تظلّ ماري صامتة فيما يحدق ذلك الشاب بتأمل في نقطةٍ ما في الفضاء فوق الطبق وهو ممسك بالسكين والشوكة.

ثم يقول: «قرأت ذات مرة قصة حول ثلاثة أشقاء قذفهم الموج على جزيرة في هاواي. إنها أسطورة. أسطورة قديمة. قرأتها عندما كنت طفلاً، لذا من المرجّح أنني لا أتذكّرها بالضبط، ولكنها تسير على هذا المنوال. ثلاثة أشقاء نزلوا الماء للصيد ثم عَلِقوا في عاصفة. انجرف مركبهم وسط المحيط لمدة طويلة حتى قذفهم الموج على شاطئ جزيرة غير مأهولة. كانت جزيرة جميلة وتنمو عليها أشجار جوز الهند وتنوء أشجارها بالفاكهة، ويتوسط كل ذلك جبل مرتفع وضخم. في الليلة التي وصلوا فيها هناك، تراءى لهم إله في أحلامهم وقال: «سوف تجدون بعد مسافة قليلة من هذا الشاطئ ثلاثة صخور مستديرة وكبيرة. أريد من كل منكم أن يدفع صخرته لأبعد مسافة يستطيعها. حيثما تتوقفون عن دفع

الصخرة سيكون هو مكانكم الذي ستعيشون فيه. كلما ارتفعت لأعلى، سوف يمكنك من خلال بيتك رؤية المزيد من العالم. الأمر كله يعود إليكم فيما يخصّ المدى الذي تريدون أن تدفعوا صخرتكم إليه».

يأخذ الشاب رشفة من الماء ويتوقف لبرهة. تبدو ماري وقد تململت، ولكنها تصغي بانتباه.

يسألها: «هل تتابعين حتى الآن؟»

تومئ ماري.

- هل تريدين سماع البقية؟ إذا كنت غير مهتمة، فيمكنني أن أتوقف.

- إذا لم تكن طويلة جداً.

- لا، إنها ليست طويلة جداً. إنها قصة بسيطة للغاية.

يأخذ رشفة أخرى من الماء ويتابع قصته:

«إذن وجد الأشقاء الثلاثة صخوراً ثلاث على الشاطئ تماماً كما أخبرهم الإله. وقد بدأوا يدفعونها كما أمرهم الإله. ولأن هذه الصخور كانت ضخمة وثقيلة، فقد كانت دحرجتها أمراً صعباً، وكان دفعها إلى أعلى منحدر يستلزم جهداً هائلاً. توقف الشقيق الأصغر أولاً. وقال: «إخواني، هذا المكان يكفيني. إنه قريب من الشاطئ. ويمكنني أن اصطاد سمكاً منه. وفيه كلّ ما أحتاجه لمواصلة العيش هنا. لا يهمني إن كنت لا أستطيع رؤية الكثير من العالم من هنا». واصل شقيقاه الآخران الصعود، لكنهما وبينما كانا في وسط المسافة نحو أعلى الجبل، إذا بالشقيق الثاني يتوقف.

ويقول: «أخي، هذا المكان يكفيني. يوجد كثير من الفاكهة هنا، وفيه كل ما أحتاجه لمواصلة العيش. لا يهمني إن كنت لا أستطيع رؤية الكثير من العالم من هنا». أما الشقيق الأكبر فقد تابع صعود الجبل. أصبح ممرّ الصعود يزداد ضيقاً وحدَّة في انحداره، ولكنه لم يتوقف. كانت لديه قدرة هائلة على المثابرة، وكان يريد أن يرى أكبر قدر ممكن من العالم، لذا ظلّ يدفع الصخرة لأعلى بكل ما أوْتي من قوة. ظلَّ على ذلك شهوراً، بالكاد كان يأكل أو يشرب، حتى دفع الصخرة إلى قمّة أعلى الجبل. وهناك توقف ونظر إلى العالم. الآن يمكنه أن يرى من العالم أكثر من أي شخص آخر. هذا هو المكان الذي سيعيش فيه - حيث لم تكن الحشائش تنمو، وحيث لم تكن الطيور تطير. وللحصول على الماء، كان عليه أن يلعق الثلوج والصقيع. وللحصول على الطعام، لم يكن أمامه إلا أن يأكل الطحالب. ولكن الندم لم يتسرب إليه، لأنه أصبح الآن يطلّ على العالم كله. ولذلك، وحتى اليوم، ما زالت صخرته الضخمة المستديرة موجودة فوق قمة ذلك الجبل في إحدى جزر هاواي. هكذا تقول القصة».

ساد صمت.

تسأل ماري: «هل يُفترض أنها تقدم درساً أخلاقياً ما؟»

- «ربما درسين. الأول»، يقول وهو يرفع إصبعه، «هو أن الناس جميعاً مختلفون، بل حتى الأشقاء. والدرس الثاني»، يقول وهو يرفع إصبعاً آخر، «هو أن المرء إن كان يريد حقاً أن يعرف شيئاً ما، فعليه أن يكون مستعداً لدفع الثمن».

تعرض ماري رأيها قائلة: «بالنسبة لي، فإن الحياة التي اختارها الشقيقان الصغيران تنطوي على مغزى أكبر».

يوافقها الرأي: «صحيح. لا أحد يريد أن يقطع الطريق كلها إلى هاواي حتى يقيم هناك وهو يلعق الصقيع ويأكل الطحالب. هذه نقطة لا جدال فيها. ولكن الأخ الأكبر كان لديه فضول يدفعه لأن يرى أكبر قدر ممكن من العالم، وهو فضول لم يستطع كبته، مهما كان الثمن الذي عليه أن يدفعه».

- فضول فكري.

- بالضبط.

أطرقت ماري تفكِّر في ذلك لفترة، فيما كانت تضع إحدى يديها على كتابها السميك.

يسألها: «حتى إن سألتك على نحو شديد التأدب ماذا تقرئين، فإنك لن تخبريني، أليس كذلك؟»

- ربما لا.

- يبدو أنه ثقيل بكل تأكيد.

لا ترد ماري بشيء.

- إنّ ذلك ليس بحجم الكتب التي تحملها معظم الفتيات في حقيباتهن.

تظلّ ماري على صمتها. يتوقف عن الكلام ويتابع تناول وجبته. في هذه المرة، يركِّز انتباهه على سلطة الدجاج ويلتهمها دون أن ينبس بكلمة. يأخذ وقته في مضغ الطعام وشرب الكثير من

الماء. يطلب من النادلة أن تعيد ملء كوب الماء مرات عديدة. يتناول آخر قطعة من الخبز المُحمَّص.

يقول: «حسبما أذكر فإن منزلك يقع خارج منطقة هيوشي بكثير». رفعت النادلة طبقه الفارغ.

تومئ ماري.

- إذن فلن يمكنكِ اللحاق بآخر قطار. أظن أن بإمكانك العودة إلى بيتك بالتاكسي، لأن القطار التالي لن ينطلق قبل صباح الغد.

ماري: «أعرف ذلك جيداً».

- فقط كنت أريد التحقق من ذلك.

- لست أدري أين تسكن، ولكن ألم يفتك آخر قطار أنت أيضاً؟

- لا أسكن بعيداً عن هنا، ولكني أعيش بمفردي، وسوف نظلّ نتدرب طوال الليل. وفضلاً عن ذلك، فإذا تعيَّن علي أن أعود، فإن رفيقي لديه سيارة.

ملَّس بيده على حقيبة أداته الموسيقية كما لو كانت رأس كلبه المفضل.

- الفرقة الموسيقية تتدرب في قبو إحدى البنايات القريبة من هنا. نستطيع هناك أن نحدث الضجيج الذي نريده دون أن يشتكي

أحد. لا نشعر بأي حرارة مع ذلك، فالطقس قارس البرودة في هذا الوقت من السنة.

تنظر ماري نظرة خاطفة نحو حقيبة أداته الموسيقية. «هل هذه ترومبون؟»

- نعم! كيف عرفتِ أنها كذلك؟

- يا للعجب، أنا أعرف ما هو شكل الترومبون.

- حسناً، من المؤكد أنك تعرفين، لكن هناك فتيات كثيرات لا يعرفن أن هذه الآلة موجودة حتى. لا يمكنني لومهن مع ذلك. إن «ميك جاجر» و«إريك كلابتون» لم يصبحا نجمين في موسيقى الروك بالعزف على الترومبون. هل سبق أن رأيتِ «جيمي هندريكس» أو «بيت تاونشند» يحطمان ترومبون على المسرح؟ بالطبع لا. فالشيء الوحيد الذي يحطمانه هو الغيتارات الإلكترونية. لو أنهما هشّما ترومبون، لاستهزأ بهما الجمهور.

- إذن لماذا اخترت الترومبون؟

يضيف بعض القشدة لقهوته التي وصلت لتوها ويرتشف منها رشفة.

- عندما كنت في المدرسة الإعدادية، تصادف أن اشتريت أسطوانة جاز اسمها «بلوز إيت» من متجر أسطوانات مستعملة. أسطوانة من النوع القديم. لا أتذكر لماذا اشتريتها في ذلك الوقت. لم يكن قد سبق لي عندئذٍ أن استمعت إلى موسيقى جاز قط. ولكن على أية حال، كان اللحن الأول على الوجه الأول هو «خمس نقاط بعد الظلام» “Five Spot After Dark” وكان رائعاً.

كان هناك فتى اسمه «كورتيس فولر» يعزف الترومبون عليها. عندما سمعتها لأول مرة، شعرت بأن غشاوة قد زالت عن عيني. تلك هي الحكاية. وذلك هو ما حدث. تلك هي الآلة بالنسبة لي. الترومبون وأنا: كان لقاء رتَّبته الأقدار.

يدندن الشاب الفواصل الموسيقية الثمانية الأولى في «خمس نقاط بعد الظلام».

تقول ماري: «أعرفها».

يبدو مرتبكاً. «هل حقاً تعرفينها؟»

تدندن ماري الفواصل الثمانية التالية.

يسألها: «كيف عرفتِها؟»

- هل معرفتي بذلك تنطوي على مخالفة للقانون؟

يضع فنجانه على الطاولة ويهز رأسه هزاً خفيفاً: «لا. أبداً. ولكن، لا أعرف، إنه أمر مدهش. أن تعرف فتاة في هذه الأيام «خمس نقاط بعد الظلام»... حسناً، على أية حال، لقد جعل «كورتيس فولر» بدني يقشعر، وهذا دفعني لبدء العزف على الترومبون. اقترضت بعض النقود من والدي، واشتريت آلة مستعملة، ثم التحقت بفرقة المدرسة. وفي المدرسة الثانوية بدأتُ أقوم بأعمال مختلفة مع الفرقة. في البدء كنت عازف احتياط مع إحدى فرق موسيقى الروك، شيئاً مثل فرقة «تاور أوف باور». هل تعرفين «تاور أوف باور»؟»

تهز ماري رأسها.

يقول: «لا يهم ذلك. على أية حال، ذلك هو ما اعتدت على

عمله، ولكنني الآن أعزف الجاز وحسب. إن جامعتي لا تشبه المدرسة كثيراً، ولكن لدينا فرقة موسيقية جيدة للغاية».

تأتي النادلة لإعادة ملء كوبه بالماء، ولكنه أشار لها ألا تفعل. ينظر في ساعته. «يجب أن أغادر هذا المكان الآن».

لم تقل ماري شيئاً. لكن وجهها يقول، «**لا أحد يمنعك**»

- بالطبع الجميع يأتون متأخرين.

لا تعلق ماري بشيء على ذلك أيضاً.

- حسناً، بلِّغي تحياتي إلى شقيقتك، هل ستفعلين؟

- ألا يمكنك أن تفعل ذلك بنفسك؟ أنت تعرف رقم هاتفنا. كيف أنقل لها تحياتك؟ ولست أعرف حتى اسمك.

يفكر لبرهة في ذلك. «ماذا لو أنني اتصلت وكانت إيري أساي هي من أجابت، ما الذي يُفترض أن أتحدث فيه معها؟»

- اجعلها تساعدك في التخطيط للقاء للمّ الشمل بين زملاء الدراسة، مثلاً. سوف يخطر ببالك شيء ما.

- لست ثرثاراً. ولم أكن كذلك قط.

- أستطيع القول إنك تحدثتَ كثيراً معي.

- معكِ، يمكنني أن أتحدث، على نحو ما.

تردد كلامه: «معي يمكنك أن تتحدث **على نحو ما**».

- ولكن مع شقيقتي، لا يمكنك أن تتحدث؟

- على الأرجح لا.

- بسبب قدر كبير للغاية من الفضول الفكري؟

يهم بقول شيء، ثم يغير رأيه، ويتوقف. يأخذ نفساً عميقاً. يلتقط الفاتورة من فوق الطاولة ويبدأ في حساب النقود في ذهنه.

- سوف أترك لك حسابي. هل يمكنك أن تدفعي لكلينا لاحقاً؟

تومئ ماري.

ينظر نحوها أولاً ثم ينظر إلى الكتاب الذي بيدها. بعد لحظة من التردد، يقول، «أعرف أن ذلك ليس من شأني، ولكن هل لديك مشكلة؟ مثلاً، مشكلة مع صاحبك أو شجار كبير مع أسرتك؟ أقصد، لأنك تمضين الليل بطوله بمفردك في المدينة..»

ترتدي ماري نظارتها وتحدِّق فيه. يسود بينهما صمت متوتر ورهيب. يرفع يديه نحوها وكأنه يقول لها، **معذرة على تدخلي**.

- من المرجح أنني سأعود هنا في حوالي الخامسة صباحاً لتناول وجبة خفيفة. سأجوع ثانية. آمل أن أراك حينئذٍ.

- لماذا؟

- لست أدري لماذا.

- هل لأنك قلق بشأني؟

- ذلك جزء من السبب.

- هل لأنك تريد مني أن أبلغ شقيقتي تحياتك؟

- ربما يكون ذلك جزءاً ضئيلاً من السبب أيضاً.

- شقيقتي لن تعرف الفرق بين الترومبون ومحمصة الخبز، لكنها مع ذلك يمكنها بنظرة خاطفة أن تميِّز بين علامتَي الموضة «جوسي» و«برادا»، أنا على يقين من ذلك.

يقول مبتسماً: «لكل شخص ميدانه».

يُخرج من جيب معطفه مذكرة ويدون فيها شيئاً بقلم حبر جاف. يقطع الصفحة ثم يسلّمها إليها.

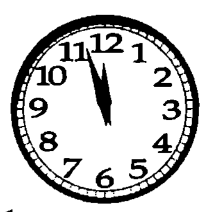
- هذا رقم هاتفي النقال. اتصلي بي في حال صادفك أي شيء. آه، هل لديكِ هاتف نقال؟

تهز ماري رأسها.

يقول وكأنه اندهش لذلك: «لم أكن أظن أن لديك هاتف. كنت أقول في نفسي: أراهن أنها لا تحب الهواتف النقالة».

ينهض الشاب واقفاً ويرتدي معطفه الجلدي. يتناول حقيبة الترومبون، فيما كان أثر ابتسامته ما زال بادياً على وجهه وهو يقول، «أراكِ لاحقاً».

تومئ ماري وهي واجمة. ودون أن تنظر فعلاً في قصاصة الورق، تضعها على الطاولة بجوار الفاتورة. تحبس أنفاسها لبرهة، وتسند ذقنها إلى يدها، ثم تعود إلى كتابها. تُسمَع معزوفة بورت باتشاراش «كذبة أبريل» في أرجاء المطعم بصوت هادئ.



الساعة 57 : 11 ليلاً

2

يخيم الظلام على الغرفة، ولكن عيوننا تتأقلم شيئاً فشيئاً مع هذا الظلام. هناك امرأة ترقد في الفراش، نائمة. امرأة شابة وجميلة: إنها إيري شقيقة ماري. إيري أساي. نستطيع أن نعرف ذلك دون أن يخبرنا أحد به. شعرها منسدل على الوسادة مثل فيضان من الماء الأسود.

نسمح لأنفسنا بأن نصبح زاوية رؤية واحدة، ونراقبها لبعض الوقت. ربما ينبغي القول بأننا نتلصَّص عليها. زاوية الرؤية التي ننظر منها تأخذ شكل كاميرا في الهواء يمكنها أن تتحرك بحرية في الغرفة. في اللحظة الراهنة، توجد الكاميرا فوق السرير مباشرة وتتركز بؤرتها على وجهها النائم. تتغير زاويتنا على فترات زمنية منتظمة انتظام عين تطرف. شفتاها الصغيرتان مضمومتان في خط مستقيم. لأول وهلة، لا نستطيع أن نستنتج أي علامة على التنفس، ولكن مع التحديق بشدة يمكننا أن نكتشف حركة طفيفة - طفيفة للغاية - عند نهاية حنجرتها. إنها تتنفس. ترقد ورأسها على

الوسادة وكأنها تنظر في السقف. لكنها في الحقيقة، لا تنظر إلى أي شيء. رموش عينيها مغمضة مثل زهور الشتاء القارس. نومُها عميق. والأرجح أنها لا تحلم حتى.

بينما نلاحظ إيري أساي، ندرك تدريجياً أن ثمة شيئاً غير عادي يشوب نومها. إنه نوم في غاية النقاء وغاية الكمال. لا توجد عضلة واحدة في وجهها تتحرك، ولا يطرف لها رمش. رقبتها النحيفة البيضاء تحافظ على الهدوء الكثيف لمنتج مصنوع يدوياً. أما ذقنها الصغيرة فتأخذ زاوية حادة مثل بروز أنيق الشكل. حتى في أعمق حالات النعاس، فإن الناس لا يستغرقون في عالم النوم بهذا القدر من العمق، ولا يبلغون هذا الغياب الكامل للوعي.

ولكن الوعي - أو غيابه - لا يهم طالما يتم الحفاظ على الوظائف المسؤولة عن استمرار الحياة. تتواصل نبضات إيري وأنفاسها عند أقل مستوى ممكن. يبدو أن وجودها يرتكز على العتبة الضيقة التي تفصل في سرية وبعناية فائقة ما بين العضوي واللاعضوي، لكن كيف ولماذا حدثت هذه الحالة، هذا هو ما لم يتسن لنا معرفته. إيري أساي مستغرقة في نوم عميق ومتعمد كما لو أن جسدها كله قد غُلِّف بشمع دافئ. لا ريب أنه يوجد شيء هنا لا يتوافق مع الطبيعة. هذا هو كل ما يمكننا استخلاصه حتى الآن.

تنسحب الكاميرا للخلف في بطء حتى تُخرج صورة تغطي الغرفة كلها. ثم تبدأ في ملاحظة التفاصيل وهي تبحث عن أدلة. لا تحظى هذه الغرفة بدرجة عالية من الديكور. وليست بالغرفة التي توحي بذوق ساكنها أو شخصيته. وبدون ملاحظة دقيقة، سيكون

صعباً أن نستنتج أن هذه الغرفة لفتاة. إذ لا تُرى بها دُمى أو لعب محشوة أو أي كماليات أخرى. لا ملصقات أو روزنامات. وعلى الجانب المواجه للنافذة، يوجد مكتب خشبي قديم وكرسي دوار. أما النافذة نفسها فمغطاة بستارة مسدلة. على المكتب يوجد مصباح أسود وجهاز حاسوب محمول جديد (كان مُطفأ). بضعة أقلام حبر جافة وأقلام رصاص موضوعة في كوب.

بجوار الحائط يوجد سرير فردي بإطار خشبي بسيط، وعليه تنام إيري أساي. أغطية السرير ذات لون أبيض ناصع. وفوق الرفوف المثبتة على الحائط المواجه، توجد سماعات استريو ومجموعة من الأسطوانات المدمجة في أغلفتها. وبجانب كل هذه، يوجد هاتف. توجد أيضاً تسريحة شعر وقد ثُبتت بها مرآة. الأشياء الوحيدة الموجودة أمام المرآة هي مرطب شفاه وفرشاة شعر مستديرة. على ذلك الحائط توجد خزانة ملابس متحركة. وباعتبارها اللسمة الجمالية الوحيدة في الغرفة، توجد خمس صور في إطارات صغيرة مصفوفة على رف، وكلها صور لإيري أساي. إنها وحدها في كل الصور. لا توجد أي صور تُظهرها بصحبة صديق أو أحد أفراد عائلتها. إنها صور ذات صلة بعملها فهي تظهرها كعارضة أزياء، وربما نُشرت في مجلات. توجد حقيبة كتب صغيرة، ولكنها تحتوي على عدد صغير من الكتب، معظمها كتب دراسية خاصة بالكلية. وكومة من مجلات الموضة ذات الحجم الكبير. سيكون من الصعب أن نستنتج أنها قارئة نهمة.

تقف زاوية الرؤية لدينا، باعتبارها كاميرا متخيلة، عند هذه

الأشياء وتراوح مكانها في الغرفة. نحن متطفلون مجهولو الهوية وغير مرئيين لأحد. ننظر. نسمع. نسجل الروائح، لكن ليس لنا وجود مادي في المكان، ولا نترك وراءنا أي أثر. نتبع القواعد ذاتها كمسافرين تقليديين عبر الزمن، إذا جاز القول. نراقب، لكننا لا نتدخل. وبصراحة، مع ذلك، فإن ما يمكننا استخلاصه من معلومات حول إيري أساي من خلال هذه الغرفة ليست بالمعلومات الكثيرة على أية حال. إنها تعطي انطباعاً بأن هناك تدابير ماهرة قد اتخذت لإخفاء شخصيتها وهي تدابير تضلل العيون المراقبة.

على مقربة من مقدمة السرير توجد ساعة منبه رقمية تُجدد عرضها للوقت على نحو ثابت ودون أن يصدر عنها أدنى صوت. الآن، الساعة هي الشيء الوحيد في الغرفة الذي يظهر شيئاً يشبه الحركة: إنها كائن ليلي حذر يُدار بالكهرباء. كل رقم أخضر كريستالي يحل محل الآخر، دون أن تلحظه العين البشرية. الوقت الآن هو 11:59 مساء.

بمجرد انتهائها من معاينة التفاصيل الفردية، تنسحب كاميرا زاوية الرؤية على نحو مؤقت وتستكشف الغرفة مرة ثانية. ثم عندئذٍ، وكأنها غير قادرة على أن تتخذ قراراً، تظل على مجال الرؤية الواسع، ويظل خط رؤيتها ثابتاً في مكانه في الوقت الراهن. يسود صمت حافل بالمعاني. أخيراً، ومع ذلك، وكأن خاطراً قد لاح لها فجأة، تستدير الكاميرا نحو جهاز تلفاز يوجد في ركن من أركان الغرفة وتبدأ في الاقتراب منه. جهاز تلفاز أسود اللون من نوع «سوني» ومربع الشكل. الشاشة مظلمة وجامدة تماماً مثلما هو

الوجه الآخر للقمر، لكن يبدو أن الكاميرا قد استشعرت نوعاً من الوجود هناك - أو ربما نوعاً من الإنذار. ودون أن ننبس بكلمة، فإننا نستشعر هذا الوجود أو الإنذار مع الكاميرا وذلك أننا نحدق في الشاشة عندما تقترب منها الكاميرا.

ننتظر. نحبس أنفاسنا ونصغي.

تشير الساعة إلى «00 : 00».

نسمع طقطقة إلكترونية خافتة ونشعر بأثر للحياة يعبر شاشة التلفاز عندما يبدأ في الوميض على نحو لا يكاد يُدرك. هل يمكن أن يكون هناك شخص دلف إلى الغرفة وقام بتشغيله دون أن ننتبه إليه؟ هل يمكن أن يكون جهاز توقيت تمّ ضبطه سلفاً قد بدأ يعمل؟ ولكن لا، تدور كاميراتنا، المنتبهة دائماً وأبداً، إلى خلف الجهاز وتكتشف أن مقبس التلفاز مسحوب من الحائط. نعم، يجب أن يكون التلفاز، في الواقع، مُطفأ. يجب أن يكون بارداً وصلباً لأنه يتحكم في سكون منتصف الليل. منطقياً. نظرياً. ولكنه ليس مطفأ.

تظهر خطوط الماسح الضوئي، وتومض ثم تنكسر وتتلاشى. عندئذٍ تظهر الخطوط على سطح الشاشة مرة أخرى. تستمر الطقطقة الخافتة دون انقطاع. وفي نهاية المطاف تبدأ الشاشة في عرض شيء ما. ثمة صورة آخذة في التشكل. وعلى الفور، مع ذلك، أصبحت شائهة بشكل مائل مثل الحروف المائلة، وتتلاشى مثل لهب ينطفئ. وحينئذٍ تبدأ العملية من جديد. تشدّ الصورة نفسها إلى اليمين. ترتعش، وتحاول أن تضفي شكلاً مادياً على

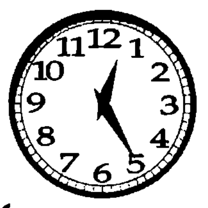
شيء ما. ولكن الصورة لن تتجمع. إنها تتشوه كما لو أن هوائي التلفاز يتعرض لرياح قوية. ثم يتهشم ويتناثر. كل مرحلة من هذا الاضطراب تصل إلينا عبر الكاميرا.

يبدو أن الفتاة النائمة لا تعي أياً ممّا يجري داخل غرفتها. لا تُبدي أي استجابة إزاء الضوء والصوت المنسكبين من جهاز التلفاز وإنما تُواصل نومها العميق وسط حالة من الاكتمال التام. حتى الآن، لا شيء يمكن أن يؤرق نومها العميق. التلفاز هو متطفل جديد في الغرفة. نحن أيضاً متطفلون بطبيعة الحال، ولكن على النقيض منا، فإن المتطفل الجديد ليس هادئاً ولا شفافاً. ولا هو محايد. إنه بلا شك يحاول التدخل. إننا نستشعر نيته على نحو بديهي.

تأتي صورة التلفاز وتذهب، ولكن ثباتها يتزايد ببطء. ينعكس على الشاشة ما هو بداخل الغرفة. إنها غرفة واسعة نوعاً ما. قد تكون جزءاً من مبنى مكتبي، أو نوعاً ما من صفوف الدراسة. توجد بها نافذة زجاجية؛ تضيء سقفها أضواء الفلوروسنت. رغم ذلك، لا يوجد أي أثر للأثاث. لا، فبعد معاينة أدقّ، نجد مقعداً واحداً موضوعاً وسط الغرفة. إنه كرسي خشبي قديم، له ظهر ولكن لا أذرع له. إنه كرسي عملي وبسيط للغاية. ثمة شخص يجلس عليه. لم تستقر الصورة تماماً، ولذلك بوسعنا أن نرى الشخص الجالس في المقعد كظلٍّ مبهم بحدود ضبابية. يوجد في الغرفة هواء بارد أشبه بالهواء الذي يوجد في الأماكن التي هُجرت من زمن طويل.

تقترب الكاميرا التي يبدو أنها تقوم بتوصيل هذه الصورة إلى التلفاز من الكرسي بحذر. يبدو أن قوام الشخص الذي في الكرسي هو قوام رجل. إنه يميل إلى الأمام قليلاً. يواجه الكاميرا ويبدو مستغرقاً في تفكير عميق. يرتدي ملابس سوداء وحذاء جلدياً. لا يمكننا أن نتبين وجهه، ولكنه يبدو رجلاً نحيفاً نوعاً ما ومتوسط القامة. من المستحيل أن تتبين كم يبلغ من العمر. وبينما نجمع فتات هذه المعلومات من الشاشة غير الواضحة، تتكسر الصورة من حين إلى آخر. هذا التشوش يتموج ويرتفع. ليس لمدة طويلة، مع ذلك، تستعاد الصورة سريعاً. تهدأ الخشخشة أيضاً. لا ريب أن الشاشة في سبيلها نحو الاستقرار.

هناك شيء يوشك أن يحدث في هذه الغرفة. شيء بالغ الأهمية.



الساعة 12:25 ليلاً

3

ما زال مطعم دينيز من داخله كما كان من قبل. تُعزف أغنية «مور» لمارتين دينيز في الخلفية. انخفض عدد الزبائن بشكل ملحوظ عما كان عليه قبل ثلاثين دقيقة، ولم تعد تُسمع أصوات عالية خلال المحادثات. أجواء المطعم توحي بدخول مرحلة أعمق من الليل.

ما زالت ماري تجلس إلى طاولتها فيما تنهمك في قراءة كتابها السميك. يوجد أمامها طبق يحتوي على ساندويش خضراوات، لم تمَسَسه تقريباً. يبدو أنها طلبته حتى يتسنى لها أن تمضي وقتاً أطول داخل المطعم وليس بدافع الجوع. تغير من حين إلى آخر جلستها وهي تقرأ الكتاب، فتارة تضع كوعها فوق الطاولة وتارة أخرى تتكئ بظهرها أكثر إلى المقعد. ترفع وجهها أحياناً عن الكتاب، وتأخذ نفساً عميقاً ثم تعاين عدد الزبائن الآخذ في التناقص داخل المطعم، ولكن عدا ذلك، فإن تركيزها يظلّ منصباً على الكتاب. يبدو أن قدرتها على التركيز هي إحدى أهم مزاياها الشخصية.

يمكننا الآن رؤية المزيد من الزبائن الذين يجلسون فرادى. هناك شخص يكتب على حاسوب محمول، فيما يكتب آخر رسالة على هاتف جوال، وينهمك بعضهم في القراءة مثل ماري، ويجلس آخر لا يفعل شيئاً سوى التحديق بشدة خارج النافذة. ربما لا يمكنهم النوم. أو ربما لا يرغبون في النوم. يوفر المطعم العائلي لمثل هؤلاء الأشخاص مكاناً يأوون إليه عندما يتأخر بهم الوقت خلال الليل.

تدخل امرأة ضخمة القوام مندفعة إلى المطعم كما لو أنها لا تستطيع الصبر حتى ينفتح الباب الزجاجي الإلكتروني. تبدو ذات بنية قوية لكنها ليست بدينة. منكباها عريضان ويبدوان قويان. تعتمر قبعة سوداء من الصوف وقد سحبتها إلى أسفل حتى تكاد تحجب عينيها، وترتدي سترة جلدية سوداء وتنورة برتقالية اللون. يداها خاويتان. يلفت دخولها القوي انتباه الآخرين في المطعم. لم تكد تدخل إلى المطعم، حتى ابتدرتها النادلة سائلة، «مائدة لشخص واحد، سيدتي؟» ولكن المرأة تتجاهلها وتتطلع بعينين قلقتين في أرجاء المطعم. ما إن تلمح ماري حتى تتجه نحوها بخطى كبيرة.

عندما تصل إلى مائدة ماري، لا تقول شيئاً وإنما تجلس على الفور في المقعد المواجه لماري. بالنسبة إلى مرأة بهذه الضخامة، فإن حركتها تعتبر سريعة وقوية.

تسألها: «آه... هل تمانعي...؟»

تنظر ماري إلى أعلى بعد أن كانت مستغرقة في كتابها،

وتجفل عندما تجد هذه المرأة الضخمة الغريبة وقد جلست قبالتها. تخلع المرأة قبعتها الصوفية. تبدو ذات شعر كثيف وأشقر اللون، وهو شعر قصير مثل مرج شُذِّب جيداً. يرتسم على وجهها تعبير مفتوح، ولكن بشرتها تبدو قاسية الملامح وباهتة، مثل معطف مطر اهترأ من كثرة الاستخدام، ورغم أن ملامح وجهها ليست متناسقة تماماً، فإن ثمة شيئاً بها يدعو إلى الاطمئنان وهو ما يبدو أنه ينبعث من حب فطري لديها للناس. بدلاً من أن تقدم نفسها، تكتفي بابتسامة جانبية إلى ماري وهي تمسح براحة يدها الكبيرة فوق شعرها القصير ذي اللون الأشقر.

تأتي النادلة وتحاول أن تضع كوباً من الماء وقائمة الطعام فوق الطاولة بحسب النظام المعمول به في الكتيب التدريبي لمطعم دينيز، ولكن المرأة تصرفها بإشارة من يدها. «لا عليكِ، فأنا سأغادر المكان الآن. اعذريني عزيزتي».

ترد النادلة بابتسامة متوترة وتنصرف.

تسأل المرأة: «أنت ماري أساي، أليس كذلك؟»

- نعم، ماذا هناك. . . ؟

- تكاهاشي أخبرني أنك ستكونين هنا على الأرجح.

- تكاهاشي؟

- تتسويا تكاهاشي. فتى طويل القوام وذو شعر طويل ونحيف البنيان. إنه يعزف على الترومبون.

تومئ ماري. «آه، أعرفه».

- حسناً. إنه يقول إنك تتحدثين الصينية بطلاقة.

تجيب ماري بحذر: «حسناً. إنني أجيد محادثات الحياة اليومية. لكني لست طليقة تماماً».

- هذا يكفي. هل يمكنك المجيء معي؟ لدي فتاة صينية في ورطة. إنها لا تتحدث اليابانية، ولذلك لست أدري ما الذي جرى لها.

لم يكن لدى ماري أدنى فكرة عما تتحدث عنه المرأة، ولكنها وضعت شريطاً عند الصفحة التي توقفت عندها، ثم طوت الكتاب، ووضعته جانباً.

- ورطة من أي نوع؟

- لقد تعرضت لإصابة. إنها في مكان قريب من هنا. يمكننا الوصول إلى هناك مشياً على الأقدام. لن آخذ من وقتك كثيراً. أحتاج منك فقط أن تترجمي لها وأن تعطيني فكرة عما حدث. سأكون في غاية الامتنان لك.

يعتري ماري بعض التردد للحظة، إلا أنها عندما تنظر في وجهها، تفترض أن المرأة ليست بالشخص الشرير. تدسّ كتابها في حقيبة كتفها وترتدي سترتها. تمدّ يدها نحو الفاتورة الموجودة على الطاولة، ولكن المرأة تسبقها إليها.

- سوف أدفع عنك هذه.

- لا داعٍ. هذه أشياء أنا طلبتها.

- لا علَيك، هذا هو أقل ما يمكنني عمله. انتهى الأمر واسمحي لي أن أدفع عنك.

عندما تنهضان، يظهر الفرق بين حجم كل منهما جلياً. ماري

فتاة ضئيلة الجسم، أما المرأة فلديها بنيان يشبه مخزناً للحبوب، وربما يقل طولها عن ست أقدام بمقدار بوصتين أو ثلاثة. تذعن ماري وتدع المرأة تدفع عنها الحساب.

تخرجان معاً من المطعم. ما زال الشارع مزدحماً مثلما هي العادة رغم الوقت المتأخر. وما زالت الأصوات الإلكترونية تنبعث من مركز الألعاب. وما زالت تُسمع صيحات حُرّاس نادي كاراوكي. تزأر محركات الدراجات البخارية. ثلاثة شبان يفترشون الرصيف خارج متجر مغلق ولا يفعلون شيئاً معيناً. عندما تمرّ بهما ماري والمرأة، ينظر ثلاثتهم إلى أعلى ويتعقبونهما بأعينهم، أغلب الظن أنهم يستغربون من ائتلاف هذا الثنائي الغريب، ولكنهم لا يقولون شيئاً، ويكتفون بالتحديق. تغطي باب المتجر رسومات جدارية خُطَّت بالبخّاخ.

تقول المرأة: «اسمي كاورو. أعرف أنك تقولين الآن كيف لهذه المرأة الضخمة أن تتسمى بهذا الاسم الصغير للغاية؟ ولكني سُميت كاورو منذ ولدت».

ماري: «يسرني لقاؤك».

- اعذريني على إخراجك بهذه الطريقة. أظن أنني أربكتك.

لا تدري ماري كيف تجيب، ولذلك اكتفت بالصمت.

كاورو: «هل تريدين مني أن أحمل عنك حقيبتك؟ تبدو ثقيلة».

- لا داع. أنا على ما يرام.

- ماذا بها؟

- كتب وبعض غيارات الملابس . .

- أنت لست هاربة، أليس كذلك؟

ماري: «لا. لست هاربة».

- حسناً. أمر جيد.

تواصلان المشي. تنعطفان من شارع به إضاءة ساطعة إلى زقاق ضيق يصعد إلى أعلى. تسير كاورو بخطى مسرعة فيما تهرول ماري حتى تواكبها في سيرها. يرتقيان درجاً مهجوراً ومظلماً، ثم تظهران في شارع مختلف. يبدو الدرج وصلة مختصرة بين شارعين. كانت لافتات النيون في العديد من مطاعم الوجبات الخفيفة في هذا الشارع ما زالت مضاءة، ولكن لا يوجد ما يوحي بوجود بشري بأي منها.

- إنه فندق العشاق الذي هناك.

- فندق العشاق؟

- فندق للعشاق. بالساعة. انظري لافتة النيون. هل ترين «ألفافيلا»؟ ذلك هو الفندق.

عند سماعها الاسم، لا تتمالك ماري نفسها وتحدق في كاورو. «ألفافيلا؟»

- لا تقلقي. الأمر على ما يرام. أنا المديرة.

- المرأة المصابة هناك بالداخل؟

تستدير كاورو وهي تواصل سيرها، قائلة: «نعم. من الصعب أن أشرح لك ذلك».

- هل تكاهاشي هناك بالداخل أيضاً؟

- لا، إنه في بناية أخرى بالقرب من هنا. يتدرب طوال الليل مع الفرقة الموسيقية في قبو البناية. الطلاب لا يرون ضيراً في ذلك.

تدخل كلتاهما من الباب الأمامي لفندق ألفافيلا. يختار نزلاء هذا الفندق غرفهم من صور كبيرة معروضة في البهو، ثم يضغطون زر الرقم المناظر للغرفة، ويتسلّمون مفاتيحهم، ثم يستقلون المصعد مباشرة إلى الغرفة. لا حاجة بهم لمقابلة أي أحد أو الحديث معه. أما تكلفة الغرفة فيأتي في نوعين: «استراحة» أو «قضاء ليلة».

إضاءة زرقاء وكئيبة. تلقي ماري نظرة فاحصة على هذه المشاهد الجديدة كلها. تلقي كاورو تحية هادئة على المرأة الموجودة خلف مكتب الاستقبال.

وعندئذٍ تقول لماري، «ربما لم تطأ قدماك مكاناً مثل هذا من قبل».

- لا، هذه هي المرة الأولى لي.

- آه، حسناً، هناك الكثير من الوظائف المختلفة في العالم.

تستقل كاورو وماري المصعد نحو الطابق العلوي. بعد أن تجتازا ممراً قصيراً وضيقاً، تصلان إلى باب غرفة رقم 404. تنقر كاورو نقرتين خفيفتين على الباب فيُفتح على الفور من الداخل. تطل برأسها إلى الخارج امرأة شابة ذات شعر مصبوغ بلون أحمر فاقع. تبدو نحيفة القوام وشاحبة الوجه. ترتدي تي شيرت زهري

فضفاض وبنطالاً من الجينز به شقوق. ويتدلى من أذنيها المثقوبتين أقراط كبيرة.

تقول المرأة ذات الشعر الأحمر: «آه، ممتاز. إنه أنت يا كاورو! استغرقتِ وقتاً طويلاً. كنت سأصاب بالجنون».

- كيف حالها الآن؟

- كما هي.

- هل توقف النزيف؟

- يوشك أن يتوقف. ومع ذلك فقد استخدمت كثيراً من الفوط الورقية.

تُدخل كاورو ماري وتوصد الباب وراءها. بجانب المرأة ذات الشعر الأحمر هناك موظفة أخرى في الغرفة، إنها امرأة ضئيلة القوام ترفع شعرها إلى أعلى وتمسح الأرضية. تقوم كاورو بتعريف سريع بينهم.

«هذه هي ماري. التي تتحدث الصينية. أما ذات الشعر الأحمر هنا فهي كوموجي. نعم، أعرف أن اسمها يشبه كلمة «القمح»، ولكنه الاسم الذي اختاره لها والداها، لذا ماذا يمكننا أن نفعل؟ إنها تعمل معي منذ زمن».

تبتسم كوموجي ابتسامة لطيفة نحو ماري وتقول: «تسرني رؤيتك».

ترد ماري: «تسرني رؤيتك أيضاً».

أما المرأة الأخرى التي هناك فهي كوروجي. والآن، ليس هذا

هو اسمها الحقيقي. سوف يتعين عليك سؤالها لماذا تريد أن تُعرف باسم كريكت.

تقول كوروجي بالنبرة الناعمة لمنطقة كانساي «أرجو المعذرة على ذلك. لقد تخلصت من اسمي الحقيقي». تبدو كوروجي أكبر سناً ببضع سنوات من كوموجي.

تقول ماري: «تسرني رؤيتك».

كانت الغرفة بلا نوافذ وفاسدة الهواء ولا يوجد بها سوى سرير أكبر حجماً من الطبيعي وجهاز تلفاز. تتكوم على الأرض امرأة عارية ملفوفة بفوطة حمام. تواري وجهها بكفّيها وتبكي بكاء مكتوماً. الفوط المخضبة بالدماء ملقاة على الأرض. ملاءات السرير أيضاً مخضبة بالدماء. يوجد مصباح أرضية ملقى على الأرض حيث وقع. فوق الطاولة توجد قنينة نصف فارغة من البيرة وكوب واحد. التلفاز مفتوح ويعرض برنامجاً فكاهياً. الجمهور يضحك. تلتقط كاورو جهاز الريموت وتغلقه.

تقول لماري: «يبدو أنه أوسعها ضرباً».

تسأل ماري: «الرجل الذي كانت برفقته هنا؟»

- نعم. زبونها.

- زبون؟ هل هي عاهرة؟

كاورو: «نعم، نحن غالباً ما نستقبل عاهرات في مثل هذا الوقت من الليل. لذا أحياناً نواجه مشكلات. كأن يتشاجر الشخصان بشأن المال، أو يرغب الرجل في بعض أمور شاذة أو ما شابه».

تعضّ ماري على شفتها وهي تحاول أن تستجمع أفكارها:
«وهي لا تتحدث إلا الصينية؟»

- نعم، لا تعرف سوى كلمتين تقريباً من اليابانية. ولا يمكنني الاتصال بالشرطة، رغم ذلك. إنها على الأرجح مهاجرة غير شرعية وليس لدي وقت للذهاب والمثول للشهادة في كل مرة يقع فيها مثل هذا الشيء.

تضع ماري حقيبة كتفها على الطاولة وتقصد المرأة المتكوّمة. تجثو على ركبتيها وتتحدث إليها بالصينية.

- «**نِي زِنمي لي؟**» (ماذا حدث؟)

ربما لم تسمعها المرأة. ولذلك لم تُحر جواباً. كتفاها يرتعشان فيما تنتحب انتحاباً هستيرياً.

تهز كاورو رأسها. «إنها تعاني صدمة ما. أراهن أنه ألحق بها أذى كبيراً».

تتحدث ماري ثانية إلى المرأة. «**شي زونجيورن ما؟**» (هل أنت من الصين؟)

لكن ما زالت المرأة لا تحر جواباً.

- «**فانجزين با، وو جن جنجشا ماي جوانزي؟**» (لا تقلقي، أنا لست مع الشرطة.)

لكن ما زالت المرأة لا تحر جواباً.

- «**ني باي تا دا لي ما؟**» (هل اعتدى عليك رجل؟)

أخيراً تومئ المرأة. يهتز شعرها الأسود الطويل. تتابع ماري كلامها للمرأة بصوت خفيض ولكن دون توقف. تسألها السؤال ذاته

مرات عديدة. تقف كاورو وهي تثني ذراعيها وترقب التفاعل بينهما بنظرة مشوبة بالحذر. وأثناء ذلك كانت كوموجي وكوروجي تقومان معاً بأعمال التنظيف. كانا يجمعان الفوط الورقية الغارقة في الدماء ثم يضعانها في كيس للمهملات من الفينيل. يزيلان ملاءة السرير ويضعان فوطاً جديدة في الحمام. يرفعان المصباح من الأرضية ويأخذان قنينة البيرة والكوب بعيداً. يتفحصان كل الأشياء المستبدلة وينظفان الحمام. من الجلي أن كلتيهما قد اعتادتا العمل معاً. تتّسم حركتهما بالسلاسة والسرعة.

ما زالت ماري جاثية على ركبتيها في زاوية الغرفة وهي تتحدث إلى المرأة، التي بدا أنها هدأت قليلاً لدى سماعها لأصوات لغة تفهمها.

بصوت متلعثم، راحت تشرح الموقف لماري باللغة الصينية. يبدو صوتها خافتاً للغاية، حتى إنه كان على ماري أن تميل نحوها حتى تسمعها. تصغي باهتمام وهي تومئ. ومن حين إلى آخر تنطق بعبارة أو عبارتين وكأنها تشجع المرأة على الكلام.

تَربُت كاورو خفيفاً على كتف ماري من الخلف. «معذرة، ولكننا نحتاج هذه الغرفة للزبون التالي. سوف نأخذها إلى المكتب بالأسفل. تعالي معنا إلى هناك، حسناً؟»

- ولكنها عارية تماماً! إنها تقول إنه أخذ كل ما كانت تلبسه. الحذاء والملابس الداخلية وكل شيء.

تهز كاورو رأسها. «لقد جرّدها من كل شيء حتى لا يمكنها أن تبلغ الشرطة. يا له من وغد!»

تتناول كاورو بُرنُس حمام خفيف من خزانة الملابس وتسلمه إلى ماري. «فقط اجعليها ترتدي هذا الآن».

تنهض المرأة على قدميها وهي خائرة القوة، وتبدو شبه ذاهلة، فتسقط عنها الفوطة فيظهر جسدها العاري وهي ترتدي برنس الحمام وتقف وهي تترنح. تتحاشى ماري تحديقتها سريعاً. يبدو جسد المرأة ضئيلاً ولكنه جميل: نهدان نافران وبشرة ناعمة وأثر غير ظاهر لشعر العانة. من الأرجح أنها من عمر ماري نفسه، وما زال قوامها قوام فتاة. تبدو خطواتها مهتزة. تطوق كاورو كتفيها بذراعها لمساندتها وهي تصحبها إلى خارج الغرفة. يستقلون مصعداً للطابق الأسفل، فيما تتبعهما ماري وهي تحمل حقيبتها معها. تبقى كوموجي وكوروجي في الغرفة لاستكمال أعمال التنظيف.

دخلن ثلاثتهن مكتب الفندق. صناديق الكرتون مكوّمة بجانب الحوائط. هناك مكتب من الصلب ومنطقة استقبال بسيطة تضم أريكة وكرسي بذراعين. يوجد على المكتب لوحة مفاتيح لجهاز حاسوب وشاشة مضيئة. على الحوائط يوجد تقويم ولوحة خطوط لميتسيو آيدا ومنبه ساعة إلكترونية. يوجد جهاز تلفاز محمول وفرن ميكرويف موضوع فوق ثلاجة صغيرة. تبدو الغرفة مكتظة بالأشخاص الثلاثة الذين بها. تقود كاورو العاهرة الصينية إلى الأريكة. يبدو أن المرأة تشعر بالبرد وهي تمسك بتلابيب البُرنُس لإغلاقه بإحكام.

توجه كاورو ضوء مصباح إلى وجه العاهرة وتتفحص جروحها عن قرب. تأتي ببعض الإسعافات الأولية وتمسح بعناية الدم الذي جفّ ببعض الكحول والقطن الطبي. تغطي الجروح بضمادات. تتحسَّس أنف المرأة لترى إن كان كسراً قد اعتراه. ترفع جفنيها وتتفحص عينيها لترى مدى احتقانهما بالدم. تمرر أصابعها خلال شعر المرأة حتى تتحسس أي كدمات. تؤدي هذه المهام بمهارة فائقة، وكأنها تقوم بها كل يوم. تأخذ كمَّادة باردة من الثلاجة، ثم تلفها في منشفة صغيرة وتسلمها للمرأة.

- ضعي هذه على وجهك لبعض الوقت.

عندما تتذكر أنّ المرأة لا تفهم اليابانية، تُوضح لها كاورو بالإشارة أين تضعها. تومئ المرأة وتضع الكمَّادة الباردة أسفل عينيها.

تستدير كاورو إلى ماري وتقول: «لقد نزفت كثيراً، ولكنه في معظمه كان من الأنف. لحسن الحظ، أنها لم تصب بأي جروح كبيرة، وليس بها كدمات في الرأس، ولا أظن أن أنفها مكسور. ثمة قطعٌ في جانب عينيها وآخر في شفتها، ولكن كليهما لا يحتاجان إلى غرز خياطة. يرجَّح أنها ستبتعد عن العمل لأسبوع بسبب عينيها المتورمتين».

تومئ ماري.

- لقد كان رجلاً قوياً، ولكن من الواضح أنه غير بارع تماماً عندما يتعلق الأمر بضرب شخص ما ضرباً مبرحاً. كان يوجّه لها الكثير من اللكلمات الطائشة وحسب. أراهن أن يده تؤلمه أشد

الألم الآن، هذا الوغد. كان يسدد ضرباته بشدة حتى إنه ترك أثراً في الحائط في بعض الأماكن. لقد فقد فعلاً السيطرة على نفسه. لم يكن يعي ما الذي يفعله.

تدخل كوموجي وتأخذ شيئاً من الصناديق المكوّمة بجانب الحائط - برنس حمام جديد لتضعه في الغرفة 404.

ماري: «لقد أخبرتني أنه أخذ كل شيء كان معها، حقيبة يدها ونقودها وهاتفها النقّال».

تدخلت كوموجي: «كل ذلك حتى يهرب من دون أن يدفع لها الثمن».

- لا، ليس الأمر كذلك. ما أعنيه هو أن دورتها الشهرية كانت قد بدأت فجأة قبل أن يفعلا أي شيء. كان ذلك مبكراً. لذلك جُنَّ جنونه و. .

تقول كوموجي: «حسناً، لم يكن بوسعها أن تفعل شيئاً إزاء ذلك. عندما تبدأ، فإنها تبدأ مثل الانفجار!»

تقرقر كاورو وتقول: «حسناً، كفاك هذا يا كوموجي. اذهبي وأكملي تنظيف الغرفة 404».

تقول كوموجي وتغادر المكتب: «حاضر، سيدتي. معذرة».

تقول كاورو: «إذن كان على استعداد أن يفعلها، وعندما فاجأت المرأة دورتها الشهرية، جُنَّ جنونه، فأوسعها ضرباً واستولى على نقودها وملابسها ولاذ بالفرار من هناك. هذا الفتى يعاني مشكلة ما».

تومئ ماري: «إنها تقول إنها آسفة لتخضيبها ملاءات السرير بالدم».

كاورو: «لا عليها، فنحن معتادون على ذلك. لست أدري لماذا، ولكن الدورات الشهرية كثيراً ما تبدأ لدى الفتيات في فنادق العشاق. إنهن دائماً ما يتصلن بالمكتب أسفل ويطلبن مناديل وسدادات قطنية وأشياء من هذا القبيل. وكأننا صيدلية. ولكن على أية حال علينا أن نُلبس هذه المسكينة بعض الملابس. فهي لن تذهب إلى أي مكان هكذا».

تفتش كاورو في صندوق آخر وتخرج منه سروالاً تحتياً في علبة من الفينيل - من النوع الذي يستخدم في ماكينات البيع في الغرف. «هذا السروال رخيص الثمن للطوارئ. إنه غير قابل للغسل، ولكن دعيها ترتديه. لا نريدها أن تتعرض لأي تيارات هواء تجعلها تتوتر».

بعد ذلك تفتش كاورو في خزانة الملابس وتأتي بقميص أخضر باهت بنصفه العلوي والسفلي وتسلمه للعاهرة.

- هذا كان لفتاة اعتادت أن تعمل هنا. لا تقلقي، فهو نظيف. ليس عليها أن تعيده ثانية. كل ما لدي هو حذاء مطاطي لقدميها، ولكن ذلك سيكون أفضل من لا شيء.

تشرح ماري هذا للمرأة. تفتح كاورو خزانة وتخرج فوطاً صحية قليلة. تسلمها للعاهرة.

تقول لها وهي تشير إلى الباب بذقنها: «استخدمي هذه. يمكنك أن تغيريها في ذلك الحمام».

تومئ العاهرة وتشكرها باليابانية: «**أريجاتو**». ثم تأخذ الملابس وتدلف إلى الحمام.

تلقي كاورو بنفسها في الكرسي الموضوع أمام المكتب، وهي تهز رأسها ببطء وتقول: «لا يمكنك أن تعرفي أبداً ما الذي يمكن أن يحدث في عملنا هذا».

ماري: «إنها تقول لي إنها قد جاءت إلى اليابان منذ ما يزيد على شهرين».

- أعتقد أن وجودها هنا غير قانوني.
- لم أسألها عن ذلك. لكن من لكنتها، فإنها من الشمال.
- منشوريا القديمة؟
- ربما.
- ماذا؟ أظنّ أن شخصاً ما سوف يأتي ويأخذها.
- أعتقد أن لها رئيساً ما.

كاورو: «عصابة صينية. إنهم يديرون البغاء هنا. إنهم يُهرِّبون النساء بالقوارب من الصين ويجعلونهن يدفعن مقابل ذلك بأجسادهن. إنهم يتلقون الطلبات عبر الهاتف ثم يوصلون النساء إلى الفنادق فوق الدراجات البخارية - ساخنة وطازجة، مثل البيتزا. إنهم من أفضل عملائنا».

- هل تقصدين أنهم مثل عصابة الياكوزا؟

تهز كاورو رأسها: «لا. لا. لقد كنت مصارعة محترفة منذ وقت طويل. واعتدنا على القيام بجولات محلية، ولذلك قُدِّر لي أن ألتقي ببعض أعضاء من الياكوزا. دعيني أخبرك، مقارنة بهذه

العصابات الصينية، فإن عصابات الياكوزا اليابانية ذوو قلوب طيبة. ما أعنيه هو أنك لن تعرفي أبداً ما الذي يمكنهم أن يقترفوه. ولكن هذه المسكينة ليس لها اختيار: إذا لم تعد إليهم، فليس لديها مكان آخر تأوي إليه».

- هل تظنين أنهم سيقسون عليها لعدم حصولها على نقود هذه المرة؟

- لست أدري. بوجهها هذا، سوف يتعين عليها الانتظار بعض الوقت حتى يمكنها الحصول على أي زبائن آخرين وهي غير ذات جدوى لهم إذا لم تستطع أن تجني مالاً. إنها شيء جميل، مع ذلك.

تخرج العاهرة من الحمام وهي ترتدي القميص الصوفي والحذاء المطاطي. كان النصف الأعلى يحمل شعاراً لـ«أديداس» على الصدر. كانت الكدمات ما زالت ظاهرة على وجه المرأة، ولكن شعرها كان الآن ممشطاً بعناية أكبر. حتى في هذا الطاقم الذي ترتديه وبشفتيها المتورمتين ووجهها الذي تظهر عليه أثر الكدمات، فإنها ما زالت امرأة جميلة.

تسألها كاورو باليابانية: «لا بد أنك بحاجة إلى استخدام الهاتف، أليس كذلك؟»

تترجم لها ذلك ماري قائلة: «هل ترغبين في استخدام الهاتف؟»

تجيب العاهرة بيابانية متقطعة: «**هاي. أريجاتو**».

تسلمها كاورو هاتفاً نقالاً أبيض اللون. تضغط على الأزرار

وتتحدث بهدوء بالصينية، تقدم تقريراً للشخص الموجود على الطرف الآخر من المكالمة، الذي يثور في وجهها غاضباً. تقدِّم إجابة مختصرة وتُغلق الخط. تعيد الهاتف إلى كاورو وقد انقبضت أسارير وجهها.

تشكر العاهرة كاورو باليابانية: «**دومو أريجاتو**». ثم تستدير إلى ماري وتقول بالصينية: «هناك شخص سوف يأتي ليقلّني. الآن».

تشرح ماري ذلك لكاورو: «أعتقد أنهم قادمون لأخذها الآن».

تقطب كاورو جبينها: «كنت أفكر في ذلك، فحتى فاتورة الفندق لم تُدفع بعد. عادة ما يدفع الرجل، ولكن هذا الوغد الحقير قد غادر دون أن يدفع. وعليه أيضاً ثمن قنينة بيرة».

- هل ستتقاضين ذلك من الشخص الذي سيأتي ليقلّها؟

تتوقف كاورو عن التفكير في ذلك: «لست أدري. آمل أن يكون الأمر بهذه البساطة».

تضع كاورو بعض أوراق الشاي في وعاء ثم تتبع ذلك بالماء الساخن من إناء ترموس. تصب الشاي في ثلاثة فناجين وتقدم أحدها إلى العاهرة الصينية. تشكرها المرأة وتأخذ رشفة. يؤذي الشاي الساخن الجرح الذي بشفتها. تأخذ رشفة واحدة وتقطب جبينها.

ترتشف كاورو بعض الشاي ثم تقول للعاهرة باليابانية: «ولكن ذلك أمر صعب بالنسبة لك، أليس كذلك؟ لقد قطعت كل هذا

الطريق من الصين ودخلت إلى اليابان خلسة، ووقعت في نهاية المطاف بأيدي هؤلاء البلطجية الذين يمتصون منك الحياة. لست أدري كيف كانت حياتك هناك في بلدك، ولكن لا بد أنه كان من الأجدى لك ألا تأتين إلى هنا، ألا تعتقدين ذلك؟»

تسألها ماري: «هل تريدين مني أن أترجم لها ذلك؟»

تهز كاورو رأسها: «لا، لا تأبهي بذلك. إنني أُحدِّث نفسي وحسب».

تشجع ماري العاهرة على الانضمام للمحادثة: «كم عمرك؟»

- تسعة عشرة.

- نفس عمري. ما اسمك؟

تتردد العاهرة بعض الوقت قبل أن تجيب: «جيو دونجلي».

- اسمي ماري.

تبتسم ماري في وجه المرأة ابتسامة خفيفة - هي الأولى لها منذ أن انتصف الليل.

تتوقف دراجة بخارية عند المدخل الأمامي لفندق ألفافيلا. دراجة من طراز هوندا كبيرة الحجم وتبدو ذات مظهر مخيف. يرتدي سائقها خوذة تحجب وجهه كاملاً. يترك المحرك في دورانه وكأنه يريد أن يكون جاهزاً للخروج سريعاً في حال تعيّن عليه ذلك. يرتدي سترة جلدية سوداء ومحبكة وبنطالاً من الجينز الأزرق. وحذاء عالياً يشبه أحذية لاعبي كرة السلة. وقفازين سميكين. يخلع الرجل الخوذة ويضعها على خزان الوقود. يُقلِّب عينيه بحذر في أرجاء المكان، ثم يخلع أحد القفازين، ويسحب

هاتفاً نقالاً من جيبه، ثم يطلب رقماً. يبدو أنه في الثلاثين من عمره. شعره أحمر مصبوغ ويضفره ضفيرة ذيل الفرس. ذو جبهة عريضة وخدين غائرين وعينين حادتين. بعد مكالمة قصيرة، يغلق الخط ويعيد الهاتف إلى جيبه. يرتدي قفازه ثانية وينتظر.

تسرع كل من كاورو والعاهرة وماري بالخروج. ترتدي العاهرة صندلاً مطاطاً وتجرجر قدميها باتجاه الدراجة البخارية. كانت درجة الحرارة قد انخفضت، وبدا أنها تشعر ببرودة الطقس وهي ترتدي القميص. يتلفظ سائق الدراجة البخارية بألفاظ ما في وجه العاهرة، فتجيبه بصوت خفيض.

تقول كاورو لسائق الدراجة: «هل تعرف، يا هذا، أنني لم أحصل على حقي في ثمن غرفة الفندق».

يحدِّق الرجل بشدة في كاورو، ثم يقول: «أنا لا أدفع فواتير فنادق. جون يدفع ذلك». كانت كلماته مباشرة وحادة وخالية من أي معنى.

تقول كاورو بصوت أجش: «أعرف ذلك». تنظف حنجرتها. «ولكن فكر في ذلك. إذا ساعدتني فسوف أساعدك. هذه هي الطريقة التي ندير بها أعمالنا. سيكون في هذا توريط لنا أيضاً. أقصد أن هذه قضية اعتداء نجم عنها إصابات جسدية. كان بوسعنا أن نبلغ الشرطة. ولكن عندئذٍ كنتم ستجدون القليل الذي تقولونه أمام الشرطة، أليس كذلك؟ لذلك ادفع لنا 6800 ين وسوف نكون متراضين. سأعفيك من حساب البيرة. وهكذا نكون قد تساوينا».

يحدق الرجل في كاورو بعينين جامدتين. ينظر إلى أعلى نحو

لافتة النيون التي تحمل اسم الفندق: ألفافيلا. يخلع قفازه ثانية، ويسحب حافظة نقود من جيب سترته، ويعدّ أوراقاً بقيمة سبعة آلاف ين، ثم يدعها تسقط عند قدميه. نظراً إلى انعدام الرياح، تستقر الأوراق النقدية على الأرض. يرتدي الرجل قفازه مرة أخرى. يرفع ذراعه إلى أعلى حتى ينظر في ساعته. يؤدي كل حركة من هذه الحركات ببطء غير طبيعي. جليٌ أنه ليس في عجلة من أمره. يبدو أنه يحاول أن يحوز إعجاب النسوة الثلاثة بحضوره الثقيل. يمكنه أن يأخذ ما يريد من الوقت لأي شيء. وخلال كل ذلك، ما زال محرك الدراجة يقعقع قعقعته الشديدة مثل حيوان في حالة فزع.

يقول الرجل لكاورو: «كم أنت شديدة الجرأة!»

ترد عليه كاورو: «أشكرك».

يقول: «إذا أبلغت الشرطة فربما يندلع حريقٌ في الحي».

يخيم صمت تام لفترة. الأذرع مثنية، تواصل كاورو تحديقها في وجه الرجل. وبوجهها الذي تبدو عليه أثر الجروح، تجيل العاهرة ناظريها بقلق من ناحية إلى أخرى، وهي غير قادرة على فهم الحوار الذي يدور بينهما.

في نهاية المطاف يمسك الرجل بالخوذة ثم يلبسها، يشير للفتاة ويجلسها على دراجته البخارية. تمسك في سترته بكلتا يديها. تستدير لتنظر خلفها نحو كاورو وماري. ثم تنظر ثانية إلى ماري. يبدو أنها تود أن تقول شيئاً ولكن في نهاية المطاف لم تنبس بكلمة. يضغط الرجل بقوة على الدواسة، فيزيد من عزم المحرك

وينطلق. يتردّد صدى صوت ماسورة العادم بقوة في الشوارع خلال الليل. تقف كاورو وماري مكانهما. أما كاورو فتميل أرضاً لتلتقط السبعة آلاف ين مرة واحدة. تعيد ترتيبهما الوجه مع الوجه، ثم تثني الرزمة نصفين وتدسها في جيبها. تأخذ نفساً عميقاً وتمسح بيدها فوق شعرها الأشقر القصير.

تقول: «هل هذا رجل؟!»



الساعة 37 : 12 ليلاً

4

غرفة إيري أساي.

لا شيء تغير. لكن صورة الرجل الجالس على الكرسي أصبحت أكبر من ذي قبل. الآن يمكننا أن نراه بوضوح كبير. ما زالت الإشارة يعترضها بعض التشويش: فأحياناً تهتز الصورة، ويلتوي محيطها وتضعف جودتها ويزداد سكونها. وبين فينة وأخرى تدخل صورة مغايرة تماماً على نحو لحظي. ولكن الاختلال يخبو وتعود الصورة الأصلية.

ما زالت إيري أساي تغطّ في نوم عميق على سريرها. الوهج الاصطناعي الذي ينبعث من شاشة التلفاز يعكس على وجهها ظلالاً متحركة وإن كان لا يعكر صفو نومها.

يرتدي الرجل الذي تظهر صورته على الشاشة بذلة رسمية ذات لون بني داكن. ربما كانت البذلة قطعة ملابس تبعث على الإعجاب وهي جديدة، إلاّ أنه من الواضح الآن أنها قد اهترأت. ثمة بقع مثل غبار أبيض تبدو وقد علقت بالأكمام والظهر. يرتدي الرجل

أيضاً حذاء أسود ومستديراً عند الأصابع وقد اتسخ أيضاً بالغبار. يبدو أنه قد وصل هذه الغرفة بعد أن اخترق مكاناً مكمخاً بالغبار. يرتدي قميصاً عادياً وربطة عنق من الصوف الأسود، وكلاهما يوحيان بنوع من الإعياء. شَعره خالطه الشيب. لا، ربما يكون شعره أسود ولكن غمره الغبار الأبيض وحسب. لكن وعلى أية حال، لم يكن شعره قد مُشط جيداً منذ مدة طويلة. ما يثير الاستغراب، مع ذلك، فمظهر الرجل لا يعطي أدنى انطباع بأنه لا يُعنى به أو أدنى إحساس بأنه رث الثياب. إنه شخص متعب وحسب - بل مرهق إلى حد الإنهاك - بعد أن تآلفت ظروف حتمية على تغبيره.

لا يمكننا أن نتبين وجهه. الآن، كاميرا التلفاز ترصد ظهره أو أجزاء من جسمه ولكن ليس وجهه. وبصرف النظر عما إذا كان ذلك بسبب زاوية الضوء أو لترتيب متعمد، فقد كان الوجه دائماً وسط ظلال معتمة لا يمكن لعيوننا أن تراه خلالها.

لا يتحرك الرجل، لكنه ما بين الفينة والأخرى يأخذ نفساً طويلاً وعميقاً ويرتفع كتفاه وينخفضان في بطء. ربما كان رهينة أُحتجز في غرفة واحدة لمدة طويلة. بعد تحويمنا حوله، يبدو أن لديه إحساس مرير بالعزلة. ليس لأنه مقيَّد بالكرسي: إنه يجلس مستقيم الظهر، ويتنفس بهدوء ويحدق في نقطة ما أمامه مباشرة. لا يمكننا أن نجزم عند النظر إليه بما إذا كان هو نفسه من قرَّر أنه لن يتحرك أو أنه قد وُضع في وضعية ما لا تسمح له بالحركة. تستقر يداه فوق ركبتيه. الوقت غير واضح. ولا يمكننا أن نجزم بما إذا كنا ليلاً أو نهاراً،

لكن الغرفة تسطع بضوء مصابيح الفلوروسنت المصفوفة كما لو كانت شمس الظهيرة هي ما تضيئها.

وفي نهاية المطاف تدور الكاميرا حتى تُظهر وجهه، إلا أن ذلك لم يساعدنا في التعرف عليه. وهو ما لا يزيد اللغز إلا إيغالاً في العمق. فوجهه بكامله مغطى بقناع شفاف. ربما لا ينبغي لنا أن نسميه قناعاً؛ إنه يلتصق التصاقاً بوجهه، وأشبه بغلاف من البلاستيك. ولكن نظراً إلى رهافته، فما زال يعمل كقناع. بينما يعكس الضوء الذي يسقط عليه كلمعان شاحب، فإنه لا يخفي أبداً ملامح وقسمات وجه الرجل. إن أفضل ما يمكننا فعله هو أن نخمِّن الأبعاد العامة لوجهه، لكن القناع لا يوجد به أي فتحات للأنف أو الفم أو العينين، إلا أن ذلك لم يكن يحوْل بينه وبين التنفس أو الإبصار أو السمع. ربما تكون لديه قدرة مميزة على التنفس أو القابلية للنفاذ، ولكن عند النظر إليه من الخارج لا يمكننا الجزم بنوعية المادة أو التقنية التي استخدمت في صناعته. يوجد في القناع مستويات متساوية من السحر والوظائف. لقد جاء من أزمنة سحيقة يسودها الظلام وأُعيد إرساله من المستقبل الذي يسوده الضوء.

إن ما يجعل القناع مخيفاً حقاً هو أنه ورغم كونه يلائم الوجه وكأنه بشرة ثانية، فإنه يمنعنا حتى من أن نتخيل ما الذي يفكر فيه أو يشعر به أو يخطط له الشخص الذي يرتديه (إن كان يفعل أياً من ذلك). هل وجود هذا الرجل شيء جيد؟ أو شيء سيئ؟ هل أفكاره مباشرة؟ ملتوية؟ هل صنع القناع ليخفيه؟ أم ليحميه؟ ليس

لدينا أي جواب. إن وجهه مغطى بهذا القناع الغامض والمصنوع بدقة فيما يجلس الرجل بهدوء على الكرسي الذي ترصده كاميرا التلفاز وهذا هو ما يتسبب في هذا الموقف. كل ما نستطيع عمله، على ما يبدو، هو أن نرجئ الحُكم ونقبل الموقف كما هو. يجب علينا أن نسميه «الرجل الذي لا وجه له».

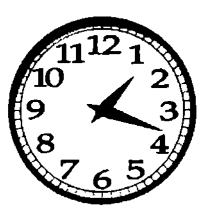
أصبحت زاوية الكاميرا الآن ثابتة. إنها ترصد الرجل الذي لا وجه له مباشرة، من أسفل المركز تماماً. في بذلته البنية، يجلس ولا يحرك ساكناً، ينظر من جانبه حيث قناة الصورة، ومن خلال الزجاج، إلى هذا الجانب. إنه وهو على الجانب الآخر من الصورة، ينظر مباشرة في هذه الغرفة التي نقف بها. بالطبع عيناه تتواريان وراء القناع اللامع الغامض، إلا أنه بوسعنا أن نستشعر بقوة وجود خط الرؤية ووزنه. بعزم لا يلين، يحدق في شيء أمامه. بناء على زاوية وجهه، فإنه ربما يحدق ناحية سرير إيري أساي. نتعقب خط الرؤية الافتراضي له بعناية فائقة. نعم، لا يمكن أن يكون ثمة شك في ذلك. إن ما يحدق ناحيته الرجل المقنَّع بعينيه غير المرئيتين هو الجسد النائم لإيري. وأخيراً يتبين لنا أن هذا هو ما كان يفعله على الدوام. يمكنه رؤية هذا الجانب. إن شاشة التلفاز تعمل كنافذة تطلّ على هذه الغرفة.

ما بين الفينة والأخرى تضطرب الصورة ثم تعود. ويزداد ثباتها أيضاً. يبدو الصوت أشبه بنسخة مضخمة من صوت موجات دماغ أحد الأشخاص. يرتفع بكثافة متزايدة، ولكن عند نقطة بعينها يصل إلى الذروة ثم يبدأ في الانخفاض قبل أن يتلاشى في نهاية الأمر.

ثم وكأنه يغير رأيه، يظهر ثانية. يتكرر الشيء ذاته. ولكن خط الرؤية لدى الرجل الذي لا وجه له لا يتذبذب أبداً. ولا يفقد تركيزه أبداً.

هناك فتاة جميلة تواصل نومها في فراشها بلا انقطاع. شعرها الأسود المنسدل ينساب فوق الوسادة. شفتاها مزمومتان بوداعة. القلب والعقل في أعماق البحر. عندما يعتري بعض التذبذب شاشة التلفاز، يضطرب الضوء الساقط على وجهها ويعكس إشارات مبهمة شبيهة بالرقص. يجلس الرجل الذي لا وجه له يحدِّق فيها بصمت وهو على الكرسي الخشبي البسيط. ترتفع كتفاه وتنخفضان دون أن تبرزا في تناغم مع أنفاسه، مثل مركب فارغ يتمايل فوق موج الصباح الهادئ.

ليس ثمة شيء آخر يتحرك في الغرفة.



الساعة 1:18 ليلاً

5

تسير ماري وكاورو عبر أحد الأزقة الضيقة الخالية من المارة.

تود كاورو الجلوس مع ماري في مكان ما. ترتدي ماري قبعة فريق «بوسطن رد سوكس» ذات اللون الأزرق البحري وتشدّها بإحكام على رأسها. تبدو مثل صبي عندما تعتمر القبعة - وهو ما يفسر السبب وراء حملها لها.

تقول كاورو: «كم أسعدني أنك كنت هناك. لم أكن لأعرف ماذا جرى».

يهبطان الوصلة المختصرة من الدرج التي صعداها وهما في طريقهما إلى الفندق.

تقول كاورو: «مهلاً، ما رأيك لو توقفنا لبعض الوقت في مكان أعرفه - إن كان لديك وقت».

- مكان؟

- أود أن أحتسي بعض البيرة الجيدة الباردة. ماذا عنك؟

- لكني لا أشرب.

- إذن تناولي بعض العصير أو شيئاً آخر. ماذا يضيرك لو ذهبت إلى مكان وأمضيت فيه الوقت حتى الصباح؟

تجلسان على طاولة بار صغيرة، لا يوجد زبائن سواهما. تُعزف موسيقى قديمة من أعمال «بِن وبستر». إنها معزوفة «قدوتي» وتعود إلى حقبة الخمسينيات. يوجد حوالي 40 أو 50 طرازاً قديماً من الأسطوانات مصفوفة على أحد الأرفف. تحتسي كاورو جرعة من البيرة من قنينة طويلة ورفيعة. وأمام ماري يوجد كوب بيرييه (Perrier) به عصير ليمون. خلف البار، كان النادل الطاعن في السن منهمك في تكسير الثلج.

تقول ماري: «كانت جميلة رغم ذلك، أليس كذلك؟»

- هل تقصدين الفتاة الصينية؟

- نعم.

- أظن ذلك. ولكن جمالها لن يدوم طويلاً ما دامت تعيش مثل هذه الحياة. سوف تكبر وتصبح قبيحة بين عشية وضحاها. لقد مرَّ بي كثيرات مثلها.

- إنها في التاسعة عشرة - مثلي.

تقول كاورو وهي تمضغ بصوت مسموع بعض حبات البندق: «صحيح، ولكن العمر لا يهم. هذا النوع من العمل يستنزف الكثير من صاحبه. يجب أن يكون لديك أعصاب حديدية. وإلا سوف تبدئين في تعاطي المخدرات، ومن ثم تنتهين».

لم ترد ماري بشيء.

- هل ما زلت تدرسين في الجامعة؟

- نعم. إنني أدرس الصينية في جامعة الدراسات الأجنبية.

- جامعة الدراسات الأجنبية؟ وماذا ستعملين بعد التخرج؟

- إذا أمكن، أودّ أن أكون مترجمة حرة أو مترجمة فورية. لا أعتقد أنني مؤهلة لوظيفة عادية من التاسعة إلى الخامسة.

- فتاة ذكية.

- ليس بالفعل. منذ أن كنت طفلة، مع ذلك، كان أبواي يخبرانني دائماً أن الأجدى لي أن أجتهد في دراستي لأنّ قُبحي لن يجعلني أصلح لأي شيء آخر.

تنظر كاورو إلى ماري وقد ضيقت من حدقة عينيها: «إنك فاتنة الجمال. هذه هي الحقيقة: لست أقول ذلك لأرفع من روحك المعنوية. دعي أبويك يُملّيان أعينهما بي إن أرادا أن يريا القبح الحقيقي».

تهز ماري كتفها هزة خفيفة تنم عن عدم ارتياح: «لدي شقيقة تكبرني سناً وهي فاتنة الجمال حقاً. بحسب ما أتذكر، فقد اعتاد أبواي على المقارنة بيني وبينها، كأن يقولان: كيف لشقيقتين أن يكونا مختلفتين إلى هذا الحد؟ وهذا صحيح: فأنا لست شيئاً إذا ما قورِنْت بها. فأنا ضئيلة الجسم، ونهداي صغيران، وشعري مجعد وفمي كبير للغاية، كما أنني مصابة بقصر النظر وأعاني عيباً في قرنية العين».

تضحك كاورو: «إن الناس عادة ما يسمون هذه الأشياء أموراً شخصية».

- نعم، ولكن ليس سهلاً أن تفكري على هذا النحو إذا كان الناس يقولون لك أنك قبيحة منذ كنت صغيرة.

- إذن هل اجتهدت في دراستك؟

- نعم. اجتهدت كثيراً. ولكنني لم أجد نفسي أميل قط للمنافسة على العلامات في الاختبارات. وفوق ذلك لم أكن أجيد ممارسة الرياضة ولا أستطيع أن أكوّن صداقات، ولذلك كان الأطفال الآخرون يتنمرون عليّ، وعندما وصلت إلى الصف الثالث لم يعد باستطاعتي الذهاب إلى المدرسة بعد ذلك.

تسأل كاورو: «هل تقصدين شيئاً مثل رُهاب حقيقي؟»

- نعم. كنت أكره المدرسة كراهية شديدة حتى إنني كنت أتقيأ عند كل إفطار وينتابني ألم حاد في البطن وأوجاع أخرى.

- يا للعجب. كنت أحصل على علامات سيئة، ولكنني لم أكن أعبأ بالمدرسة كثيراً. إذا وُجد أشخاص لا أحبهم، فقد كنت أوسعهم ضرباً.

تبتسم ماري: «ليتني كنت أستطيع ذلك..»

- لا عليك. هذا ليس بالشيء الذي يبعث على الفخر... إذن ماذا حدث بعد ذلك؟

- حسناً، في يوكوهاما كانت توجد مدرسة صينية للأطفال. كان لدي صديقة في المنطقة السكنية تذهب إلى هناك. كان نصف الحصص يُدرَّس بالصينية، ولكنهم لم يكونوا مهووسين بتحقيق

أعلى العلامات مثلما هو الحال في المدارس اليابانية، ولأن صديقتي كانت هناك، فقد رغبت في الالتحاق بها. كان والداي يعارضان ذلك، بطبيعة الحال، ولكن لم يكن هناك من طريقة أخرى يمكنهما أن يرغماني من خلالها على الذهاب إلى المدرسة.

- أراهن أنك كنت طفلة عنيدة.

تقول ماري: «ربما كنت كذلك».

- إذن هل هذه المدرسة الصينية كانت تسمح للأطفال اليابانيين بالالتحاق بها؟

- نعم. لم يكن لديهم أي شروط أو متطلبات خاصة.

- ولكن ربما أنك كنت لا تعرفين عندئذٍ شيئاً عن الصينية؟

- لا شيء على الإطلاق. ولكني كنت صغيرة، وساعدتني صديقتي، لذا تعلمت سريعاً. كانِت مدرسة جيدة؛ فلم يكن الطلاب ذوو دافعية عالية. مكثتُ بها حتى انتهيت من المرحلة الإعدادية والثانوية. رغم ذلك، لم يكن والداي سعيدين بها كثيراً. كانا يريدانني أن ألتحق بمدرسة إعدادية شهيرة وأن أصبح طبيبة أو محامية أو شيئاً من هذا القبيل. كانا قد اختارا لنا دورينا؛ الشقيقة الكبرى، الثلج الأبيض؛ الشقيقة الصغرى، عبقرية صغيرة.

- هل شقيقتك على ذلك القدر من الجمال؟

تومئ ماري ثم تأخذ رشفة ماء من قنينة ماء بيرييه. «لقد كانت فتاة غلاف للمجلات وهي في المدرسة الإعدادية. تعرفين هذه المجلات الموجّهة للمراهقات».

كاورو: «يا للروعة. لا بد أنه أمر صعب أن تكون شقيقتك

الكبرى فائقة الجمال إلى هذا الحد. ولكن على أية حال، دعينا نغير الموضوع، ما الذي تفعله فتاة مثلك حتى تتسكع هكذا طول الليل في مثل هذا المكان؟»

- فتاة مثلي؟

- ما أعنيه هو أن أي شخص يمكنه أن يستشف أنك فتاة محترمة.

- كل ما في الأمر أنني لم أرغب في العودة إلى البيت.

- هل تشاجرت مع أسرتك؟

تهز ماري رأسها. «لا، ليس هذا هو السبب. كنت أريد أن أكون وحدي وحسب في مكان ما غير المنزل. حتى الصباح».

- هل فعلت ذلك من قبل؟

تلزم ماري الصمت.

كاورو: «أعتقد أن ذلك ليس من شأني، ولكن حتى أكون صادقة معك، فهذا الحي ليس بالمكان الذي ينبغي للفتيات المحترمات أن يمضين فيه الليل. إنه يجذب إليه بعضاً من الأشخاص شديدي الخطورة الذين يتسكعون فيه. أنا نفسي دخلت في بضع مشاجرات عنيفة. وخلال الوقت الذي يفصل بين انطلاق آخر قطار في الليل ووصول أول قطار في الصباح، يتغير المكان؛ ولا يصبح هو نفسه الذي ترينه خلال النهار».

تلتقط ماري قبعتها من فوق طاولة البار وتأخذ في مداعبة طرف القبعة وهي تفكر. في النهاية، تصرف هذه الأفكار بعيداً

وتقول في لطف ولكن بحزم: «معذرة ولكن هل تمانعين لو تحدثنا في شيء آخر؟»

تقبض كاورو على بضعة حبات من الفول السوداني وتقذف بها في فمها، ثم تقول: «لا أمانع أبداً. لنتحدث عن شيء آخر».

تتناول ماري علبة من سجائر «كاميل» من جيب سترتها وتُشعل واحدة بقداحتها.

تصيح كاورو مستغربة: «آه. إنك تدخنين!»

- من حين إلى آخر.

- حتى أكون صريحة معك، فهذا لا يليق بك.

تحمرّ ماري خجلاً، غير أنها تستطيع أن ترسم ابتسامة قلقة بعض الشيء.

كاورو: «هل يمكن أن تعطيني واحدة؟»

- بكل تأكيد.

تضع كاورو سيجارة «كاميل» في فمها ثم تشعلها بقداحة ماري. تبدو في الحقيقة أكثر طبيعية من ماري وهي تدخن.

- هل لديك صاحب؟

تهز ماري رأسها هزة خفيفة. «ليس لدي رغبة كبيرة حالياً في أن أتخذ صاحباً».

- هل تميلين أكثر للفتيات؟

- لا، ليس كذلك. لست أدري.

تنفث كاورو دخان سيجارتها وتصغي للموسيقى. يبدو على وجهها الآن أثر الإعياء وأنها تحاول الاسترخاء قليلاً.

ماري: «كنت أود أن أسألك سؤالاً. لماذا تسمين فندقك ألفافيلا؟»

- أنا نفسي أتساءل. ربما مالكه هو من أسماه. كل فنادق العشاق تحمل هذه الأسماء الغريبة. أعني أنها مخصصة فقط لرجال ونساء يأتون إليها ويشبعون رغباتهم. كل ما تحتاجينه فيها هو سرير وحوض استحمام. لا أحد يعبأ بالاسم ما دام أنه يبدو مثل أسماء فنادق العشاق، لكن لماذا تسألين؟

- ألفافيلا هو عنوان أحد أفلامي المفضلة الذي أخرجه جون لوك جودارد.

- لم أسمع عنه قط.

- إنه فيلم قديم جداً. يعود إلى فترة الستينيات.

- ربما سُمي الفندق باسم الفيلم. سوف أسأل المالك عندما أراه المرة القادمة. لكن ما معنى ألفافيلا؟

ماري: «إنه اسم لمدينة خيالية في المستقبل القريب. تقع في مكان ما على درب التبَّانة».

- آه، تقصدين أنه خيال علمي. مثل فيلم حرب النجوم؟

- لا، إنه لا يشبه فيلم حرب النجوم على الإطلاق. لا يوجد به مؤثرات خاصة، ولا إثارة. إنه أكثر خيالية. أسود وأبيض، وبه الكثير من الحوار، إنهم يعرضونه في مسارح الفن..

- ماذا تقصدين بخيالية؟

- حسناً، إذا بكيت في مدينة ألفافيلا، فإنهم سوف يعتقلونك ويشنقونك أمام الملأ.

- لماذا؟

- لأنه في ألفافيلا، ليس مسموحاً لأحد أن يحتفظ بمشاعر عميقة. لذا فليس هناك شيء اسمه الحب. لا تناقضات ولا مفارقات. إنهم يؤدون كل شيء وفقاً لصيغ رقمية.

تعقد كاورو حاجبيها: «مفارقات؟»

- المفارقة هي أن تتبنين وجهة نظر موضوعية أو مقلوبة عن شخص أو عن شيء يعود إلى شخص وتكتشفين ما ينطوي عليه من غرابة.

تطرق كاورو لبرهة تفكر في تفسير ماري وتقول: «لم أفهم ذلك حقاً. ولكن قولي لي: هل توجد ممارسة للجنس في مدينة ألفافيلا؟»

- نعم، هناك جنس في ألفافيلا.

- جنس لا يحتاج إلى حب أو إلى مفارقة.

- بالضبط.

تضحك كاورو من قلبها: «إذن، عندما تفكرين في الأمر، فإن اسم ألفافيلا ربما هو الاسم الأمثل لفندق من فنادق العشاق».

يدخل رجل مهندم في منتصف عمره قصير القامة ويجلس عند طرف طاولة البار. يطلب شراب كوكتيل ويتحدث مع الساقي حديثاً هامساً. يبدو أنه معتاد على القدوم إلى الحانة، وهو يجلس في مقعده المعتاد ويطلب الشراب المعتاد. إنه واحد من الأشخاص مجهولي الهوية الذين يسكنون المدينة ليلاً.

تسأل ماري كاورو: «قلت لي إنك كنت مصارعة محترفة؟»

- نعم، كنت كذلك لفترة طويلة. لقد كنت دائماً الأضخم جسماً وكنت مصارعة جيدة، ولذلك اكتشفوني في المدرسة الثانوية. ذهبت مباشرة إلى الحلبة، وصارعت ضد فتيات شرسات طول الوقت بهذا الشعر الأشقر المجنون وبهذين الحاجبين الحليقين ووشم العقرب الموجود فوق كتفي. كنت أظهر أحياناً على شاشات التلفاز. لعبت مباريات في هونغ كونغ وتايوان وغيرهما، وكذلك في ناد شعبي محلي - ناد صغير. أظن أنك لا تشاهدين مصارعة المحترفين النسائية؟

- لا لم أشاهدها قط.

- حسناً، إنها أسوأ طريقة يمكن لشخص أن يكسب قوته من خلالها أيضاً. تعرضت لإصابة في ظهري واعتزلتها عندما كنت في التاسعة والعشرين. كنت امرأة شرسة داخل الحلبة، لذلك كان التعرض لشيء مثل الإصابة أمراً وارداً. كنت عنيفة ولكن لكل شيء حدود. بالنسبة لي فهذا شيء يرتبط بالشخصية. لا أعرف الوسط في أي شيء. أظنني أدخل البهجة على قلوب الجمهور. عندما يبدؤون في الزئير، يَجن جنوني وأجدني أقوم بأضعاف ما هو مطلوب مني. لذا أشعر الآن بهذه الوخزة في ظهري كلما هطلت الأمطار لبضعة أيام. وعندما يبدأ ذلك، لا أستطيع إلا أن أستلقي على بطني طوال اليوم. إنني أعيش حالة من الفوضى.

تدير كاورو رأسها حتى طقطقت عظام رقبتها: «عندما كنت مشهورة، كنت أجني أموالاً كثيرة وكان لدي مشجعون يزحفون خلفي، ولكن بمجرد أن اعتزلت لم يبقَ شيء من ذلك. أين ذهبت

الأموال كلها؟ نعم، شيدت منزلاً لوالديّ في ياماجاتا، لذا كنت فتاة بارّة بهما، أما بقية الأموال فقد ذهبت لسداد ديون القمار التي تراكمت على شقيقي الأصغر أو أُستنفدت من قبل أقارب كنت بالكاد أعرفهم أو تبخرت في استثمارات مشبوهة اقترحها عليّ مسؤول بنكي. بمجرد أن حدث ذلك، انصرف الناس جميعاً عني. شعرت بالأسى للحماقة التي اقترفتها في حق نفسي على مدى العشر سنوات الماضية. أنا على أعتاب الثلاثين من عمري وبدأت أهترئ وليس لي أي مدخرات في البنك. لذلك كنت حائرة حول ما سأفعله في ما بقي من عمري عندما قدّمني أحد مشجعيني لصاحب هذا المكان وهو يقول لي، لماذا لا تصبحين مديرة لفندق عشاق؟ مديرة؟ عجباً، ألا ترى أنني أصلح لأن أكون قوادة أو حارسة شخصية أكثر ممّا أصلح لذلك».

تزدرد كاورو ما بقي من البيرة. ثم تنظر في ساعتها.

تسألها ماري: «ألا يتعين عليك العودة إلى عملك؟»

- إذا كنت تعملين في فندق عشاق، فهذا هو الوقت الذي يمكنك ألا تقلقي بشأنه. فحركة القطارات توقفت ومعظم الزبائن سيمضون الليلة في الفندق ولن تحدث أشياء كثيرة حتى طلوع الصبح. بإمكانك القول بأنني في نوبة عمل، ولكن لا أحد سوف يوبخني على احتسائي لكأس من البيرة.

- إذن هل تعملين طول الليل ثم تعودين إلى البيت؟

- حسناً، لدي شقة يمكنني الذهاب إليها، ولكن ليس لدي ما يمكنني عمله هناك ولا أحد بانتظاري. أُمضي أكثر الليالي في

الغرفة الخلفية للفندق وأبدأ العمل بمجرد استيقاظي من النوم. ما الذي ستفعلينه الآن؟

- أحاول قتل الوقت بقراءة كتاب في مكان ما.

- هل تعرفين أنه بوسعك تمضية ذلك الوقت لدينا إذا كنت لا تمانعين. يمكننا استضافتك في إحدى الغرف غير المشغولة - لدينا الليلة بضع غرف خالية. إنه أمرٌ مؤسف نوعاً ما أن تمضي ليلة في فندق عشاق بمفردك، ولكنه رائع كمكان للنوم. إن الأَسرة هي ما لدينا منه الكثير هنا.

تومئ ماري إيماءة خفيفة، إلا أنها كانت قد عقدت عزمها. «أشكرك، سوف أتدبر أمر نفسي».

- حسناً، إذا كان هذا هو رأيك.

- هل تكاهاشي يتدرب في مكان ما بالقرب من هنا؟ أقصد فرقته.

- آه، نعم، تكاهاشي. سوف يظلون ينوحون طول الليل في قبو البناية. البناية تقع في نهاية هذا الشارع. هل ترغبين في الذهاب وإلقاء نظرة؟ إنهم يحدثون ضوضاء رهيبة رغم ذلك.

- لا، أنا على ما يرام. كنت أسأل وحسب.

- آه. حسناً. إنه فتى لطيف. يوماً ما سيكون له شأن. قد يبدو أحمق نوعاً ما، ولكنه رزين جداً في حقيقته. ليس سيئاً على الإطلاق.

- وكيف تعرفتي عليه؟

تزم كاورو شفتيها بقوة. «هذه حكاية مسلية، ولكن من الأفضل أن تسمعيها منه مباشرة وليس مني».

تدفع كاورو قيمة الفاتورة.

- ماري، ألن يجن جنون أسرتك لقضائك الليلة كلها خارج المنزل؟

- إنهم يظنون أنني أقيم في منزل إحدى صديقاتي. ووالداي لا يقلقان بشأني على هذا النحو مهما فعلت.

- أُراهن أنهما يتركانك بمفردك لاعتقادهما بأن بوسعك أن تتدبري أمورك.

لم ترد ماري على هذه الملاحظة.

كاورو: «ولكن ربما لا تستطيعين أحياناً تدبير أمورك».

تعقد ماري حاجبيها: «ما الذي يجعلك تظنين ذلك؟»

- المسألة ليست مسألة أظن أو لا أظن. إنها شيء مرتبط بكونك في التاسعة عشرة من العمر. كنت مثلك في التاسعة عشرة ذات مرة. إنني أعرف ماذا يعنيه ذلك.

تنظر ماري إلى كاورو. توشك أن تقول شيئاً ما، ولكنها تقرر أنها لن تستطيع التلفّظ به على نحو صحيح، فتغير رأيها.

كاورو: «مطعم سكايلارك قريب من هنا. سوف أصحبك إلى هناك. مديره صديقٌ لي، ولذلك سوف أطلب منه أن يُعنى بك. سوف يسمح لك بالبقاء هناك حتى الصباح. هل يناسبك هذا؟»

تومئ ماري. تنتهي الأسطوانة، ويرفع القرص الدوار الإبرة

تلقائياً، ويستقر ذراع النغم في مكانه. يدنو النادل من مشغل الموسيقى لتغيير الأسطوانة. يرفع أسطوانة الفونوغراف ويضعها في غلافها. ثم يمسك بالأسطوانة التالية، ويتفحص سطحها تحت الضوء ثم يضعها فوق القرص الدوار. يضغط زراً فتنزل الإبرة على الأسطوانة. يُسمع احتكاك طفيف. ثم تبدأ مقطوعة «السيدة الراقية» أو Sophisticated Lady لـ«ديوك إلينجتون» في العزف. تمنح الحركة الوئيدة للنادل المكان إيقاعاً خاصاً فيما يخصّ مرور الزمن.

تسأل ماري النادل: «ألا تشغِّل شيئاً آخر سوى أسطوانات الغرامافون؟»

يجيب: «لا أحب أسطوانات أقراص السي دي المدمجة».

- ولماذا لا تحبها؟

- لأنها شديدة اللمعان.

تتدخل كاورو وتسأل النادل: «هل أنت غُراب؟»

ماري: «ولكن انظري إلى الوقت الذي يستغرقه لتغيير الأسطوانة؟»

يضحك النادل: «لقد انتصف الليل. وليس هناك أي قطارات حتى الصباح. فيمَ العجلة إذن؟»

تحذر كاورو ماري: «تذكري، هذا الرجل غريب الأطوار قليلاً».

يقول النادل بصوت عالٍ وهو يوقد عوداً من الثقاب ليشعل سيجارة: «هذا صحيح بالرغم من أن الوقت يمر بإيقاع خاص في منتصف الليل، لكن ليس بوسعك مقاومة ذلك».

ماري: «لقد اعتاد عمي أن يحتفظ بالكثير من الأسطوانات. معظمها كانت أسطوانات لموسيقى الجاز. لم يستطع أبداً أن يحمل نفسه على حبّ صوت الأقراص المدمجة (السي دي). اعتاد أن يشغل ما لديه من أسطوانات عندما أذهب إليه. كنت صغيرة للغاية ويصعب علي أن أفهم الموسيقى، ولكني كنت دائماً أحب رائحة أغلفة الأسطوانات القديمة وصوت الإبرة وهي تستقر في مكانها».

يومئ النادل دون أن يتكلم.

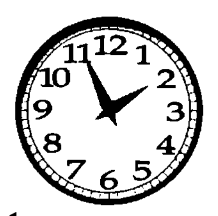
تقول ماري وهي تنظر إلى كاورو: «لقد تعرفت أيضاً على أفلام جون لوك جودارد أيضاً من العم ذاته».

تسأل كاورو: «إذن كنت أنت وعمّك متشابهين في المزاج، أليس كذلك؟»

تجيب ماري: «كنا متشابهين جداً. فقد كان أستاذاً، ولكنه كان أيضاً منغمساً في الملذات. مات فجأة قبل ثلاث سنوات لعلة أصابت قلبه».

يقول النادل لماري: «تعالي في أي وقت تشائين. إنني أفتح في السابعة مساء كل ليلة، عدا أيام الأحاد».

تشكره ماري وتلتقط علبة ثقاب من فوق البار وتدسها في جيب سترتها. تنزل من فوق المقعد. يتعقّب صوت الإبرة تجاويف الأسطوانة. يُسمع صوت الموسيقى الهادئة الذي يدغدغ الغرائز لـ «ديوك إلينغتون». . إنها موسيقى تتماشى مع انتصاف الليل.



الساعة 1:56 ليلاً

مطعم سكايلارك. لافتة نيون كبيرة الحجم. تظهر عبر النافذة منطقة مقاعد ساطعة. لا يضاهي هذا السطوع سوى الضحكات التي تصدر عن مجموعة من الفتيان والفتيات - يحتمل أنهم طلبة جامعيين، يجلسون إلى طاولة كبيرة. هذا المكان يفوق في حيويته مطعم دينيز بكثير. لا تستطيع عتمة الليل البهيم في الشوارع أن تتسلل إلى هنا.

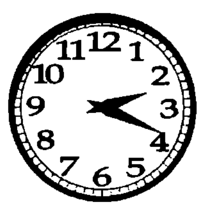
تغسل ماري يديها في حمام سكايلارك. لم تعد تعتمر قبعتها - أو ترتدي نظارتها. ينساب من مكبر صوت مثبت بالسقف صوت أغنية قديمة ناجحة لفرقة «بت شوب بويز» هي أغنية «الغيرة». توجد حقيبة الكتف الخاصة بماري إلى جانب الحوض. تغسل يديها بعناية فائقة مستخدمة الصابون السائل من القنينة. يبدو أنها تزيل مادة لزجة علقت بأصابعها. تنظر إلى وجهها في المرآة ما بين الفينة والأخرى. تغلق صنبور المياه وتتفحص أصابعها العشرة تحت المصباح ثم تجففهم بورق التجفيف. ثم تميل نحو المرآة وهي تحدق في انعكاس وجهها على المرآة كما لو أنها تتوقع حدوث شيء ما. لا تريد أن يفوتها أي تغيير مهما كان طفيفاً. ولكن لا شيء يحدث. تضع يديها فوق الحوض وتغمض عينيها، وتبدأ في

العد، ثم تفتح عينيها مرة أخرى. مرة أخرى تتفحص تفاصيل وجهها، ولكن دون أن تجد علامة توحي بأي تغيير.

تمشّط أهدابها وتُعيد ضبط كنزتها التي ترتديها أسفل سترتها الشبابية. ثم، وكأنها تحث نفسها، تعض على شفتها وتومئ لنفسها مرات عديدة. تعض ماري التي تظهر في المرآة على شفتها أيضاً وتومئ مرات عديدة. تضع الحقيبة في كتفها وتغادر الحمام. يُغلَق الباب.

تراوح كاميرا رؤيتنا هنا لبعض الوقت، وهي تراقب الحمام. لم يعد لماري وجود هنا. وما من أحد آخر هناك. يتواصل عزف الموسيقى المنسابة من مكبر الصوت المثبت في السقف. الآن أغنية: «القاعة والشوفان»: «لا يمكنني الذهاب إلى ذلك الحد». تكشف نظرة فاحصة أن صورة ماري ما زالت منعكسة على المرآة التي تعلو الحوض. تنظر ماري التي في المرآة من ناحيتها إلى هذه الناحية. يبدو أن تحديقتها الكئيبة تتوجس شيئاً ما. ولكن ليس هناك من أحد في هذه الناحية. لم يعد هناك سوى صورتها في مرآة مرحاض سكايلارك.

تغمر الظلمة المكان. وفي عمق الظلمة، يتواصل عزف أغنية «لا يمكنني الذهاب إلى ذلك الحد».



الساعة 19 : 2 ليلاً

6

مكتب فندق ألفافيلا. تجلس كاورو أمام جهاز كمبيوتر وتبدو في مزاج سيئ. يظهر على الشاشة فيلماً التقطته كاميرا المراقبة عند مدخل الفندق الأمامي. الصورة واضحة. يظهر الوقت في إحدى زوايا الشاشة. بينما تقارن ملاحظاتها المدونة بقلم رصاص بالوقت الظاهر على الشاشة، تستخدم كاورو الفأرة لتسريع الصورة وإيقافها. يبدو أن العملية لا تسير على ما يرام. فمن حين إلى آخر تنظر إلى السقف وهي تتنهد.

تدلف إلى المكتب كل من كوموجي وكوروجي.

تسألها كوموجي: «ماذا تفعلين كاورو؟»

وتضيف كوروجي: «كفى، واضح أنك لستِ سعيدة!»

تجيب كاورو وهي تدقق النظر في الشاشة: «أشاهد فيلماً التقطته كاميرا المراقبة. لو استطعنا أن ندقِّق النظر في الفيلم في ذلك الوقت تقريباً، لاستطعنا على الأرجح أن نتعرف على الشخص الذي اعتدى عليها».

تقول كوموجي: «ولكن جميع أنواع الزبائن يأتون ويذهبون. هل تظنين أنه باستطاعتنا أن نحدد أيهم اقترف ذلك؟»

تضرب أصابع كاورو الغليظة بخفّة على المفاتيح. «كل الزبائن الآخرين كانوا يأتون اثنين اثنين، ولكن ذلك الفتى جاء وحده وانتظر المرأة في الغرفة. لقد أخذ مفتاح غرفة 404 في الساعة 10:52، ثم تم إيصالها إلى الفندق على ظهر دراجة نارية بعد عشر دقائق من ذلك. إننا نعرف كل ذلك من خلال «ساساكي» في مكتب الاستقبال».

كوموجي: «إذن كل ما عليك فعله هو أن تنظري في اللقطات من الساعة العاشرة واثنتين وخمسين دقيقة».

كاورو: «صحيح، ولكن الأمر ليس بالسهولة التي يبدو عليها. لست أدري ما الذي أفعله بحق الجحيم بهذه التكنولوجيا الرقمية».

كوموجي: «العضلات لا تفيد كثيراً، أليس كذلك؟»

- هل فهمت ما أقصد؟

تقول كوروجي وقد علت ملامحها علامات الجدية: «أعتقد أن كاورو ربما ولدت في الزمن الخطأ».

كوموجي: «نعم، بحوالي ألفي عام تقريباً».

كوروجي: «إنه تماماً كما تقولين».

كاورو: «هل فهمتما ما أريده تماماً؟ هل يمكنكما القيام بذلك العمل؟»

قاطعاها في صوت واحد: «مستحيل!»

أدخلت كاورو الوقت الذي تريده في خانة البحث ثم ضغطت

على فأرة الكمبيوتر، لكنها لم تستطع الحصول على اللقطات الصحيحة. يبدو أنها تستخدم التسلسل الخطأ. تعبِّر عن إحباطها. تلتقط الدليل وتقلب صفحاته، ولكنها لا تستطيع أن تفهمه، فيتملكها اليأس، وتلقي به على المكتب.

- ما الذي أفعله بحق الجحيم؟ إن هذا يجب أن يأتي باللقطات التي أريدها بالضبط، ولكنه لا يأتي بها. ليت تكاهاشي كان هنا. كان سيأتي بها في لمح البصر.

كوموجي: «لكن مع ذلك، كاورو، وحتى إن تعرفت على ذلك الفتى، ما الذي بوسعك أن تفعليه؟ إنك لا تستطيعين حتى إبلاغ الشرطة».

كاورو: «لن أقرب رجال الشرطة طالما كنت أستطيع ذلك. لست أباهي أو أي شيء».

- إذن ماذا ستفعلين؟

كاورو: «سوف أفكر في ذلك عندما يحين الوقت. هذه هي الطريقة التي اعتدت عليها: لا يمكنني أن أقف متفرجة وأدع مثل هذا الوغد يقترف ما اقترف. إنه يظن أن كونه أقوى، فإن بإمكانه أن يضرب امرأة ويجردها من كل ما كان لديها، ثم يلوذ بالفرار. وفوق كل ذلك، فإنه لم يسدد ثمن فاتورة الفندق».

كوروجي: «لا بد أن يمسِك أحدٌ بهذا الوغد ويوسعه ضرباً حتى يشرف على الموت».

كاورو بإيماءة نشطة: «ولكنه لن يكون أحمق إلى الحد الذي

يجعله يطل بوجهه هنا مرة ثانية. ولا للحظة على الأقل. ومن الذي لديه وقت للبحث عنه؟»

كوموجي: «إذن ماذا ستفعلين؟»

- مثلما قلت، سوف أفكر في ذلك عندما يحين الوقت.

تضغط بشدة على الفأرة وقد تملكها اليأس تقريباً، ثم تنقر نقرتين عشوائياً على رمز، فتظهر بعد بضع ثوانٍ شاشة الـ10:48 على الشاشة.

- أخيراً.

كوموجي: «لو أنك لم تنجحي في أول الأمر..»

- أراهن أنك أخفتِ الكمبيوتر.

أخذت الثلاثة تحدقن في الشاشة في صمت فيما يحبسن أنفاسهن. شابان يأتيان عند الساعة 10:56. إنهما على الأرجح طالبان. من الواضح أنهما متوتران. يقفان أمام صور الغرف، وقفا عند الأولى، ثم الثانية، وفي النهاية اختارا الغرفة 302. يضغطان على الزر، ويأخذان المفتاح، وبعد أن جالا في المكان بحثاً عن المصعد، استقلاّه.

كاورو: «إذن هذان هما الضيفان اللذان نزلا في الغرفة رقم 302».

كوموجي: «الغرفة 302، إنهما يبدوان بريئي الملامح،

ولكنهما أصبحا شرسين في الداخل. ينبغي أن ترين المكان بعد أن غادراه».

كوروجي: «ماذا في ذلك؟ إنهما شابان. إنهما يدفعان من أجل القدوم إلى مثل هذا المكان حتى يصبحان عدوانيين».

كوموجي: «حسناً، أنا ما زلت شابة، ولكني لا أصبح عدوانية».

كوروجي: «هذا لأنك غير مستثارة جنسياً بما يكفي».

كوموجي: «هل تظنين ذلك؟ يهمني أن أعرف...»

كاورو: «مهلاً، الآن تأتي رقم 404. كُفّا عن الكلام وشاهدا».

يظهر رجل على الشاشة. الوقت هو 10:52.

إنه يرتدي معطفاً واقياً من المطر، ويبدو في أواخر الثلاثينيات من عمره، وربما يناهز الأربعين. يرتدي ربطة عنق وحذاء مثل مندوب شركة. يضع نظارة ذات إطار صغير. لا يحمل أي شيء معه؛ يدسّ يديه في جيوب معطفه الواقي من المطر. كل شيء فيه يوحي بأنه شخص عادي - الطول والقوام وتسريحة الشعر. إذا مررت به في الشارع، فلن يترك لديك أدنى انطباع.

كوموجي: «يبدو شخصاً عادياً جداً».

تردّ كاورو وهي تحكّ ذقنها: «إنّ هؤلاء الذين يبدون عاديين هم الأكثر خطورة. إنهم يحملون معهم أطناناً من الضغوط..»

ينظر الرجل في ساعته، وبدون تردّد، يأخذ مفتاح الغرفة

404. يقفز بسرعة نحو المصعد، ويتلاشى من الشاشة.

توقف كاورو الصورة وتسأل الفتاتين: «تُرى ماذا يعني هذا؟»

كوموجي: «يبدو أن هذا الشخص موظف في شركة ما».

تهز كاورو رأسها وهي تنظر نحو كوروجي بتقزز واضح. «لا أريدك أن تخبريني أن شخصاً يلبس بذلة وربطة عنق في هذا الوقت من النهار يجب أن يكون مسؤولاً في شركة وفي طريق عودته إلى منزله قادماً من العمل».

كوموجي: «معذرة».

تقدم كوروجي رأيها: «أظن أنه اقترف مثل هذا الشيء مراراً وتكراراً. إنه يعرف طريقه. ولا يبدو عليه تردد».

كوموجي: «هل تعنين أن هذه ليست هي المرة الأولى له هنا؟»

كوروجي: «بعبارة أخرى، إنه أحد زبائننا المنتظمين».

كاورو: «يحتمل ذلك. والأرجح أنه اشترى نساءه بالطريقة نفسها من قبل أيضاً».

كوموجي: «بعض الأشخاص يهوون التخصُّص في الصينيات».

كاورو: «الكثير من الأشخاص. إذن فكِّرن في ذلك: إنه مسؤول شركة وتردّد إلى هنا بضع مرات. هناك احتمال كبير أنه يعمل في شركة في محيط هذه المنطقة».

كوموجي: «معك حقك..»

كوروجي: «وهو يعمل في نوبة العمل الليلي كثيراً».

تنظر كاورو بتجهم في وجه كوروجي: «من أين لك بهذه الفكرة؟ إنه يعمل في عمل نهاري، ويتوقف بعض الوقت لاحتساء بعض البيرة، فينتابه إحساس بالنشوة، ويشتاق لامرأة. هذا ما يمكن أن يكون قد حدث».

كوروجي: «نعم، ولكن هذا الشخص لم يكن يحمل أي شيء. لقد ترك متعلقاته في مكتبه. لو أنه كان عائداً إلى بيته، لكان قد حمل معه شيئاً - مثل حقيبة أو مظروف بني اللون أو أي شيء آخر. لا أحد من مسؤولي الشركات هؤلاء ينتقل خالي اليدين. وهو ما يعني أنه كان عائداً إلى مكتبه لمزيد من العمل. ذلك هو ما أعتقد أنه حدث».

كوموجي: «إذن هل هو يعمل طوال الليل؟»

كوروجي: «هناك الكثير من الأشخاص على هذه الشاكلة. يسهرون في مكاتبهم ويعملون حتى الصباح. وخصوصاً هؤلاء الذين يعملون في مجال برمجيات الكمبيوتر. إنهم يبدؤون في العبث بالأجهزة بعد أن يكون كل شخص قد ذهب إلى منزله ولم يعد هناك من أحد حولهم. إذ لا يمكنهم أن يغلقوا النظام خلال ساعات العمل المعتادة، ولذلك يسهرون في أماكن عملهم حتى الثانية أو الثالثة صباحاً، ثم يستقلون سيارة أجرة عائدين إلى منازلهم. والشركة هي ما تدفع أجرة التاكسي من خلال الفواتير».

كوروجي: «حسناً، لم أكن دائماً أفعل مثل هذه الأشياء. كنت أعمل في شركة. كانت شركة جيدة أيضاً».

كوموجي: «أحقاً؟»

كوروجي: «بالطبع، كنت أعمل بجدية. ذلك هو ما يجب أن يفعله المرء في شركة».

كوموجي: «إذن لماذا. . . ؟»

تصرخ فيهما كاورو: «هل يمكنكما أن تصمتا. هل هناك ما يُلزمكما بالحديث عن ذلك. بإمكانكما أن تثرثرا حول ذلك الهراء في مكان آخر».

كوموجي: «معذرة».

تُعيد كاورو الفيلم إلى الساعة 52 : 10 وتضبطه على التشغيل لقطة لقطة، ثم توقفه من نقطة إلى أخرى وتكبِّر صورة الرجل في مراحل. ثم عندئذٍ تطبع الصورة لتخرج صورة ملونة كبيرة الحجم لوجه الرجل.

كوموجي: «مذهل!»

كوروجي: «يا للروعة! انظري ما يمكنك عمله! وكأننا في فيلم «بليد رانر» "Blade Runner"».

كوموجي: «أظن أنه بارع، ولكن العالم يصبح الآن مكاناً مخيفاً جداً عندما تقف وتتأمل فيه. ولا يمكنك أن تدخل إلى فندق عشاق في أي وقت تشاء».

كاورو: «إذن من الأفضل ألا تفعلا أي شيء سيئ عندما تخرجان. فلا يمكنكما أن تعرفا ما إذا كانت توجد إحدى كاميرات المراقبة».

كوموجي: «للجدران آذان - وكاميرات رقمية».

كوروجي: «صحيح، يجب عليك أن تشاهدي ما تفعلينه».

تطبع كاورو خمس صور. كلتا المرأتين تتفحصان وجه الرجل.

كاورو: «التكبير يبدو حُبيبي النوع، ولكن بوسعكما أن تحددا تماماً شكله، أليس كذلك؟»

كوموجي: «أنا على يقين أنني سأتعرف عليه إن قابلته في الشارع».

تلوي كاورو رقبتها، فيسمع صوت طقطقة رقبتها فيما تجلس هناك وهي تفكر. وأخيراً، خطرت ببالها فكرة: «هل حدث أن استخدمت أي منكما هاتف المكتب هذا بعدما غادرت؟»

هزت كلتا المرأتين رأسيهما.

كوموجي: «لم أفعل ذلك».

كوروجي: «ولا أنا فعلت».

كاورو: «وهو ما قد يعني أن أحداً لم يطلب أي أرقام بعدما استخدمت الفتاة الصينية هذا الهاتف؟»

كوموجي: «لا، إنني لم ألمسه قط».

كوروجي: «وأنا لم ألمسه ولو بإصبع».

ترفع كاورو السماعة، وتأخذ نفساً، ثم تضرب زر إعادة الاتصال.

بعد رنتين، رفع رجل السماعة على الطرف الآخر ورطن بشيء باللغة الصينية.

كاورو: «مرحباً، إنني أتصل من فندق ألفافيلا. هل تعرف أن نزيلاً لدينا قد اعتدى على إحدى فتياتكم في الساعة الحادية عشرة

تقريباً؟ حسناً، لدينا صورة الشخص. حصلنا عليها من خلال كاميرات المراقبة. أظن أنك قد تحتاج واحدة من هذه الصور».

أعقبت ذلك بضعة لحظات من الصمت. وعندئذٍ قال الرجل باليابانية، «انتظري للحظة».

كاورو: «سوف أنتظر. حتى النهاية».

يدور بعض النقاش على الطرف الآخر. وهي تضع أذنها على السماعة، تعبث كاورو بقلم بين أصابعها. أما كوموجي فتغني بصوت عالٍ أغنية مستخدمة طرف المقشّة كميكروفون: «الثلوج تتساقط... ولكن أين أنت؟ سوف أظل أنتظر... حتى النهاية..»

يعود الرجل إلى الهاتف. «هل الصورة جاهزة الآن؟»

كاورو: «أخرجتها تواً من الطابعة».

- كيف حصلتِ على هذا الرقم؟

- إنهم يدخلون كل الخصائص الملائمة في الأجهزة العصرية.

تمر بعد ذلك بضعة ثوان أخرى. يقول الرجل: «سوف أكون هناك في غضون دقائق».

- سوف أكون عند المدخل الأمامي.

انقطع الاتصال. انقبضت أسارير وجه كاورو وأعادت السماعة إلى مكانها. مرة أخرى برزت عظام رقبتها الغليظة. وخيَّم الصمت على الغرفة.

تتحدث كوموجي متلعثمة. «ماذا هناك... كاورو؟»

- ماذا؟

- أحقاً ستقدمين الصورة إلى هؤلاء الأشخاص؟

- لقد سمعت ما قلته من قبل. لن أدع هذا الوغد يفلت بفعلته واعتدائه على هذه الفتاة البريئة. أكاد أجنّ لأنه لم يسدِّد فاتورة إقامته في الفندق. وفوق ذلك، انظري إلى وجه هذا الوغد. لا يمكنني احتمال ذلك.

كوموجي: «صحيح، ولكن إن وجدوه، فربما علقوا به صخرة وألقوه في خليج طوكيو. إذا تورطت في مثل هذا الشيء، فسوف تجدين نفسك أمام عواقب وخيمة».

ما زالت كاورو منقبضة الأسارير: «لا. لن يقتلوه. والشرطة لا تعبأ عندما يقتل هؤلاء الصينيون بعضهم بعضاً، ولكن الأمر يختلف عندما يشرعون في قتل اليابانيين المحترمين. هنا تبدأ القلاقل. لا، إنهم سوف يمسكون به ويلقنونه درساً، وربما يقطعون له أذناً».

كوموجي: «يا إلهي!»

كوروجي: «شيء مثل فان غوخ».

كوموجي: «ولكن حقاً، كاورو، هل تعتقدين أنهم يستطيعون العثور على الرجل اعتماداً على الصورة وحسب؟ أعني أننا في مدينة تغصّ بساكنيها!»

كاورو: «هذا صحيح، ولكن هؤلاء الرجال عندما يعزمون على شيء، فإنهم لا يفلتونه. تلك هي طريقتهم في التعامل مع مثل هذه الأمور. فإذا أفلت أحد المتسكعين من عقابهم بعد أن ضايقهم، فلن يستطيعوا السيطرة على فتياتهم، وسيفقدون هيبتهم

أمام العصابات الأخرى. ولن يمكنهم البقاء في ذلك العالم إذا فقدوا هيبتهم».

تلتقط كاورو سيجارة من فوق سطح المكتب، وتضعها في فمها، ثم تُشعلها بعود ثقاب. تزم شفتيها، ثم تنفث زفرة دخان طويلة في شاشة الكمبيوتر.

كانت صورة وجه الرجل المكبرة تظهر على الشاشة المتوقفة.

انقضت عشر دقائق فيما كاورو وكوموجي تنتظران بالقرب من الباب الأمامي للفندق. ترتدي كاورو المعطف الجلدي نفسه الذي كانت ترتديه من قبل، فيما تُحكم قبعتها المصنوعة من الصوف حتى تكاد تلامس عينيها. أما كوموجي فترتدي سترة واسعة وسميكة وتمسك بطوقها اتقاء للبرد. سرعان ما وصل الرجل الذي جاء لاصطحاب المرأة على دراجته البخارية الكبيرة. يوقف الدراجة على بعد خطوات قليلة من المرأتين، لكن مرة ثانية يبقي المحرك مُشغَّلاً. يخلع خوذته ويضعها فوق خزان الوقود، ثم يخلع قفاز يده اليمنى ببطء. يدسّ القفاز في جيب معطفه ثم يقف مكانه متأهباً. من الواضح أنه لن يراوح مكانه. تندفع كاورو باتجاهه وهي تمسك بثلاثة نسخ من الصورة.

تقول: «إنه يعمل على الأرجح في شركة بالقرب من هنا. أظنّ أنه يعمل كثيراً خلال الليل، أنا واثقة تماماً أنه قد تردد إلى هنا وطلب فتيات من قبل. ربما يكون أحد زبائنكم».

يأخذ الرجل الصور ثم يحدق فيها لبضع ثوان. لا يبدو أنها أثارت لديه أي اهتمام خاص.

يسأل وهو ينظر نحو كاورو: «إذن؟»

- ماذا تعني بإذن؟

- لماذا تعطيني هذه الصور؟

- ظننت أنك سترغب في رؤيتها. ألا تريد ذلك؟

بدلاً من أن يجيبها، إذ بالرجل يفتح سحّاب سترته ويضع الصور بعد أن طواها من منتصفها داخل ما يشبه كيساً للوثائق يتدلى فوق صدره. ثم يرفع السحاب إلى أعلى حتى رقبته. يُبقي عينيه مسلطتين على كاورو طوال الوقت.

يحاول الرجل أن يفهم ما الذي تريده كاورو في مقابل تزويدها إياه بهذه المعلومات، ولكنه يرفض أن يسأل هذا السؤال. يحافظ على وضعية وقوفه، وهو يغلق فمه، وينتظر أن يأتيه الجواب. ولكن كاورو تواجهه بذراعين مضمومتين مثلما هو الحالِ مع ذراعيه، وهي تصوب نحوه تحديقتها الباردة. إنها لن تتراجع هي الأخرى. تستمر هذه التحديقة الخانقة لبعض الوقت. وأخيراً، تكسر كاورو حاجز الصمت بنحنحة جاءت في وقتها لتنظيف حنجرتها.

- لا أريد منك سوى أن تخبرني إن وجدته، اتفقنا؟

يقبض الرجل على مقود الدراجة بيده اليسرى فيما يمسك الخوذة بيمناه مسكاً خفيفاً.

يكرر على نحو تلقائي: «سوف أخبرك إذا وجدناه».

- حسناً. هذا هو ما أريده.

- أن أخبرك وحسب؟

تومئ كاورو. «لا أريد سوى همسة صغيرة في أذني. لست بحاجة إلى أن أعرف ما الذي ستفعله به».

يستغرق الرجل في تفكير عميق. يضرب بقبضته ضربتين خفيفتين على قمة خوذته. «إذا وجدناه، فسوف أخبرك».

تقول كاورو: «إنني أتطلع لسماع هذا الخبر. هل ما زلتم تقطعون الآذان؟»

اختلجت شفتا الرجل اختلاجاً خفيفاً. «ليس لدى الإنسان سوى حياة واحدة، لكنه لديه أذنين».

- ربما كذلك، ولكنه إن فقد إحداهما، فلن يجد شيئاً يضع عليه نظارته.

يقول الرجل: «يا له من وضع مزعج جداً».

كان ذلك هو ختام محادثتهما. يرتدي الرجل خوذته، ثم يضغط بقوة على دواسة الوقود، وينعطف بالدراجة، ثم ينطلق مسرعاً.

كاورو وكوموجي تشاهدان في صمت الدراجة البخارية وهي تنطلق، وتظلان واقفتين في الشارع لمدة طويلة حتى بعد أن توارت عن الأنظار.

عندما تنطق أخيراً، تقول كوموجي: «لست أدري، إنه أشبه بالشبح».

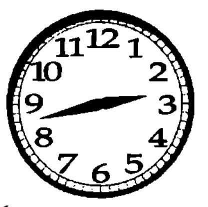
تقول كاورو: «حسناً، ذلك هو الوقت المناسب من النهار لخروج الأشباح، كما تعرفين».

- أمر مخيف.

- نعم إنه كذلك.

تسير الاثنتان نحو الفندق.

تجلس كاورو بمفردها في المكتب. تضع قدميها فوق طاولة المكتب. تمسك بالصورة وتتفحصها مرة أخرى. تُمعن النظر في صورة الرجل. تزفر كاورو بآهة هادئة وترفع حاجبيها نحو السقف.



الساعة 43 : 2 ليلاً

7

هناك رجل يعمل على جهاز كمبيوتر. إنه الرجل نفسه الذي التقطته كاميرا المراقبة في فندق ألفافيلا، وهو الرجل الذي يرتدي معطفاً رمادي اللون ومقاوماً للمطر وهو الذي أخذ مفتاح الغرفة 404. إنه يطبع على لوحة المفاتيح بسرعة مدهشة بطريقة اللمس، لكن أصابعه مع ذلك تلاحق بالكاد سرعة تدفق أفكاره فيما شفتاه مزمومتان بقوة. ما زالت أسارير وجهه جامدة، فلا هي تنفرج عن ابتسامة رضا ولا تنقبض تبرماً من نتائج عمله. يُشمِّر كُمّي قميصه حتى الكوعين، فيما يفتح زر طوقه وتبدو ربطة عنقه مفكوكة. ومن حين إلى آخر يتعين عليه أن يتوقف عن الكتابة ليدون على عجل ملاحظات ورموز على ورقة ملاحظات بجانب لوحة المفاتيح، وهو يستخدم في ذلك قلم رصاص طويل فضي اللون له ممحاة من نوع «فيريتك». هناك ستة أقلام رصاص فضية مماثلة مرصوصة في علبة بالقرب منه. وهي جميعها بالطول نفسه تقريباً وتم بريها جميعاً بشكل متقن.

تبدو الغرفة التي يعمل بها واسعة. يبدو أن الرجل قد ظلّ في مكتبه حتى وقت متأخر بعد أن غادر الموظفين جميعاً إلى بيوتهم. تنساب معزوفة بيانو من تأليف «باخ» بصوت متوسط من مشغل أقراص مدمجة موضوع فوق المكتب. يعزف عازف البيانو «آيفو بوجوريليتش» إحدى المعزوفات الإنجليزية. الغرفة مظلمة. ولا توجد سوى المنطقة المحيطة بمكتب الرجل هي التي تتلقى بعض الضوء من مصباح الفلوروسنت المثبت في السقف. إن ذلك يمكن أن يشكِّل لوحة لإدوارد هوبر اسمها «الإحساس بالوحدة»، لكن هذا لا يعني أن الرجل نفسه يشعر بالوحدة في المكان الذي يوجد به الآن، فذلك هو ما يفضله. ولأنه لا يوجد أحد في المكان، فبوسعه أن يركز. ويمكنه الاستماع لموسيقاه المفضلة وإنجاز الكثير من الأعمال. إنه لا يكره وظيفته. وما دام قادراً على التركيز في عمله، فلا ينبغي لمثل هذه التوافه أن تشتِّت انتباهه. ولأنه غير عابئ بالوقت والجهد الذي يتطلبه العمل، فإن باستطاعته التعامل مع كل الصعوبات على نحو منطقي وتحليلي. يتابع انسياب صوت الموسيقى وهو شبه واعٍ بها، ويحدق في شاشة الكمبيوتر ويحرك أصابعه بأقصى سرعة مواكباً سرعة عزف بوجوريليتش. لا توجد أي حركة إضافية، فليس هناك سوى موسيقى القرن الثامن عشر الدقيقة والرجل والمشكلات الفنية التي أُحيلت إليه لحلّها.

كان الشيء الوحيد الذي يشتِّت تركيزه هو ألم واضح يستشعره في يده اليمنى. ومن حين إلى آخر يتوقف عن العمل ليبسط يده ويقبضها ثم يثني مرفقه. يُدلك بيده اليسرى ظهر يده اليمنى.

يسحب نفساً عميقاً ويتطلع في ساعته. يقطب جبينه بعض الشيء. كان ألم يده اليمنى يبطئ من سرعته في الكتابة.

يبدو الرجل في كامل هندامه. فقد دقَّق واعتنى كثيراً بملابسه لدى اختياره لها، وإن كانت ليست فريدة من نوعها أو بالغة الرقي، لكنه يمتلك ذوقاً رفيعاً. يبدو قميصه وربطة عنقه مرتفعتي الثمن، ويُرجح أنهما يمثلان علامة تجارية معروفة. توحي سيماء وجهه بالذكاء وحسن السلوك. ويرتدي ساعة صغيرة وأنيقة في مرفقه الأيسر ويلبس نظارة أنيقة من علامة أرماني. يبدو كفاه كبيرين وأصابعه طويلة، وأظافره مقلَّمة على نحو حسن. وهناك خاتم زواج يزين الإصبع الثالث في يده اليسرى. تبدو ملامح وجهه عادية، ولكن تعابير وجهه تشي بشخصية قوية الإرادة. يبلغ من العمر على الأرجح أربعين سنة، فيما لا يوجد أي أثر للترهل على وجهه أو رقبته. وفي مظهره العام، فإنه يترك الانطباع نفسه الذي تتركه غرفة مرتّبة على نحو جيد. لا يبدو أنه ذلك الرجل الذي يمكن أن يشتري عاهرة صينية في أحد فنادق العشاق، وبكل تأكيد ليس ذلك الرجل الذي يضرب امرأة ضرباً مبرحاً دون أن تأخذه بها رحمة ويجرّدها من ملابسها ثم يأخذ الملابس معه. وفي حقيقة الأمر، فإن ذلك هو ما فعله بالضبط، رغم ذلك، وما كان لزاماً عليه أن يفعله.

تُسمع رنات الهاتف، ولكنه لا يرفع السماعة. لا يظهر على تعابير وجهه أي تأثّر ويواصل عمله بالسرعة ذاتها. يترك الهاتف يرن، دون أن يزحزح عينيه عن شاشة الكمبيوتر. وبعد أربع رنات، تبدأ آلة الردّ في العمل وتتولى الرد.

«هنا شيراكاوا. معذرة، لكن لا يمكنني استقبال مكالمتك. من فضلك اترك رسالة بعد سماع الصافرة».

يُسمع صوت الصافرة.

يأتي صوت خفيض ومكتوم لامرأة يشي صوتها بأنها في حالة نعاس لتقول: «مرحباً. هذا هو أنا. هل أنت موجود؟ ارفع السماعة، إذا سمحت»

ما زال يحدِّق في شاشة الكمبيوتر، يلتقط شيراكاوا جهاز التحكم عن بعد فيوقف الموسيقى قبل أن يرفع سماعة الهاتف.

يقول: «مرحباً، أنا هنا».

تقول المرأة: «لم تكن موجوداً عندما اتصلت بك من قبل. ظننت أنك ربما ستعود إلى البيت مبكراً الليلة».

- من قبل؟ متى كان ذلك؟

- بعد الحادية عشرة. تركت لك رسالة.

يحدق شيراكاوا نظره في الهاتف. إنها على صواب، إن علامة الرسائل الحمراء تومض.

يقول شيراكاوا: «معذرة، لم ألحظ ذلك. كنت مستغرقاً في عملي. بعد الحادية عشرة؟ ذهبت لتناول وجبة خفيفة. ثم مررت في طريقي بمحل «ستارباكس» لاحتساء قهوة «ماكياتو». هل كنت مستيقظة طول ذلك الوقت؟»

يواصل شيراكاوا الضرب على لوحة المفاتيح خلال كلامه.

- عدت إلى النوم في الحادية عشرة والنصف، ولكني رأيت

حلماً رهيباً أفزعني فاستيقظت قبل دقيقة. إذن لم تعد إلى البيت حتى الآن... ماذا كان اليوم؟

لا يفهم شيراكاوا سؤالها. يتوقف عن الكتابة ثم ينظر نحو الهاتف. تتغضن تجاعيد جانبي عينيه للحظة.

- ماذا كان ماذا؟

- أقصد طعام نصف الليل. ماذا تناولت؟

- آه. طعاماً صينياً. كما أفعل دائماً. إنه يجعلني أشعر بالشبع.

- هل كان طيباً؟

- ليس إلى حدّ كبير.

يعود ليحدق في شاشة الكمبيوتر ثم يأخذ في الضرب على لوحة المفاتيح مرة أخرى.

- إذن، كيف يسير العمل؟

- الموقف حرج. أحدهم ضرب الكرة بكل قوته. وإذا لم يصلح ذلك شخصٌ ما قبل طلوع الشمس، فإن اجتماعنا الصباحي عبر الإنترنت لن يتم.

- وذلك الشخص هو أنت مرة أخرى؟

شيراكاوا: «لا أحد سواي. لا أرى أحداً هنا غيري».

- هل تظن أن باستطاعتك إصلاح ذلك خلال الوقت المتبقي؟

- بالطبع. إنك تتحدثين إلى مبرمج قدير. إنني أحرز الأهداف المطلوبة حتى في أسوأ أيامي. إذا لم يتسنَّ لنا عقد اجتماعنا صباح

الغد، فربما نفقد فرصتنا الأخيرة في الاستحواذ على مايكروسوفت.

- هل ستشترون مايكروسوفت؟!

شيراكاوا: «مجرد مزاح. على أية حال، أعتقد أن الأمر سيستغرق مني ساعة أخرى. سوف أتصل بسيارة أجرة وربما أعود إلى البيت في الرابعة والنصف».

- ربما سأكون نائمة عندئذٍ. يجب عليّ أن أستيقظ في السادسة حتى أجهِّز الغداء للأطفال.

- وعندما تستيقظين، سأكون أنا أغط في النوم.

- وعندما تستيقظ، سيكون موعد تناولي للغداء في المكتب.

- وعندما تعودين إلى البيت، سأكون أنا منهمكاً في العمل.

- وهكذا دواليك، ولن نلتقي أبداً.

- ينبغي أن أعود إلى العمل بجدول معقول بدءاً من الأسبوع القادم. أحد الزملاء سيعود من رحلة عمل، وسوف يتمّ إصلاح العيوب الموجودة في النظام الجديد.

- أحقاً؟

يجيب شيراكاوا: «أغلب الظن».

- ربما يكون ذلك مجرّد خيال من جانبي، ولكني أتذكر أنك قلت الكلمات ذاتها قبل شهر مضى.

- هذا صحيح، لقد نسختهم ولصقتهم تواً.

تتنهد زوجته. «آمل أن يفلح ذلك هذه المرة. أودّ لو أتناول

معك وجبة طعام من حين إلى آخر، وربما نخلد للنوم معاً في وقت واحد».

- صحيح.

- حسناً، لا تجهد نفسك في العمل.

- لا تقلقي. سوف أسجِّل ذلك الهدف الأخير، وأسمع هتاف الجمهور، ثم أعود إلى البيت.

- حسناً، إذن..

- حسناً.

- آه، مهلاً.

- ماذا؟

- لا أحب أن أطلب ذلك الشيء من مبرمج قدير، ولكن هل بوسعك أن تمرّ بمتجر وأنت في طريق عودتك وتحضر معك صندوق لبن؟ لبن تكاناشي قليل الدسم، إن كان لديهم.

يجيب: «حسناً، تكاناشي قليل الدسم».

يضع شيراكاوا السماعة ثم يتطلع في ساعته. يمسك بالكوب الموجود على مكتبه ثم يحتسي رشفة من القهوة الباردة. يحمل الكوب شعار شركة «إنتل إنسايد». يعيد تشغيل القرص المدمج ويثني ذراعه اليمنى مع موسيقى باخ. يأخذ نفساً عميقاً ويملأ رئتيه بالهواء الجديد. ثم وكأنه يضغط على زر في رأسه بإصبعه، يستأنف ما انقطع من عمله. ومرة أخرى، يصبح أهم شيء لديه هو الانتقال باتساق من النقطة «أ» إلى النقطة «ب» عبر أقصر مسافة ممكنة.

* * *

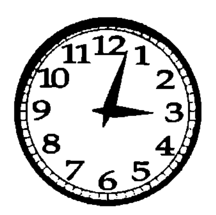
داخل متجر صغير. توجد علب تكاناشي للحليب قليل الدسم على الرفوف الأولى في قسم منتجات الألبان. يدندن عازف موسيقى الجاز تكاهاشي بصوت ناعم لحن «خمس نقاط بعد الظلام» فيما يتفحص منتجات الألبان. لا يحمل معه سوى سلة تسوق. يمدّ ذراعه ويحمل صندوق حليب، ولكنه يلاحظ أنه قليل الدسم، فيعبس وجهه. قد يمثل ذلك له إشكالية أخلاقية أساسية، وليست مجرد مسألة محتوى الحليب من الدهون. يعيد علبة الحليب قليل الدسم إلى مكانه على الرف ويتناول نوعاً آخر عادياً. ينظر في تاريخ انتهاء الصلاحية ثم يضع العلبة في سلته.

بعد ذلك ينتقل إلى قسم الفاكهة ويمسك بثمرة تفاح. يتفحصها من زوايا عديدة تحت الضوء المنبعث من مصباح مثبت في السقف. يجدها غير جيدة على النحو الذي يرضيه. يعيدها إلى مكانها ويُمسك بأخرى، ويخضعها للنوع نفسه من الفحص. يعيد العملية مرات عديدة حتى يعثر على ثمرة يمكنه قبولها على الأقل، وإن كانت لم تنل رضاه التام. يبدو أن للحليب والتفاح أهمية خاصة لديه. يتجه نحو طاولة الدفع، إلا أنه وهو في طريقه إلى هناك يلحظ بعض كعك السمك المغلف بالبلاستيك فيأخذ واحدة. وبعد تدقيقه في تاريخ انتهاء الصلاحية المطبوع على زاوية الكيس، يضعها في سلته. يدفع لمسؤول المبيعات، ويدس الفكة في جيب بنطاله، ويغادر المتجر.

يجلس على حاجز قريب على الطريق ويمسح التفاحة بذيل قميصه. لا بد أن درجة الحرارة قد انخفضت، إذ تخرج أنفاسه

بيضاء اللون أثناء الليل. يزدرد الحليب كله تقريباً في جرعة واحدة، ثم يلتهم بعد ذلك التفاحة بشهية يُسمع معها صوت قضمه لها. يمضع كل قضمة بعناية وهو يفكر. يستغرق الأمر منه بعض الوقت حتى يلتهمها بهذه الطريقة. يمسح فمه بمنديل ورقي مجعَّد، ويضع علبة الحليب الفارغة ولب التفاحة في كيس من البلاستيك، ثم يقصد سلة قمامة خارج المتجر. يضع كعك السمك في جيب معطفه. وبعد النظر في ساعته البرتقالية اللون «سواتش» لمعرفة الوقت، يرفع ذراعيه إلى أعلى ويمدهما إلى آخرهما.

عندما ينتهي من كل ذلك، يختار وجهة ما ثم يبدأ في السير نحوها.



الساعة 3:03 ليلاً

8

تحولت زاويتنا نحو غرفة إيري أساي. يكشف مسح سريع للغرفة أن شيئاً بها لم يتغير، لكن عتمة الليل قد زادت مع مرور الوقت، وأصبح الصمت أكثر ثقلاً بمقدار درجة واحدة.

لا، إن هناك تغيراً ما قد حدث. إنه تغير هائل.

أصبح التغير جلياً على الفور. يبدو أن السرير قد بات خالياً. لقد ذهبت إيري أساي. يبدو فراش السرير وكأن أحداً لم يمسسه، لكن الأمر لا يبدو وكأنها قد استيقظت وغادرت الفراش عندما لم نكن هنا. يظهر السرير مرتباً تماماً، وليس هناك أي علامة توحي بأنها كانت نائمة فيه قبل بضع لحظات. إن هذا لشيء غريب. تُرى ما الذي يمكن أن يكون قد حدث؟

نتطلع حولنا.

ما زال جهاز التلفاز يعمل. إنه يعرض الغرفة ذاتها التي كان يعرضها من قبل. تبدو الغرفة كبيرة وخالية من الأثاث ومضاءة

بمصابيح الفلوروسنت فيما فُرشت أرضيتها بالمشمع. إلا أن الصورة استقرت حتى أصبح من المتعذر إدراكها - لا يمكن التعرف عليها. تلاشى السكون، وبدلاً من أن تتداخل مع بعضها بعضاً، أصبح للصور حدود واضحة وبارزة. ومثلما يسكب القمر ضياءه على المروج غير المأهولة عندما يكون بدراً، فهكذا تنير شاشة التلفاز اللامعة أرجاء الغرفة. كل ما في الغرفة، بلا استثناء، هو واقع تقريباً تحت تأثير القوة المغناطيسية المنبعثة عن جهاز التلفاز.

شاشة التلفاز. وما زال الرجل الذي لا وجه له جالساً على المقعد. إنه يرتدي بذلة بنية اللون وحذاء أسود ويكسوه غبار أبيض ويرتدي قناعاً لامعاً ملتصقاً بوجهه. لم يغير جلسته أيضاً منذ أن رأيناه آخر مرة. يجلس منتصب الظهر واضعاً يديه على ركبتيه ومميلاً وجهه قليلاً إلى الأسفل، ويحدق مباشرة في شيء أمامه. يحجب القناع عينيه، إلاّ أنه باستطاعتنا القول إنهما مغمضتان على شيء. ترى ما الذي يحدق فيه بهذه الحدة؟ وكأنها تتجاوب مع أفكارنا، تبدأ كاميرا التلفاز في الحركة عبر خط رؤيته. عند نقطة المركز يوجد سرير، إنه سرير فردي ومصنوع من خشب بسيط، وفيه تنام إيري أساي.

ننظر إلى السرير الخالي في هذه الغرفة ثم في السرير الظاهر على شاشة التلفاز. نقارن بينهما بالتفاصيل. وكانت الخلاصة الحتمية لذلك هي أنهما السرير نفسه. فالأغطية هي ذاتها تماماً. ولكن هناك سرير على شاشة التلفاز فيما يوجد الآخر في

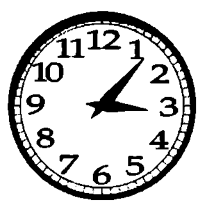
الغرفة. وفي السرير الظاهر على شاشة التلفاز، تتمدد إيري أساي نائمة.

إننا نظن أن السرير الآخر هو السرير الحقيقي. لقد جرى نقله، مع إيري، إلى الجانب الآخر فيما كنا نطالع مكاناً آخر (على مدى ساعتين انقضيتا منذ أن غادرنا هذه الغرفة). كل ما لدينا هنا هو سرير بديل تُرك ليحل محل السرير الحقيقي، ربما كعلامة يُراد بها ملء الفراغ الموجود هنا.

في السرير الموجود في ذلك العالم الآخر، تواصل إيري نومها العميق، كما كانت تفعل عندما كانت في هذه الغرفة حيث تنام نوماً جميلاً وعميقاً. إنها لا تدرك أنّ بعض الأيدي قد نقلتها (أو ربما ينبغي القول نقلت جسدها) إلى شاشة التلفاز. لا يبلغ الوهج المنبعث عن مصابيح الفلوروسنت المثبتة في السقف قاع الخندق البحري الذي تنام فيه.

يطالع الرجل الذي لا وجه له إيري بعينين تتواريان خلف حجابهما. يوجه أذنيه المخبوءتين نحوها بانتباه لا يلين. تحافظ إيري والرجل الذي لا وجه له عن قصد على الوضعية التي يتخذها كلاهما. ومثلما هو الحال مع الحيوانات عندما تتخفى، فإنهما يحبسان أنفاسهما ويخفضان درجة حرارة جسديهما ويحافظان على الصمت المخيم على المكان ويضبطان عضلاتهما ويغلقان منافذ الوعي لديهما. يبدو أننا ننظر إلى صورة في حالة سُبات وهو ما ليس عليه الأمر في الحقيقة. إن هذه صورة حية ترسل إلينا مباشرة. في هذه الغرفة وتلك الأخرى، ينساب الزمن بالسرعة

ذاتها. وكلتاهما غارقتان في اللحظة الزمانية نفسها. نعرف ذلك من خلال كتفي الرجل اللذين يعلوان وينخفضان ببطء من حين إلى آخر. وأينما كانت تستقر نية كل منهما، فإننا معاً ننجرف وبالسرعة ذاتها عبر نهر الزمان ذاته.



الساعة 3:07 ليلاً

9

سكايلارك من الداخل. انخفض عدد الزبائن الموجودين عن ذي قبل. الطلاب المثيرون للضجيج غادروا. تجلس ماري بجوار النافذة، وقد انهمكت في القراءة مرة أخرى. لا ترتدي نظارتها. وتضع قبعتها على الطاولة. أما حقيبتها وسترتها فتضعهما على الكرسي الآخر. يوجد على الطاولة طبق من الساندويشات الصغيرة مربعة الشكل وفنجان من شاي أعشاب. كانت قد تناولت نصف الساندويشات.

يدخل تكاهاشي. لا يحمل أي شيء معه. يتطلع حوله، فيرى ماري، ويتجه صوب طاولتها مباشرة.

- مرحباً، كيف حالك؟

ترفع ماري رأسها، فتعرف أنه تكاهاشي، وتومئ له إيماءة خفيفة، لكنها لا تنبس بكلمة.

يسألها: «هل تمانعين إن جلست معك؟»

تجيب بنبرة محايدة: «لا مانع».

يجلس قبالتها. يخلع معطفه ويشمِّر كمّي سترته. تأتي النادلة وتسجل طلبه: قهوة.

يتطلع تكاهاشي في ساعته. «إنها الثالثة صباحاً. هذه هي أحلك ساعات الليل والجزء الأصعب فيه. هل تغالبين النعاس؟»

- ليس بشدة.

- لم أنم جيداً ليلة أمس. كان لدي تقرير كتبته بصعوبة.

لا ترد ماري بأي شيء.

- أبلغتني كاورو بأنك ربما تكونين هنا.

تومئ ماري.

يقول تكاهاشي: «أرجو المعذرة على تعريضك لذلك الموقف، أقصد الفتاة الصينية. كنت أتدرب واتصلت بي كاورو على هاتفي النقال وسألتني إن كنت أعرف أحداً يتحدث الصينية. لا أحد بيننا يمكنه ذلك بالطبع، ولذلك خطرتِ ببالي. أخبرتها أن بوسعها أن تجد فتاة اسمها ماري أساي في مطعم دينيز ووصفتك لها وأخبرتها أنك تتحدثين الصينية بطلاقة. آمل ألا أكون قد تسببت لك في إزعاج كبير».

تحكّ ماري الآثار التي خلّفتها النظارة على بشرتها: «لا، لا داعِيَ للقلق بشأن ذلك».

- كاورو تقول أنكِ كنت خير مُعينة لها. إنها تشعر نحوك بامتنان كبير. أظنها تحبك.

تُغير ماري الموضوع. «هل انتهيت من التدريب؟»

يجيب تكاهاشي: «أخذت استراحة لبعض الوقت. أردت أن

أنبّه نفسي ببعض القهوة الساخنة، وأن أشكرك. كان القلق يساورني بشأن مقاطعتك».

- أي مقاطعة؟

يجيب: «لست أدري، حسبت أنّ ذلك ربما يكون قد قطع عليك شيئاً كنت تقومين به».

تسأله ماري: «هل تستمتع بعزف الموسيقى؟»

- نعم. ذلك هو أفضل شيء لدي بعد التحليق في الهواء.

- يا إلهي؟ وهل استطعت التحليق في الهواء من قبل؟

يبتسم تكاهاشي. يحافظ على ابتسامته فيما يصمت لبرهة، ويقول: «لا، على الإطلاق، لا أحلق في الهواء بنفسي. هذا مجرد مجاز لغوي؟»

- هل تنوي احتراف الموسيقى؟

يهز رأسه نافياً: «لست موهوباً إلى ذلك الحدّ. صحيح أنني أحب العزف، ولكن لا يمكنني أن أجعله مصدر دخلي. هناك فرق كبير بين العزف الجيد والعزف بإبداع حقيقي. أعتقد أنني أجيد العزف على آلتي الموسيقية. الناس يقولون إنهم يحبون عزفي، وأنا أستمتع بسماع ذلك، وهذا هو أقصى حد يمكن أن يبلغه هذا الأمر، بل إنني أنوي ترك الفرقة في نهاية هذا الشهر، وباختصار سأقطع صلتي بالموسيقى».

- ماذا تقصد بالعزف بإبداع حقيقي؟ هل يمكن أن تعطيني مثالاً ملموساً؟

- إممم، سأشرح لك ذلك... عندما تقومين بإيصال الموسيقى إلى أعماق قلبك يصل جسدك إلى حالة من التحول الفيزيائي، وفي الوقت ذاته يصل جسد المستمع إلى التحوّل الفيزيائي نفسه. وهذا بدوره يفضي إلى حالة من التشاركية. أو ربما ذلك.

- مثال صعب.

يجيب تكاهاشي: «نعم إنه صعب. ولذلك فقد قرّرت التوقف. سأغير القطار في المحطة القادمة».

- ألن تقرب آلتك الموسيقية على الإطلاق مرة أخرى؟

يقلب باطن كفيه إلى أعلى على الطاولة. «ربما لن أفعل ذلك».

- وهل ستلتحق بوظيفة ما؟

يهز تكاهاشي رأسه مرة أخرى: «لا، لن أفعل ذلك أيضاً».

بعد لحظة صمت، تسأله ماري: «إذن ماذا ستشتغل؟»

- سوف أعكف على دراسة القانون لاجتياز الاختبار الوطني للمحاماة.

تلزم ماري الصمت، إلا أنّ فضولها بدا وقد تأجج لذلك.

يجيب: «أظن أن الأمر سيستغرق بعض الوقت. لكني رسمياً كنت ملتحقاً ببرنامج تأهيلي لدراسة القانون طوال الفترة الماضية، إلا أن الفرقة الموسيقية كانت تستحوذ على كل اهتمامي. كنت أدرس القانون كما لو أنه موضوع جانبي، لكن حتى ومع تغييري لتوجهي والبدء في الدراسة الجادة الآن، فلن يكون من السهل اللحاق. الحياة ليست بتلك السهولة».

تحضِر النادلة قهوته. يضيف تكاهاشي إليها القشدة، ثم يقلبها بالملعقة ويشرب.

ثم يستأنف الكلام قائلاً: «الحق أقول لك، هذه هي أول مرة في حياتي أجدني راغباً في دراسة جادة لشيء، لكن مع ذلك لم أكن أحصل على معدلات درجات سيئة. لم تكن معدلاتي جيدة جداً، لكنها أيضاً لم تكن سيئة. فأنا دائماً أستطيع التعرّف على النقاط المهمة في الأشياء، ولذلك باستطاعتي التعامل دائماً مع مسألة المعدلات الدراسية. فأنا أجيد ذلك. ولذلك السبب ألحقت نفسي بكلية جيدة جداً، وإذا ما داومت على ما أقوم به حالياً، فربما أمكنني الحصول على وظيفة في شركة جيدة جداً. وعندئذٍ ربما أمكنني الدخول في زواج سعيد جداً وتكوين أسرة سعيدة جداً، هل تفهمين قصدي...؟ ولكني الآن، وفجأة، أصبحت أشعر بسأم شديد من المسألة برمتها».

- لماذا؟

- لماذا بدأت فجأة أفكر في أنني أريد الانخراط في دراسة القانون بجدية؟

- نعم

يضيّق تكاهاشي عينيه وهو ينظر إليها وكأنه يختلس النظر إلى غرفة من ثقب في نافذتها، ثم يسأل: «هل تسألين لأنك تريدين حقاً جواباً؟»

- بالطبع. ألا يسأل الناس عادة أسئلتهم لأنهم يريدون لها جواباً؟

- من الناحية المنطقية، نعم. ولكن بعض الناس يسألون الأسئلة كوسيلة لإظهار التأدب.

- لا أعرف ذلك. ما الذي يجعل الناس يسألونك أسئلة لمجرد إظهار التأدب؟

يطرق تكاهاشي يفكر في ذلك لبرهة ويعيد الفنجان إلى طبقه محدِثاً صوتاً خشناً: «حسناً. هل تريدين الجواب المُطول أم المختصر؟»

- المتوسط.

- لقد نلتِ طلبك. هناك جواب متوسط الحجم في طريقه إليك.

يستغرق تكاهاشي لحظة لإعادة ترتيب أفكاره.

- لقد حضرت بضع جلسات محاكمات هذا العام في ما بين نيسان/ أبريل وحزيران/ يونيو. كان ذلك في محكمة طوكيو في حي كاسومي جاسيكي. لقد كانت مهمة دراسية كلِّفت بأدائها من أجل ندوة دراسية، وهي أن أحضر عدداً من الجلسات وأعد تقريراً حولها. آه... هل سبق لك وأن حضرت جلسات من قبل؟

تهز ماري رأسها بالنفي.

يقول تكاهاشي: «إن المحكمة أشبه بمجمع لمسارح السينما. لديهم تلك اللوحة الكبيرة بالقرب من المدخل حيث يدرجون جميع المحاكمات وموعد جلساتها مثل دليل العروض، وعليك أن تختار الجلسة التي ترى أنها قد تثير اهتمامك ثم تَدخلها وتحضر كمراقب. الدخول متاح لأي شخص. لا يحظر عليك سوى أن

تأتي بكاميرا أو بجهاز تسجيل معك. أو طعام. وليس مسموحاً لك أيضاً أن تتكلم. وفوق ذلك فإن المقاعد تكون ممتلئة بالحضور، وإذا أخذك النعاس، فسوف يوبخك حاجب المحكمة. إلا أنك لا تستطيع أن تتقدم بشكوى، فالدخول مجاني».

يطرق تكاهاشي قبل أن يتابع:

«معظم المحاكمات التي حضرتها كانت جنائية مثل الاعتداءات والإيذاء البدني، وحرق ممتلكات الغير عمداً، والسرقة، والقتل. وهي جرائم يرتكبها الأشرار الذين يقترفون أشياء شريرة ثم يُلقَى القبض عليهم ويخضعون للمحاكمة وينالون جزاءهم. تلك هي القضايا التي يسهل فهمها، أليس كذلك؟ أما في الجرائم ذات الدوافع الاقتصادية أو الأيديولوجية، فيتعين على المرء أن يعرف ملابسات الجريمة وقد تتعقد الأمور وتستعصي على الفهم. ومن الصعب أن تميز الطيب من الشرير. كل ما كنت أريده هو أن أكتب بحثي، وأحصل على معدل متوسط، ولا شيء أكثر. مثل طفل في مدرسة ابتدائية يقوم بتمرين مدرسي صيفي: كنت أحتفظ بمدونة لتسجيل بدايات كل صباح».

ينهي تكاهاشي كلامه عند تلك النقطة. ينظر إلى كفيه المبسوطتين على الطاولة.

- إلا أنني وبعد أن تردّدت على المحكمة بضع مرات وشهدت بضع قضايا، أصبحت مهتماً على نحو شديد بالوقائع التي تنظر أمام القضاء وبالأشخاص المتورطين في هذه الوقائع. وربما ينبغي لي القول بأنني لم أعد أستطيع مع مرور الوقت النظر إلى

هذه الوقائع باعتبارها مشكلات تخصّ الغير. كان ذلك شعوراً شديد الغرابة. أعني أن الأشخاص الخاضعين للمحاكمات لا يشبهونني في شيء. إنهم يمثلون نوعاً مغايراً من البشر. ويعيشون في عالم مختلف ويفكرون أفكاراً مختلفة، وأفعالهم لا تشبه أفعالي في شيء. وثمة جدار سميك وشاهق يفصل بين العالم الذي يعيشون فيه والعالم الذي أعيش فيه. كانت تلك هي على الأقل الكيفية التي رأيت بها ذلك في أول الأمر. أعني أنه لا يمكنني بحال من الأحوال أن أرتكب مثل تلك الجرائم الشنيعة. فأنا شخص مسالم ودمث الخلق، ولم يحدث قط أن امتدّت يدي على أحد منذ أن كنت طفلاً. وهو ما كان يجعلني أستطيع النظر إلى المحاكمة نظرة حيادية باعتباري مجرد مشاهد وحسب.

يرفع تكاهاشي وجهه وينظر إلى ماري. ثم ينتقي كلماته بعناية.

- وبينما كنت أجلس في المحكمة، مع ذلك، وأستمع لإفادات الشهود ومرافعات النيابة والحجج التي يسوقها محامو الدفاع وشهادات المتهمين، تضاءلت معرفتي بنفسي كثيراً. بعبارة أخرى، أصبحت أرى ذلك كما يلي: أنه ليس هناك حقاً جدار يفصل بين عالمي وعالمهم. أو أنه في حال وُجِد مثل هذا الجدار، فإنه على الأرجح جدار واهٍ مصنوع من الورق. وبمجرد أن أتكئ عليه، فإنني غالباً ما سأسقط فوراً وينتهي بي الأمر لأصبح في الجانب الآخر. أو ربما يكون ذلك الجانب الآخر قد تمكن بالفعل من التسلل خلسة إلى داخلنا، لكن دون أن نلحظ. هذا هو الشعور

الذي بدأ ينتابني. وهو شعور يصعب عليّ أن أعبِّر عنه بالكلام.

يدير تكاهاشي إصبعه على حواف فنجان قهوته.

- وهكذا عندما بدأت تراودني هذه الأفكار، أخذ كل شيء يبدو مختلفاً لديّ. وبدأ هذا النظام الذي أرصده وتلك المحاكمات نفسها تأخذ شكل كائن خاص وغريب أمام عيني.

- كائن غريب؟

- كأخطبوط مثلاً. أخطبوط عملاق يعيش في أعماق المحيط السحيقة، ويمتلك قوة حياة هائلة للغاية، وعدد من الأرجل الطويلة المتعرجة ويتجه صوب وجهة ما ويمخر ظلام المحيط. إنني أجلس هناك أستمع لتلك المحاكمات، إلا أن كل ما يتراءى لي هو ذلك الكائن. إنه يأخذ أشكالاً مختلفة، فأحياناً هو الدولة وأحياناً هو «القانون» وأحياناً يأخذ أشكالاً أشد صعوبة وأخطر من ذلك. قد تستطيع بتر أرجله، لكنها لا تلبس أن تنمو مرة ثانية. وليس باستطاعة أحد أن يقتله. إنه يمتلك قوة هائلة ويعيش في أعمق أعماق المحيط. ولا أحد يعرف أين يوجد قلبه. لقد انتابني عندئذٍ فزع هائل وبعض اليأس وشعرت بأنني لن أفلت من هذا الشيء مهما ذهبت بعيداً. وهذا الكائن، وهذا الشيء لا يعبأ بأنني أنا أو أنك أنت. ففي ظلّ وجوده، يفقد البشر جميعاً أسماءهم ووجوههم. ونتحول جميعاً إلى علامات وأرقام.

تحدق ماري في عينيه.

يأخذ تكاهاشي رشفة من قهوته. «هل أبدو متجهماً أكثر ممّا ينبغي هنا؟»

تجيب ماري: «لا عليك، إنني أصغي لما تقول».

يعيد تكاهاشي فنجانه إلى طبقه: «قبل سنتين، كانت هناك قضية الحرق العمد والقتل التي وقعت في تاشيكاوا. وفيها قَتَل شاب زوجين عجوزين ببلطة، وانتزع منهما دفتر حسابهما البنكي، ثم أشعل النيران في منزلهما حتى يتخلص من دليل الجريمة. كانت ليلة عاصفة والتهمت النيران أربعة منازل. لقد حُكم على هذا الشخص بالإعدام. وفي ضوء السوابق اليابانية القانونية الحالية، فقد كان ذلك الحكم الأوضح في مثل تلك القضية. ففي أي مرة تَقتل فيها شخصين أو أكثر، يصبح الحكم بالإعدام أمراً تلقائياً تقريباً. الإعدام شنقاً. لا سيما وأن هذا الشخص قد أدين بالحرق العمد أيضاً. وفوق كل ذلك كان وغداً حقاً. فقد أودع السجن مرات كثيرة كانت أغلبها في جرائم عنف. كانت عائلته قد تخلت عنه قبل سنوات. وكان مدمناً على المخدرات، وفي كل مرة ما إن يخرج من السجن، حتى يعود إليه بجريمة أخرى. وفي هذه القضية، لم يُبد ذرة ندم. وكان أي استئناف للحكم سوف يُرفض بكل تأكيد. حتى إن محاميه، وهو محام عام، كان يدرك من البداية أنه سوف يخسر القضية. وذلك حتى لا يفاجأ أحد عندما يصدر ضده حكم الإعدام، وفي الحقيقة، فإن أحداً لم يفاجأ. كنت أجلس هناك أستمع للقاضي وهو يتلو الحكم، وأنا أدون بعض الملاحظات معتبراً هذا الحكم حكماً واضحاً. وبعد المحاكمة، أخذت قطار الأنفاق باتجاه المنزل انطلاقاً من كاسومي جاسيكي، وجلست على مكتبي وشرعت في ترتيب ملاحظاتي عندما انتابني فجأة ودون

مقدمات ذلك الشعور المغرق في اليأس والقنوط. لست أدري كيف أعبر عن ذلك، لقد كان ذلك وكأن إمدادات كهرباء العالم بأسره قد تعرضت لانخفاض في الجهد. فقد أصبح كل شيء أشد ظلمة وأكثر برودة بمقدار درجة. أخذت تسري في جسدي رعشات خفيفة، ولم أكن أستطيع إيقاف هذه الرعشة. وسرعان ما شعرت بعيني وقد اغرورقت بالدموع. لماذا يحدث ذلك؟ لا أجد لذلك تفسيراً. لماذا ينبغي لي أن أخسرها هكذا لا لشيء سوى لأن ذلك الشخص قد نال عقوبة الإعدام. أعني أنه كان شخصاً وضيعاً للغاية، ولم يكن هناك أدنى أمل في حصوله على عفو. ولا ينبغي أن يكون بيني وبينه أي شيء مشترك، ولا أن تجمعني به أي صلة على الإطلاق، لكنني ومع ذلك، كنت أشعر باضطرابٍ انفعالي عميق. فلماذا كان ذلك؟»

يظل سؤاله معلَّقاً في الهواء بينهما لثلاثين ثانية. تنتظر منه ماري أن يتابع قصته.

يتابع تكاهاشي: «ما أودّ أن أقوله هو شيء من هذا القبيل: إن أي كائن بشري، وبصرف النظر عن نوع الشخص الذي يكونه أو تكونه، إنما هو عالق تماماً في قرون الاستشعار الخاصة بهذا الحيوان الشبيه بالأخطبوط، ويبتلعه الظلام رويداً رويداً. يمكنك أن تفسريه كيفما يروق لك، ولكن في نهاية المطاف سوف تصلين إلى المشهد الذي يفوق الاحتمال نفسه».

يحدق في الفراغ الذي يعلو الطاولة ثم يتنهد تنهيدة طويلة.

- على أية حال، ذلك اليوم كان نقطة تحول في حياتي.

فبعده، قررت الانخراط في دراسة القانون بشكل جدي. كنت أتصور أنني ربما أجد ما أبحث عنه هناك. فدراسة القانون ليست بالعمل المبهج مثلما هو الحال مع عزف الموسيقى، ولكن ما باليد حيلة، هكذا هي الحياة. وهذا هو معنى أن يكبر المرء.

تسود فترة صمت.

«هل ذلك هو جوابك في صيغته المتوسطة؟»

يومئ تكاهاشي: «ربما كان طويلاً بعض الشيء. لم أخبر أحداً قط بذلك من قبل. لذلك وجدت صعوبة في تقييم ط و ل ه. آه، هذه السندويشات الصغيرة المتبقية على طبقك، إذا لم يكن بك رغبة في تناولها، فهل تمانعين إن أكلت أحدها؟»

- كل ما تبقى هو سندويشات تونة.

- حسناً، إنني أحب التونة. ألا تحبينها؟

- بلى، أحبها، ولكنك إذا أكثرت منها فسوف يتراكم الزئبق في جسمك.

- أحقاً؟

- وإذا تراكم الزئبق في جسمك، يمكن أن تتعرض لأزمات قلبية في الأربعينيات من عمرك. ويمكن أن تفقد شعرك أيضاً.

ينقبض وجه تكاهاشي. «إذن أنت لا تأكلين الدجاج ولا تأكلين التونة؟»

تومئ ماري.

- وهما بالمصادفة من أطعمتي المفضلة.

- اعذرني.

- إنني أحب سلطة البطاطا كثيراً هي الأخرى. لا تقولي لي إن هناك مشكلة في تناول سلطة البطاطا...

ماري: «لا، لا أظن ذلك. إلا إذا أكثرت منها، فسوف تصاب بالتخمة».

تكاهاشي: «لست قلقاً من ذلك. فأنا نحيف جداً كما ترين».

يتناول تكاهاشي سندويش تونة ويأكله بتلذذ واضح.

تسأله ماري: «إذن على أية حال، هل تنوي أن تظل تدرس حتى تجتاز اختبار المحاماة؟»

- نعم أظن ذلك. سأعيش على القليل ممّا معي من مال لفترة، وأظنني سأقوم ببعض الأعمال التي لا تحتاج إلى تخصص.

تطرق ماري تفكر في شيء ما.

تكاهاشي: «هل سبق لك مشاهدة «لوف ستوري»؟ إنه فيلم سينمائي قديم».

تهز ماري رأسها.

«لقد عرضه التلفزيون مؤخراً. إنه فيلم جيد للغاية. رايان أونيل هو الابن الوحيد لأسرة ثرية، إلا أنه وقبل أن ينهي دراسته في الكلية يتزوج بفتاة تنتمي إلى أسرة إيطالية فقيرة، فتتبرأ منه أسرته، بل وتوقفوا حتى عن دفع مصروفات تعليمه. استطاع الاثنان أن يعيشا على حدّ الكفاف ويواصلان دراستهما حتى تخرَّج هو من كلية هارفارد للقانون مع مرتبة الشرف والتحق بشركة قانونية كبيرة».

يتوقف تكاهاشي ليأخذ نفساً. ثم يتابع:

«وبعد أن اجتهد رايان أونيل في عمله ليصبح محامياً، لم تُتح للجمهور أدنى فكرة عن نوعية العمل الذي يؤديه. كل ما نعرفه هو أنه يلتحق بتلك الشركة القانونية الكبيرة ويحصل على راتب مجزي يُحسد عليه. إنه يسكن في برج عالٍ وفخم في مانهاتن وهناك بواب يجلس أمام المدخل، ويلتحق بناد رياضي للطبقة العليا، ويلعب الاسكواش مع أصدقائه المترفين ممّن هم في سنه. ذلك هو كل ما نعرفه».

يرتشف تكاهاشي بعض الماء.

تسأله ماري: «ثم ماذا يحدث بعد ذلك؟»

ينظر تكاهاشي إلى أعلى، وهو يستحضر الحكاية من ذاكرته. «نهاية سعيدة. يعيش الشخصان في سعادة دائمة بعد ذلك. والحب يقهر المستحيل. كأننا نقول: لقد كنّا نعيش في بؤس، والآن صار كل شيء رائعاً. إنهما يستقلان سيارة جاغوار فارهة وجديدة، ويمارسان رياضة الاسكواش وفي الشتاء يذهبان للّعب بكرات الثلج. وفي تلك الأثناء، يُصاب والده الذي تبرأ منه بمرض السكر وتليف الكبد ومرض «مينيير» لاضطراب الأذن الداخلية ويموت موتة بائسة وحيداً».

- لا أفهم ذلك. ما هو الجيد في مثل تلك القصة؟

يهز تكاهاشي رأسه: «إممم، ما الذي أحببته فيها؟ لا أتذكر ذلك. كان لدي بعض الأشياء التي علي عملها، ولم أشاهد الجزء الأخير بتركيز... يا، ما رأيك لو تمشينا معاً؟ لو نغير الأجواء قليلاً؟ هناك حديقة صغيرة في نهاية الشارع حيث تحبّ القطط

التجمع. يمكننا أن نلقي لهم بما تبقى من ساندويشات التونة والزئبق. ولدي أيضاً كعكة سمك. هل تحبين القطط؟»

تومئ ماري، وهي تضع كتابها في حقيبتها، ثم تنهض.

يسير تكاهاشي وماري معاً حتى نهاية الشارع. لا يدور بينهما حديث الآن. يصفر تكاهاشي الآن. تمر بمحاذاتهما دراجة بخارية سوداء من نوع هوندا، ثم تخفض من سرعتها. إنها الدراجة ذاتها التي يقودها ذلك الرجل الصيني الذي أقلَّ الفتاة من فندق ألفافيلا، ذلك الرجل صاحب الضفيرة. إنه الآن لا يرتدي الخوذة ويتفحص ما حوله بتركيز شديد. لا يوجد بينه وبينهما أي نقطة اتصال. يقترب منهما الدوي الهائل لمحرك الدراجة ثم يتجاوزهما.

تسأل ماري تكاهاشي: «كيف تعرفت أنت وكاورو على بعضكما بعضاً؟»

- إنني أؤدي بعض الأعمال البسيطة في ذلك الفندق منذ ستة أشهر أو أكثر. ألفافيلا. أعمال بسيطة مثل مسح الأرضيات وبعض الأشياء الأخرى. أقوم أيضاً ببعض الأعمال في الحواسيب مثل تثبيت بعض البرمجيات وإصلاح الأعطال. لقد قمت أيضاً بتركيب كاميرا المراقبة الأمنية في الفندق. النساء وحدهن هن من يعملن هناك، لذلك يسعدهن الاستعانة برجل من حين إلى آخر.

- كيف تسنى لك أن تعمل هناك في المرة الأولى تحديداً؟

يعتري تكاهاشي بعض الارتباك لبرهة. «تحديداً؟»

- أقصد أن شيئاً ما لا بد أنه قد قادك للعمل هناك. أظن أن كاورو تعمدت الغموض حول ذلك..

- ذلك سؤال صعب..

تلزم ماري الصمت.

يقول تكاهاشي كما لو أنه يقبل على مضض شيئاً لا مفر منه: «آه، حسناً، في الحقيقية، لقد أخذت فتاة إلى هناك ذات مرة. كزبون أقصد. وبعد ذلك، عندما حان وقت مغادرتي، أدركت أنه لم يكن لدي ما يكفي من النقود. ولم تكن الفتاة معها أيضاً. كنا ثملين ولم نفكر كثيراً في تلك الجزئية. لم يكن أمامي إلا أن أترك بحوذتهم بطاقة إثبات هويتي في الجامعة».

لا تعلق ماري بشيء.

يقول تكاهاشي: «الأمر كله محرج. لذلك ذهبت في اليوم التالي لدفع الباقي. دعتني كاورو لاحتساء فنجان من الشاي، وتحدثنا حول عدة أمور، وفي نهاية ذلك اقترحت علي أن أبدأ عملاً جزئياً هناك من اليوم التالي. في واقع الأمر، لقد ألحّت علي حتى أقبل بذلك. إنها لا تدفع لي راتباً مجزياً، ولكنهم اعتادوا على تقديم الطعام لي من حين إلى آخر. وفوق ذلك فإن كاورو هي التي عثرت لنا على المكان الذي أتدرب فيه مع فرقتي. إنها تبدو مثل رجل شرس، ولكنها في الحقيقة في غاية الرقة. ما زلت أتردد إلى هناك من حين إلى آخر. وما زالوا يتصلون بي كلما لحق عطل بأحد حواسيبهم».

- وماذا حدث للفتاة؟

- تلك التي رافقتني إلى الفندق؟

تومئ ماري.

يجيب تكاهاشي: «انتهى الأمر عند هذا الحد. لم أرها منذ ذلك الحين. أنا متأكد من أنها قد تقززت مني. لقد خسرتها. ولكن على أية حال، فأنا غير منشغل بها. لم أكن مفتوناً بها. كنا سنفترق عاجلاً أو آجلاً».

- هل تفعل ذلك كثيراً، أقصد تذهب للفنادق برفقة فتيات لست مفتوناً بهن؟

- لا. لا أستطيع تحمل كلفة ذلك. كانت تلك هي المرة الأولى في حياتي التي أذهب فيها إلى أحد فنادق الحب.

يواصلان المشي.

يقول تكاهاشي وكأنه يقدم عذراً: «وفوق ذلك، لم تكن تلك فكرتي. إن الفتاة هي من اقترحت الذهاب إلى مثل ذلك المكان. حقاً».

لا ترد ماري بشيء.

يقول تكاهاشي: «حسناً، على أية حال، ستكون تلك حكاية أخرى طويلة إن بدأتها. إن كل الأشياء تقود إلى ما حدث..»

- يبدو أن لديك الكثير من الحكايات الطويلة..

- ربما هذا صحيح. أنا نفسي أعجب لذلك.

ماري: «قلت لي من قبل أنك بلا أخوة أو أخوات».

- صحيح. فأنا طفل وحيد.

- طالما أنك التحقت بالمدرسة نفسها التي التحقت بها إيري، فلا بد أن أسرتك تعيش هنا في طوكيو. فلماذا لا تعيش معهم؟ سوف يكون ذلك أقل كلفة عليك.

- تلك حكاية أخرى يطول شرحها.

- أليس لديك نسخة موجزة منها؟

- لدي نسخة شديدة الإيجاز. هل ترغبين في سماعها؟

ماري: «نعم».

- إن أمي ليست هي أمي الطبيعية.

- إذن فأنت لم تتأقلم معها؟

- لا، ليست المشكلة أننا لم نتأقلم معاً. وإنما كل ما في الأمر هو أنني لست من تلك النوعية التي تهوى إثارة المشاكل. ولكن ذلك لا يعني أنني أريد أن أمضي كل أيامي في الثرثرة ورسم الابتسامات المصطنعة على مائدة العشاء. لم يكن عيشي وحيداً أمراً صعباً عليَّ قط. وفوق ذلك، فإنني لم أستطع تكوين علاقة عظيمة مع أبي.

- ألا يحب كل منكما الآخر؟

- حسناً، دعينا نقول إننا كنا مختلفي الشخصية. وكذلك كانت قيمنا مختلفة.

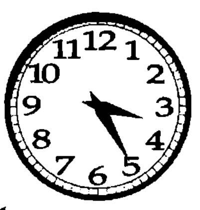
- وماذا يعمل؟

تكاهاشي: «في الحقيقة، لا أعرف على وجه التأكيد، لكنني أكاد أجزم بأنه ليس عملاً يبعث على الفخر. وفوق ذلك، وهذا

شيء لا أُحدث الناس به، لقد أُودع السجن لبضع سنوات عندما كنت طفلاً. كان من النمط المناوئ للمجتمع - مجرماً. وذلك سبب آخر يجعلني لا أريد العيش مع أسرتي. لقد بدأ الشك يساورني بشأن انتمائي الوراثي لهذه الأسرة».

تسأله ماري بسخرية وهي تبتسم: «وتلك إذن هي نسختك شديدة الإيجاز حقاً؟»

ينظر إليها تكاهاشي ويقول: «هذه أول مرة أراك تبتسمين الليلة».



الساعة 3:25 ليلاً

10

ما زالت إيري مستغرقة في نومها.

أما الرجل الذي لا وجه له وكان جالساً بجوارها يرقبها من كثب، فقد تلاشى. وتلاشى كرسيه أيضاً. ومن دونهما، تصبح الغرفة أكثر وحشة وقساوة من ذي قبل. السرير يتوسط الغرفة وعليه ترقد إيري. تبدو وهي وحدها كشخص على متن قارب نجاة يطفو فوق بحر هادئ. نرصد المشهد من ناحيتنا - من ناحية غرفة إيري الفعلية - عبر شاشة التلفاز. تبدو هناك كاميرا تلفزيونية في الغرفة تمّ توجيهها نحو الناحية الأخرى كي ترصد حالة نوم إيري وترسل ذلك إلى هنا. تتغير وضعية الكاميرا وزاويتها وفقاً لفواصل زمنية منتظمة، فتدنو منها قليلاً في كل مرة أو تبتعد عنها قليلاً.

يمضي الوقت، ولكن لا شيء يحدث. ترقد ولا تحرك ساكناً. لا يصدر عنه أي صوت. يطفو وجهها فوق محيط من الأفكار المحضة الخالية من أي موج أو تيار، لكن وعلى الرغم من ذلك، لا نستطيع أن ننزع أنفسنا من الصورة التي تُرسَل، لكننا

نشعر رغم ذلك وببعض من البداهة أن ثمة شيئاً ما يحدث. إنه شيء حي. شيء يكمن تحت سطح الماء، ويُخفي أي علامة تدل على وجوده. نُبقي أعيننا مسلطة على الصورة الثابتة فيما يحدونا الأمل في تحديد موقع هذا الذي لا نستطيع رؤيته.

الآن فقط، يبدو أن ثمة حركة ضئيلة تعتري زاوية فم إيري أساي. لا، ربما لا نستطيع حتى أن نسميها حركة. إنها رعشة متناهية الضآلة ولا نستطيع حتى التأكد من أننا رأيناها. ربما تكون مجرد رفة في الشاشة. خداع بصري. هلوسة بصرية حركتها رغبتنا في رؤية بعض التغيير. للتأكد من الحقيقة، نركز أكثر على الشاشة.

وكأنها تحسّ برغبتنا، تدنو عدسة الكاميرا من هدفها. يظهر فم إيري مكبَّراً. نحبس أنفاسنا ونحدّق في الشاشة، وننتظر في أناة لما سيحدث لاحقاً. مرة أخرى ثمة رعشة تعتري الشفتين. تشنج لحظي للجلد. نعم، إنها الحركة نفسها التي حدثت من قبل. والآن، تبدَّد كل شك. لم يكن خداعاً بصرياً. ثمة شيء آخذ في الحدوث في داخل إيري أساي.

تدريجياً يتملكنا الملل من الاكتفاء بملاحظة شاشة التلفاز من هذا الجانب. نريد أن نعاين داخل الغرفة الأخرى مباشرة. نريد أن نرى على نحو أكثر قرباً بداية الحركة الطفيفة والتسارع المحتمل

للوعي الذي أخذت إيري تُظهره. نريد أن نخمن معنى ذلك على أساس ملموس. ولذلك نقرِّر نقل أنفسنا إلى الجانب الآخر من الشاشة.

لن يكون الأمر صعباً عندما نقرِّر ذلك. كل ما علينا عمله هو أن ننفصل عن الجسد، ونخلِّف المادة كلها وراءنا، ثم نسمح لأنفسنا أن نصبح زاوية رؤية مجردة خالية من الكتلة. وعندما نحقق ذلك، سيمكننا اختراق أي حائط وعبور أي هوة سحيقة. وهو تماماً ما نفعله. نتيح لأنفسنا أن نصبح نقطة أحادية محضة ونمرّ من خلال شاشة التلفاز التي تفصل العالمين، وننتقل من هذا الجانب إلى الجانب الآخر. عندما نخترق الحائط ونعبر الهوة، يعتري العالم تشوّه رهيب، وينشطر ويتحلل ثم يتلاشى لفترة قصيرة. يتحول كل شيء إلى غبار ناعم نقي يُنثر في جميع الأرجاء. وعندئذٍ يُعاد تجميع العالم. ثمة مادة جديدة تحيطنا. وكل ذلك لا يستغرق أكثر من طرفة عين.

والآن نحن في الجانب الآخر من الغرفة التي رأيناها على الشاشة. نعاين الأشياء المحيطة بنا. هناك رائحة تنبعث من الغرفة توحي وكأنها لم تُنظف منذ زمن طويل. النافذة موصدة بإحكام، والهواء راكد. إنه هواء بارد وتنبعث منه رائحة عفن خفيف. يسود المكان صمتٌ مطبق حتى يكاد يصك آذاننا. لا أحد هنا ولا نشعر بوجود أي شيء كامن. لو أن ذلك الشيء كان هنا من قبل، فقد ارتحل منذ فترة طويلة. لا يوجد سوانا هنا الآن - نحن وإيري أساي.

تواصل إيري نومها في السرير الفردي الذي يتوسط الغرفة. نتعرف على السرير والفراش. نقترب منها وندقّق في وجهها وهي نائمة، نستغرق وقتاً ونحن نراقب التفاصيل بتركيز فائق. كما ذكرنا من قبل، كل ما يمكننا تحقيقه، كزاوية رؤية محضة، هو الملاحظة وجمع البيانات، وإن أمكن، نصدر حكماً. ليس مسموحاً لنا بلمسها. وليس بوسعنا التحدث إليها. ولا يمكننا أن نكشف لها وجودنا بشكل غير مباشر.

قبل أن يمر وقت طويل تظهر مرة أخرى حركة في وجه إيري، وهي ارتعاشة لا إرادية تعتري إحدى وجنتيها، كما لو أنها تنشّ ذبابة صغيرة حطّت عليها. ثم يرف جفنها الأيمن رفة دقيقة. تثور موجات من التفكير. في زاوية غامضة من زوايا وعيها، هناك جزءان صغيران منها ينادي كل منهما الآخر في صمت، وتتداخل موجاتهما المنتشرة. تحدث تلك العملية أمام أعيننا. وتبدأ وحدة تفكير في التبلور بهذه الطريقة. ثم ترتبط بوحدة أخرى تشكلت في منطقة أخرى، ويتبلور النظام الرئيس للوعي بالذات. بعبارة أخرى، إنها تتحرك، خطوة خطوة، نحو اليقظة.

ربما يكون إيقاع صحوها بطيئاً على نحو يدفع المرء للجنون، لكنه لا يتراجع إلى الخلف مطلقاً. ومن حين إلى آخر يعتري النظام شيئاً من الارتباك، لكنه يتحرك إلى الأمام باضطراد خطوة خطوة. وتدريجياً تتقلص الفواصل الزمنية المطلوبة بين كل حركة والحركة التي تعقبها. في البداية تنحصر حركات العضلات في منطقة الوجه، لكنها مع الوقت تنتشر في باقي الجسم. وعند نقطة ما يعلو

كتفها بلطف، وتظهر يدٌ صغيرة من تحت الفراش. إنها يدها اليسرى. إن اليقظة السارية فيها تسبق تلك السارية في اليمنى بمقدار خطوة. وفي زمانهم الجديد، تسترخي الأصابع وتعتريها حركة قلقة كأنها تبحث عن شيء ما. وفي النهاية تتحرك الأصابع فوق الفراش مثل كائنات صغيرة منفصلة في طريقها لأخذ قسط من الراحة عند الحنجرة النحيفة، كما لو أن إيري تبحث وعلى نحو متقطع عن معنى لجسدها.

سرعان ما ينفتح جفناها. ولكن أنوار مصابيح الفلوروسنت المنتشرة في السقف تفاجئ عينيها، فتغمضهما مرة ثانية. يبدو أن وعيها يقاوم اليقظة. إن ما يريده هو أن يمنع عالم الواقع المنتهك لحرمته وأن يواصل النوم بلا نهاية في ظلام هادئ وملغز. على النقيض من ذلك، تحاول وظائفها الجسمية بلوغ حالة من اليقظة الإيجابية. إنها تتوق إلى ضوء طبيعي متجدد. في داخلها يدور صراع بين هاتين القوتين المتعارضتين، ولكن النصر النهائي يكون حليفاً لقوى اليقظة. مرة أخرى، ينفتح الجفنان، ببطء وتردّد. ولكن مرة أخرى، يأتي الوهج المنبعث من أنوار الفلوروسنت ساطعاً ويفوق الاحتمال. فترفع كلتا يديها لتغطي عينيها. تتحول إلى النوم على جنبها وتضع خدها على الوسادة.

ينساب الوقت. تنقضي ثلاث وأربع دقائق وما زالت إيري ترقد في السرير في الوضعية نفسها وبعينيها المغمضتين. هل يمكن أن تكون قد عاودت النوم ثانية؟ لا، إنها تمنح وعيها بعض الوقت حتى يؤقلم نفسه على العالم المستيقظ. فالوقت يلعب دوراً حاسماً

عندما يُنقل شخص إلى غرفة يختلف فيها الضغط الجوي اختلافاً كبيراً ويسمح للوظائف الجسمانية بأن تتأقلم مع ذلك. يدرك وعيها أن ثمة تغييرات حتمية قد بدأت، ويكابد لجعلها تقبل بها. تشعر بغثيان خفيف. وتعتري بطنها تقلصات، ويتولد لديها إحساس بأن ثمة شيئاً يوشك أن يقفز من بطنها. تتغلب على هذا الشعور بأخذها أنفاساً طويلة. وعندما يزول الشعور بالغثيان أخيراً، تحل محله العديد من الأحاسيس الأخرى الكريهة، مثل خدر الذراعين والساقين وصفير خفيف في الأذنين وألم في العضلات. تظلّ نائمة في الوضعية نفسها لوقت طويل للغاية.

ينساب الوقت مرة أخرى.

وأخيراً تنهض جالسة في السرير، وبتحديقة زائغة تتفحص المكان من حولها. الغرفة واسعة. لا أحد هناك غيرها. ما هذا المكان؟ ما الذي أفعله هنا؟ تحاول المرة تلو الأخرى أن تقتفي أثر ذاكرتها، ولكنها لا تحصل في كل مرة إلا على خيط قصير. كل ما يمكنها أن تعرفه هو أنها كانت نائمة في هذا المكان وأنها في الفراش وترتدي قميص نوم. **هذا سريري، وهذا قميص نومي. أستطيع التيقن من ذلك. ولكن هذا ليس مكاني. الخدر يعتري جسدي كله. لو أنني كنت نائمة هنا، فلا بد أن ذلك كان لوقت طويل جداً، ولا بد أنه كان نوماً عميقاً جداً. ولكن ليس لدي أدنى فكرة عن المدة التي أمضيتها في النوم. يبدو أن خديها ينبضان من أثر الجهد العازم على التفكير.**

تُخرج نفسها من تحت الغطاء، وتنزل قدميها العاريتين بحذر

إلى أرضية الغرفة. ترتدي قميص نوم بسيطاً أزرق اللون مصنوعاً من مادة لامعة. الهواء داخل الغرفة بارد. تنزع اللحاف من فوق السرير وتتدثر به كأنه ثوب فضفاض. تحاول المشي ولكنها لا تستطيع السير. فعضلاتها لا تتذكر كيف يكون ذلك. ولكنها تدفع نفسها إلى الأمام، خطوة خطوة مع كل دفعة. يثير لديها مشمّع الأرضية الخالي أسئلة حول تحمل البرد: من أنتِ؟ وماذا تفعلين هنا؟ لكنها وبطبيعة الحال لا يمكنها الجواب.

تقترب من النافذة وتضع يدها على حافتها، وتمد رقبتها حتى تنظر خارجها، لكن ومع ذلك لا يوجد أي منظر فيما وراء الزجاج، فليس هناك سوى مساحة لا لون لها تشبه فكرة نقية ومجردة. تفرك عينيها، وتأخذ نفساً عميقاً، وتحاول مرة ثانية أن تنظر في الخارج، لكنها ما زالت لا ترى سوى مساحة خاوية. تحاول فتح النافذة ولكن دون جدوى. تجرب ذلك مع باقي النوافذ بالترتيب، ولكنها جميعها ترفض أن تتحرك، كما لو أنها مثبتة بالمسامير. يخطر ببالها أنها ربما تكون على متن سفينة. فهي تشعر على ما يبدو بهزهزة خفيفة. **ربما أكون على متن سفينة كبيرة، والنوافذ محكمة الإغلاق لمنع تسرب الماء إلى داخل السفينة.** تحاول أن تنصت عساها تسمع صوت المحرك أو هيكل السفينة وهو يمخر عباب الموج. ولكن لا يصلها سوى صوت الصمت المطبق.

تدور دورة كاملة داخل الغرفة الكبيرة، وتأخذ وقتها في تحسس الحوائط وتفتح وتغلق مفاتيح الكهرباء. ولكن أياً من المفاتيح لم يؤثر شيئاً في مصابيح الفلوروسنت المثبتة في السقف

أو المثبتة على أي شيء آخر. إنها لا تؤدي أي وظيفة. يوجد للغرفة بابان، وهما بابان عاديان تماماً. تحاول أن تدير مقبض أحدهما. يدور المقبض ولكن دون أن ينفتح. تحاول أن تدفع وتشد، ولكن الباب لا يتزحزح. يحدث الأمر نفسه مع الباب الآخر. ترسل لها الأبواب والنوافذ كلها برسالة رفض لها وكأن كل منها هو كائن مستقل بذاته.

تضع قبضتيها فوق الباب وتطرقه بكل ما أوتيت من قوة، آملة أن يسمعها أحد ما ويفتح لها الباب من الخارج، إلا أن الصدمة تعتريها عندما تحس بضآلة الصوت الذي يحدثه طرقها. فحتى هي نفسها بالكاد تسمع ذلك الصوت. لا أحد (إذا فرضنا أن ثمة أحد هناك في الخارج) يمكنه سماع طرقها. والمحصلة الوحيدة لما تفعل هي أنها تؤذي يديها. تشعر بشيء يشبه الدُوار داخل رأسها فيما يزداد إحساسها بالهزهزة التي تعتري جسمها.

نلاحظ أن الغرفة تشبه المكتب الذي كان يعمل فيه شيراكاوا حتى وقت متأخر من الليل. ربما تكون هي الغرفة ذاتها، لكنها أصبحت الآن خاوية تماماً بعد أن أُزيل منها جميع الأثاث والتجهيزات المكتبية والديكورات. لم يتبقَّ منها سوى مصابيح الفلوروسنت المثبتة في السقف. بعد أن أُخرج كل ما كان بها، أغلق آخر شخص غادرها الباب خلفه، وغاصت الغرفة في قاع البحر بعد أن بات وجودها طي النسيان. يوحي الصمت والرائحة الكريهة التي تمتصها الحوائط الأربعة لها ولنا بمرور الوقت.

تجلس القرفصاء على الأرض فيما تسند ظهرها إلى الحائط،

وتغمض عينيها، في انتظار أن تخف حدة الدوار والهزهزة. وفي النهاية تفتح عينيها وتلتقط شيئاً كان قد وقع على الأرضية بالقرب منها. إنه قلم رصاص. وله ممحاة. ومطبوع عليه اسم «فيريتك»، إنه قلم رصاص فضي من النوع نفسه الذي كان يستعمله شيراكاوا. إن سِنَّه غير حادة. تلتقط القلم وتحدق فيه وقتاً طويلاً. لا يرتبط اسم «فيريتك» في ذاكرتها بأي شيء. هل هو اسم لشركة، أو اسم منتج ما؟ لا يمكنها أن تتحقق من ذلك. تهز رأسها هزة خفيفة. وباستثناء القلم، فإنها لا ترى شيئاً يمكن أن يقدِّم لها أي معلومات عن هذه الغرفة.

ليس بوسعها أن تفهم كيف جيء بها إلى مثل هذا المكان وحدها. فهي لم تره من قبل، وليس في ذاكرتها أي شيء بخصوصه. **تُرى من حملني إلى هنا، ولأي غاية كان ذلك؟ هل يجوز أنني قد مِت؟ هل هذه هي الحياة الأخرى؟** تجلس على حافة السرير وهي تفكر بعمق في احتمالية أن يكون ذلك هو ما حدث لها. ولكنها لا تستطيع أن تصدق أنها ميتة. ولا يمكن للحياة الأخرى أن تكون على هذه الشاكلة. لو أن الموت كان يعني أن تُحبس وحيداً داخل غرفة خاوية في بناية مكتبية معزولة، لكان ذلك يعني انعدام الأمل في أي خلاص. هل يمكن لذلك أن يكون حلماً؟ **لا، إنه أكثر اتساقاً من أن يكون حلماً، وتفاصيله شديدة الواقعية وممتلئ بالحياة. أستطيع أن ألمس الأشياء التي هنا.** وخزت ظهر يدها بسن قلم الرصاص حتى تتأكد من إحساسها بالألم. تلعق الممحاة حتى تتأكد من مذاق المطاط.

يستقر رأيها قائلة، إن هذا واقعٌ. لسبب من الأسباب، حلّ نوع مختلف من الواقع مكان واقعي الطبيعي. وأياً كان المكان الذي ربما جيء بها منه، وأياً كان مَن جاء بي إلى هنا، فقد تركت حبيسة ووحيدة تماماً داخل هذه الغرفة الغريبة المغبرة الصامتة التي لا منفذ لها. ترى هل ذهب عقلي، ونتيجة ذلك، جرى إرسالي إلى هذا النوع من المؤسسات؟ لا، هذا ليس أمراً محتملاً أيضاً. وأياً كان الأمر، مَن الذي يمكنه أن يجلب لها سريرها عندما تدخل المستشفى؟ وفوق ذلك، فإن هذه الغرفة لا تشبه غرفة في مستشفى، ولا حتى زنزانة في سجن. إنها غرفة كبيرة وخاوية وحسب.

تعود إلى السرير وهي تمسِّد بيدها فوق اللحاف. تربت بخفة فوق الوسادة. إنهما لحاف عادي ووسادة عادية. ليستا رموزاً، ولا مفاهيم، أحدهما لحاف حقيقي، والآخر وسادة حقيقية. ولا يمنحها أي منهما دليلاً يمكنها الاستناد إليه. تمرِّر إيري أصابعها فوق وجهها، وتلمس كل ذرة من بشرتها. وعبر طوق قميص نومها، تضع يديها فوق نهديها. تتحقق من أنها هي نفسها، بوجهها الجميل ونهديها النافرين. إنني كتلة من اللحم وأصل تجاري، هكذا توحي لها أفكارها. فجأة أصبحت أقل تيقناً بكثير من أنها هي نفسها.

خبا شعورها بالدوار، ولكن الإحساس بالهزهزة يتواصل. تشعر وكأن موطئ قدمها قد جُرف من تحتها، وكأن جسمها الداخلي فقَدَ كل وزنه الضروري ويوشك أن يصبح مجوفاً. ثمة يد ما تنتزع منها بمهارة كل ما يجعلها إيري أساي حتى الآن، مثل

الأعضاء والحواس والعضلات والذكريات. تُدرك أنّ المطاف سوف ينتهي بها لتصبح مجرد قناة ملائمة تُستخدم في تمرير الأشياء الخارجية. ينضح جلدها بإحساس طاغٍ من العزلة الذي يتسبب فيها ذلك. **إنني أكره ذلك!** تصرخ. **لا أريد أن أتحول إلى هذا النحو!** ولكن صرختها التي أرادتها لم تخرج. كل ذلك يجعل من حنجرتها في الواقع مثل نشيج متلاشٍ.

تتضرع قائلة: «**دعني أعاود النوم مرة ثانية! ليتني أستطيع أن أغط في نوم عميق وأستيقظ في واقعي القديم!**» هذه هي الطريقة الوحيدة التي تتصور إيري من خلالها هربها من الغرفة. ربما تستحق المحاولة. ولكن ذلك النوم لن يُتاح لها بسهولة. وأحد أسباب ذلك، هو أنها استيقظت لتوها. وكان نومها طويلاً وعميقاً إلى حدٍّ يصعب معه العودة إليه، وعميقاً إلى درجة أنها خلّفت معها واقعها الطبيعي وراءها.

تضع القلم الرصاص الفضي بين أصابعها وتعبث به فيما يحدوها أمل غامض في أنّ هذا الشيء الذي وجدته على أرضية الغرفة سوف يستدعي بعض الذكريات. ولكن كل ما تشعر به أصابعها هو مجرد اشتياق لا نهائي مبعثه القلب. تدع القلم يفلت من بين أصابعها وهي في حالة بين الوعي واللاوعي. ترقد على السرير، تدثر نفسها باللحاف وتغمض عينيها.

تفكر على النحو التالي: **لا أحد يعرف أنني هنا. أنا على يقين من ذلك. لا أحد يعرف أنني في هذا المكان.**

* * *

إننا نعرف. ولكننا لسنا مؤهلين لأن نشاركها ذلك. ننظر إليها من أعلى وهي راقدة في السرير. تدريجياً، نأخذ في التراجع كزاوية نظر. نخترق السقف، ونتحرك بثبات إلى أعلى مبتعدين عنها. كلما صعدنا إلى أعلى، تضاءلت صورة إيري حتى أصبحت مجرد نقطة صغيرة، ثم تلاشت. نزيد سرعتنا، ونتحرك إلى الخلف خلال طبقة الستراتوسفير. تتضاءل الأرض أمامنا حتى تتلاشى هي الأخرى. تتراجع زاوية رؤيتنا خلال فراغ العدم. إنه تراجع خارج سيطرتنا.

والشيء التالي الذي نعرفه، هو أننا نعود إلى غرفة إيري أساي. السرير خاوٍ. باستطاعتنا أن نرى شاشة التلفاز. إنها لا تعرض سوى عاصفة رملية من التشويش. وهناك صرير حادّ ومستمر في آذاننا. نحدق في العاصفة الرملية لبرهة بلا هدف.

تزداد عتمة الغرفة شيئاً فشيئاً حتى يزول ما بها من ضوء في لحظة واحدة. وتزول العاصفة الرملية أيضاً. ويحلّ ظلامٌ حالك.



الساعة 42 : 3 ليلاً

11

تجلس ماري وتكاهاشي جنباً إلى جنب على مقعد في حديقة. إنها حديقة صغيرة في قطعة أرض ضيقة وسط المدينة. ولقربها من مشروع إسكان شعبي حكومي، فهي تضمّ في إحدى جنباتها ملعباً وأرجوحات ونافورة ماء. تضيء مصابيح الزئبق أرجاء المكان. تنشر الأشجار أغصانها الجافة فوق الرؤوس، فيما تنمو الشجيرات الكثيفة أسفل ذلك. ثمة طبقة كثيفة من الأوراق المتساقطة تحجب كثيراً من الأرض، ويُسمع لها خشخشة كلما وطأتها الأقدام. في هذه الساعة خوت الحديقة إلا من ماري وتكاهاشي. ولم يكن هناك سوى قمر أبيض في طور الهلال يتدلى من قبة السماء مثل نصل حاد في أواخر الخريف. هناك قطة صغيرة بيضاء اللون تجلس فوق حجرها وتطعمها ساندويشاً جلبته معها ملفوفاً في ورق مناديل. القطة تأكل بتلذذ. تُمنسد ماري يدها برفق فوق ظهرها، فيما تتابع ذلك عن قرب قططٌ أخرى كثيرة.

تكاهاشي: «عندما كنت أعمل سابقاً في ألفافيلا، كنت معتاداً على المجيء إلى هنا خلال استراحاتي لإطعام القطط ومداعبتها. لا أستطيع الآن أن أقتني قطة لأنني أعيش بمفردي في الشقة. أشتاق لملمسهم الناعم أحياناً».

تسأله ماري: «هل كان لديك قطة عندما كنت تعيش في منزل أسرتك؟»

- نعم، وذلك لكوني بلا أشقاء أو شقيقات.

- ألا تحب الكلاب؟

- أحب الكلاب. كان لدي عدد منها. ولكن في نهاية المطاف، أجدني أفضِّل القطط. إنها مسألة ميول شخصية.

ماري: «لم يحدث أن اقتنيت قطة أو كلباً من قبل. كانت شقيقتي تعاني حساسية من الفراء. لا يمكنها التوقف عن العطس».

- مفهوم.

- منذ أن كانت طفلة، كانت تعاني أنواعاً كثيرة من الحساسية، مثل حساسية رحيق شجر الأرز والطلاء الجديد للجدران، وأشياء أخرى كثيرة.

يرد تكاهاشي متعجباً وقد قطَّب جبينه: «الطلاء الجديد للجدران؟ لم أسمع بذلك من قبل».

- حسناً، لقد كان لديها ذلك النوع. كانت أيضاً تعاني ردات فعل تحسسية قوية.

- مثل ماذا...؟

- فقد تُصاب مثلاً بطفح جلدي، وتنتابها اضطرابات في

التنفس. وقد تظهر لديها تلك الدمامل في قصبتها الهوائية، وكان يتعين على والديّ أخذها إلى المستشفى.

- هل يحدث ذلك في كل مرة تستنشق طلاء جديداً؟

- في الحقيقة، ليس في كل مرة، ولكنه حدث كثيراً.

- حتى كثيراً يعتبر أمراً صعب الاحتمال.

تواصل ماري ملاطفة القطة في صمت.

يسألها تكاهاشي: «وماذا عنك؟»

- تقصد بالنسبة إلى الحساسية؟

- نعم.

تجيب ماري: «ليس لدي حساسية من أي نوع. لم أمرض قَط. في بيتنا، لدينا بياض الثلج الرقيقة وراعية الأغنام القوية».

- أسرة بها بياض ثلج واحدة هو شيء كثير.

تومئ ماري.

- وليس هناك ما يعيب راعية أغنام قوية. ليس عليك أن تقلقي بشأن ما إذا كان الطلاء جافاً أو لا في كل مرة.

تحدق ماري في وجهه. «الأمر ليس بهذه البساطة، هل تعرف ذلك؟»

تكاهاشي: «أعرف أنه ليس بتلك البساطة... ألا تشعرين بالبرد الآن؟»

- لا، أنا على ما يرام.

- تفتت ماري قطعة أخرى من ساندويش التونا وتطعم القطة. تلتقم القطة الفتات بنهم.

لبضع لحظات يعتري تكاهاشي بعض التردّد حول ما إذا كان عليه أن يذكر شيئاً ما، ثم يقرر أن يذكره. «هل تعرفين أنني ذات مرة تبادلت أطراف حديث مطول وجادّ مع شقيقتك، ولم يكن هناك سوى كلينا نحن الاثنين».

تنظر إليه ماري. «متى كان ذلك؟»

- لا أتذكر بدقة، ربما كان ذلك في نيسان/ أبريل. كنت ذاهباً إلى شركة «تاور ريكوردز» للتسجيلات ذات مساء لأبحث عن شيء ما والتقيتها مصادفة أمام الشركة. كنت بمفردي، وكذلك هي. وقفنا على الرصيف حيث تحدثنا قليلاً، إلا أننا أدركنا خلال ذلك أن لدينا الكثير لنقوله، ولذلك قصدنا مقهى في نهاية الشارع. في البداية، كان حديثاً عادياً دار حول ما يتحدث عنه أي شخص يقابل مصادفة زميل دراسة قديم لم يره منذ فترة، مثل ماذا حدث لفلان وعلان. ولكنها عندئذٍ اقترحت أن نذهب إلى مكان يمكننا أن نتناول فيه شراباً، وهناك أخذ الحديث منحى شخصياً وأكثر عمقاً. كان لديها كثير من الأمور التي تريد الحديث عنها.

- منحاً شخصياً وأكثر عمقاً؟

- نعم.

تنظر ماري إليه نظرة مستنكرة. «ولماذا تتحدث إيري إليك عن مثل هذه الأشياء؟ لم أشعر قط أنك وهي كنتما وثيقي الصلة».

- لا، بصراحة لم نكن. لقد كانت المرة التي ذهبنا فيها معاً إلى مسبح الفندق هي المرة الأولى التي أتحدث فيها إليها، بل حتى لست متأكداً إن كانت تعرف اسمي كاملاً.

ما زالت ماري تُمسد فرو القطة في صمت.

يستطرد تكاهاشي: «ولكنها في ذلك اليوم، كانت ترغب في التحدث مع أحد. كان طبيعياً أن يكون ذلك مع فتاة أخرى وصديقة لها، لكن لست أدري، ربما شقيقتك ليست لديها أي صديقات يمكنها أن تفضفض لهن حول تلك الأمور. ولذلك وقع اختيارها عليّ عوضاً عن ذلك. لقد تصادف أنه أنا ذلك الشخص. كان بالإمكان أن يكون أي شخص آخر».

- لكن، لماذا أنت؟ بحسب معرفتي، فإنها لم تكن تجد صعوبة تذكر في أن تجد صديقاً؟

- لا، معك حق فيما تقولين.

- ولكنها تقابلك مصادفة في الشارع، وأنت شخص لا تعرفه جيداً، ثم تندمج معك في مثل هذا الحديث الشخصي والعميق. سؤالي هو لماذا؟

يجيبها تكاهاشي وهو يفكر في الأمر: «لست أدري، ربما اعتبرتني شخصاً غير مؤذٍ بالنسبة إليها».

- غير مؤذٍ؟

- نعم، كأن تفضفض بما يعتمل داخلها مثلما فعلت تلك المرة، دون أن تشعر بأي تهديد من جراء ذلك.

- لست أفهم ذلك.

- «حسناً، ربما كانت..» يجد تكاهاشي صعوبة في العثور على الكلمة المناسبة. «ربما يبدو ذلك غريباً بعض الشيء، ولكن

الناس عادة ما يظنونني مثليّ الجنس. مثلما في الشارع، أحياناً يتحرش بي شخص ما، رغم أنه لم يعرفني من قبل».

- ولكنك لستَ مثلياً، أليس كذلك؟

- لا، لا أظن ذلك... كل ما في الأمر هو أن الناس دائماً ما يقع اختيارهم عليّ حتى يُسروا إليّ بأسرارهم رغم كونهم أشخاصاً وفتيات بالكاد أعرفهم، أو لم أقابلهم من قبل. إنهم يفضفضون لي بأخصّ أسرارهم وأشدها غرابة. ما يثير حيرتي هو لماذا يفعلون ذلك؟ وخصوصاً أنني لا أحب سماع تلك الأمور.

تُدير ماري في ذهنها ما قاله لها تواً. ثم تقول له: «إذن، وعلى أية حال، فإن إيري قد اعترفت لك بكل هذه الأسرار».

- نعم. أو ربما يجب أن أقول إنها أخبرتني بأشياء شخصية.

تسأله ماري: «مثل ماذا؟»

- أمور عائلية.

- أمور عائلية؟

تكاهاشي: «مثلاً».

- وهل كان من بينها أشياء تخصني؟

- نعم؟

- من أي نوع تلك الأشياء؟

يطرق تكاهاشي لبرهة يفكر في أفضل جواب لذلك. «مثلاً، لقد قالت إنها تتمنى أن تصبح أكثر قرباً منك».

- أكثر قرباً مني؟

- كانت تشعر أنك تتعمدين خلق مسافة فاصلة بينك وبينها. منذ أن بلغت سناً معيناً.

تضم ماري القطة برفق بين راحتيها. تستشعر في يدها الدفء المنبعث من جسم القطة.

ماري: «نعم. ولكن من الممكن أن يتقارب الناس بعضهم بعضاً حتى وإن حافظا على مسافة معقولة تفصل بينهم».

تكاهاشي: «بالطبع، ذلك ممكن. ولكن ما يبدو لشخص أنه مسافة معقولة ربما يبدو لآخر مسافة بعيدة للغاية».

تظهر قطة بنية اللون فجأة وتمسح رأسها في ساق تكاهاشي. ينحني تكاهاشي ليحنو عليها. يُخرج كعكة السمك من جيبه ويفتح الورق الذي يغلفها، ويُلقي بنصفها للقطة فتلتهمها.

تسأله ماري: «إذن تلك هي المشكلة الشخصية التي كانت تؤرق إيري؟ أنها لا تستطيع التقارب أكثر مع شقيقتها الصغرى؟»

- هذه كانت إحدى مشكلاتها الشخصية. كانت هناك مشكلات أخرى.

تلتزم ماري الصمت.

يتابع تكاهاشي: «خلال حديثها معي، كانت إيري تتناول كل أنواع الحبوب التي يمكنك تخيلها. كانت حقيبتها محشوة بالأدوية، وفيما كانت تحتسي شراب «بلودي ماري» كانت تمضغ هذه الحبوب مثل البندق. أنا متأكد أنها كانت أدوية مصرح بها، ولكن الجرعات كانت غير طبيعية».

- إنها مهووسة جداً بتناول الحبوب. كانت هكذا دائماً. ولكن حالتها كانت تسوء يوماً بعد يوم.

- يجب أن تجد من يوقفها.

تهز ماري رأسها. «عندما يتعلق الأمر بحبوب الدواء أو الذهاب إلى العرّافات أو ممارسة الحمية الغذائية، فليس باستطاعة أحد أن يوقفها البتة عن تلك الأشياء».

- ألمحتُ لها بطريق غير مباشر أنه ينبغي لها أن تذهب إلى مختص، معالج أو طبيب نفسي أو شيء من هذا القبيل. ولكن بحسب علمي، لم يكن لديها النية لعمل ذلك. أقصد أنه كان يبدو عليها أنها لا تدرك حتى أن ثمة شيئاً يدور بداخلها. كنت قلقاً حقاً بشأنها. كنت أجلس هناك وأفكر، ترى ما الذي حدث لإيري أساي؟

ينقبض وجه ماري. «كل ما كان عليك فعله هو أن تهاتفها بعد ذلك وتسألها مباشرة، هذا إن كنت حقاً كما تقول قلقاً بشأنها».

يتنهد تكاهاشي تنهيدة قصيرة. «حتى نعود إلى ما تحدثنا فيه أول شيء هذه الليلة، لنفترض أنني اتصلت ببيتكم وأن إيري أساي هي من ردّت على الهاتف، ما كنت لأجد ما أقوله لها».

- ولكن كليكما تحدث إلى الآخر ذلك الحوار المسهب والودّي أثناء الشراب، ذلك الحديث العميق والشخصي.

- صحيح، ولكنه لم يكن حواراً بكل ما تعنيه الكلمة. فأنا لم أقل شيئاً تقريباً. لقد انهمكتْ هي في الكلام فيما كنت أنا من حين إلى آخر أومئ برأسي موافقاً. وفوق ذلك، وحتى أكون واقعياً،

فلست أظن أن هناك الكثير الذي يمكنني عمله لها، ما دمت لست منخرطاً معها إلى مستوى أكثر شخصية وأكثر عمقاً على الأقل.

- ولعلك لا تريد أن تنخرط معها إلى ذلك الحد. . .

يجيب تكاهاشي: «لا أظن أنه باستطاعتي الانخراط إلى ذلك المستوى».

يمد ذراعه ويحك فرو القطة خلف أذنيها.

- ربما لستُ مؤهلاً لذلك.

- أو حتى تكون أكثر صراحة، فإن إيري أساي لا يمكنها أن تستحوذ على اهتمامك حتى هذا الحد؟

- حسناً، إذا أردتِ النظر للأمر من تلك الزاوية، فإنها إيري أساي التي لا تهتم بي على الإطلاق. مثلما قلتُ، إنها كانت بحاجة إلى أحد لتتحدث معه وحسب. ومن وجهة نظرها، فأنا لم أكن أكثر من حائط مزوّد بخصائص بشرية يمكنه أن يتجاوب معها من حين إلى آخر كلما لزم الأمر.

- حسناً، وبصرف النظر عمّا سبق، فهل تشعر باهتمام شديد نحو إيري أم لا؟ أظن أن عليك أن تجيب إما بنعم أو بلا.

يفرك تكاهاشي يديه معاً فركاً خفيفاً، وكأن شعوراً بالارتباك قد انتابه. إنه سؤال شائك ويجد صعوبة في الجواب عنه.

- نعم، أعتقد أنني أشعر باهتمام نحو إيري أساي. إنّ شقيقتك تفيض بحالة من الحسن الطبيعي الخالص. إنها حالة خاصة ولدت بها. فمثلاً عندما كنّا نحتسي الشراب ونتبادل أطراف ذلك الحديث الحميم، كان كل من في داخل الحانة ينظر إلى كلينا

ولسان حالهم يقول: «يا للحماقة، ما الذي يجعل فتاة بهذا الجمال الفاتن تخالط مثل هذا الشاب الحقير»

- نعم، ولكن. .

- ولكن ماذا؟

ماري: «فكر في ذلك. سألتك ما إذا كنت تشعر باهتمام شديد نحو إيري، وكان جوابك «أعتقد أن لدي اهتمام نحوها» وأسقطت كلمة «شديد». يهيأ لي أنك تُغفل شيئاً».

يعبر تكاهاشي عن إعجابه بماري قائلاً: «إنك قوية الملاحظة».

تنتظر ماري جوابه في صمت.

لا يعرف تكاهاشي تماماً كيف يجيب، «لكن دعينا نرى. . . أنا أجلس هناك وأنهمك في ذلك الحديث الطويل مع شقيقتك، ثم ينتابني ذلك الشعور الغريب. في أول الأمر لست أدرك مدى غرابته، ولكنه مع مرور الوقت يصبح قوياً حتى أشعر وكأنني لست هنا. لست مستغرقاً فيما يحدث هنا. وهي تجلس هناك أمامي مباشرة، ولكنها وفي الوقت ذاته تبعد عني بملايين الأميال».

ما زالت ماري تلزم الصمت. وتعض شفتها عضاً خفيفاً فيما تنتظر منه أن يقصّ بقية القصة. يأخذ تكاهاشي وقته وهو يفتش عن الكلمات المناسبة.

- وأخيراً، أياً كان ما أقوله، فإنه لا يصلها. ثمة طبقة تشبه نوعاً من أنواع الإسفنج الشفاف تفصل بين إيري أساي وبيني، ويتعين أن تمر الكلمات التي تخرج من فمي عبر هذه الطبقة،

وعندما يحدث ذلك، فإن الإسفنجة تمتص تقريباً كل المغذّيات مباشرة من هذه الكلمات. إنها لا تصغي إلى أي شيء ممّا أقوله، لا تصغي فعلاً. وكلما طال حديثنا، استطعت أن أرى ما يحدث بوضوح أكبر. وهكذا لا تصلني الكلمات التي تخرج من فمها. لقد كان شعوراً غريباً.

عندما أدركتْ أن ساندويشات التونة قد نفدت، انسلّت القطة من بين يدي ماري وقفزت إلى الأرض، متجهة بسرعة صوب الشجيرات الكثيفة وهي تكاد تقفز من فرط سرعتها. تلملم ماري المناديل الورقية التي كانت تغلف الساندويشات ثم تدسّها في حقيبة يدها، وتمسح فتات الخبز العالق بيديها.

ينظر تكاهاشي إلى ماري: «هل تفهمين ما أقول؟»

- «هل أنا فهمتُ ما تقوله؟»، تجيبه ماري ثم تأخذ نفساً، «إن وصفك الذي قدمته تواً عن إيري هو وصف شبيه للغاية بما كنت أحسّه من إيري لفترة طويلة من الزمن، على الأقل خلال السنوات القليلة الماضية».

- هل كلماتُك لا تصلها؟

- نعم.

يلقي تكاهاشي ببقية كعكة السمك التي لديه إلى قطة أخرى دنت منه. تتشمّمها القطة حذرة ثم تلتهمها بسرعة.

ماري: «لدي سؤال آخر، ولكن هل تعدني أن تجيب عنه بصدق؟»

تكاهاشي: «بكل تأكيد».

- الفتاة التي تَصادف أن رافقتها إلى فندق ألفافيلا كانت هي شقيقتي إيري، أليس كذلك؟

يرفع تكاهاشي وجهه وقد علت ملامحه علامات الصدمة وراح ينظر مباشرة في وجه ماري. ربما يكون نظره موجهاً نحو التموّجات المنتشرة على سطح بركة ماء صغيرة.

يسألها: «وما الذي يجعلك تعتقدين ذلك؟»

- لست أعتقد، إنه مجرد شعور. هل أخطأت فيه؟

- لا، لم تكن إيري. كانت فتاة أخرى.

- هل أنت واثق من ذلك؟

- نعم.

تفكر ماري في شيء لبرهة.

- هل بإمكاني أن أسألك سؤالاً آخر؟

- بالطبع.

- هب أنك أخذت شقيقتي إلى ذلك الفندق ومارست الجنس معها. افتراض جدلي.

- افتراض جدلي.

- وإذا افترضنا جدلاً أنني سألتك، هل أخذت شقيقتي إلى ذلك الفندق ومارست الجنس معها؟

- إذا افترضنا جدلاً.

- إذا سألتك ذلك، هل تعتقد أنك سوف تُجيب صادقاً بنعم؟

يفكر تكاهاشي في ذلك للحظة.

يجيب: «على الأرجح لا. أغلب الظن أنني سأقول لا».

- لماذا؟

- لأن ذلك سوف يكون انتهاكاً لخصوصية شقيقتك.

- تقصد شيئاً من قبيل السرية المهنية؟

- نعم، شيئاً من هذا القبيل.

- حسناً، في تلك الحالة، ألا يجب أن تكون الإجابة الصحيحة هي «ليس باستطاعتي الجواب عن ذلك السؤال؟ إذا كنت حقاً تريد أن يظلّ الأمر طيّ الكتمان».

يقول تكاهاشي: «نعم، ولكن إن كان علي أن أقول «ليس باستطاعتي الجواب عن ذلك» في هذا السياق، فإنها ستكون وكأنني أقول نعم في واقع الأمر. هذا إهمال مقصود».

- إذن في كلتا الحالتين، فإن الجواب سيكون لا، أليس كذلك؟

- نظرياً، نعم.

تنظر ماري في عيني تكاهاشي نظرة ثاقبة. «في الحقيقة، أنا لا يعنيني إن كان الجواب بنعم أو لا، ولا حتى يعنيني إن كنت قد نمت مع إيري، طالما أنّ ذلك كان شيئاً أرادته هي».

- ربما إيري أساي ليس لديها حتى فهم واضح لما تريده إيري أساي. على أية حال، لنوقف ذلك هنا. فمن الناحية النظرية وفي الواقع، فإن الفتاة التي أخذتها إلى ألفافيلا كانت فتاة أخرى وليست إيري أساي.

تطلق ماري تنهيدة قصيرة وتدع بضع ثوان تنقضي. «كم تمنيت لو كنت أكثر قرباً من إيري أساي. كنت أتمنى ولا سيما

خلال سنوات المراهقة الأولى، أن أصبح صديقتها المقرّبة. لا شك أنني كنت أبدي إعجابي الشديد بها، لكنها كانت شديدة الانشغال بالفعل حتى عندما أصبحت فتاة غلاف في المجلات، وتتلقى ملايين الدروس، والجميع رهن إشارتها. لم يكن لديها أي مجال لي. بعبارة أخرى، عندما كنت أحتاجها بشدة، لم يكن لديها الوقت الكافي للالتفات لي».

يصغي تكاهاشي إلى ماري في صمت.

- كنّا شقيقتين نعيش تحت سقف واحد، ولكننا كبرنا في عالمين مختلفين. لم نكن حتى نأكل الطعام نفسه. في ظلّ كل هذه الأنواع من الحساسية التي لديها، كان عليها أن تتبع نظاماً غذائياً خاصاً يختلف عمّا تأكله بقية الأسرة.

يسود صمت.

ماري: «لست ألومها في شيء. صحيح أنني كنت في ذلك الوقت أرى أن أمي تدللها، ولكن ذلك لا يهم الآن. كل ما أحاول أن أقوله هو أن هذا هو التاريخ الذي يجمعنا. لذلك عندما أسمع الآن أنها تتمنى لو كانت أكثر قرباً مني، فإنني وبكل صدق ليس لدي أدنى فكرة عمّا يمكنني فعله حيال ذلك. هل تتفهم شعوري؟»

- أعتقد أنني أتفهمه.

لا ترد ماري بشيء.

تكاهاشي: «لقد خطر ببالي فجأة عندما كنت أتحدث مع إيري أساي، ولكني أعتقد أنها تشعر بنوع من العقدة عندما يتعلق الأمر بك - منذ زمن طويل».

تسأله ماري: «عقدة؟ إيري تشعر بعقدة إزائي؟»

- آه، نعم.

- أوَليس العكس هو الصحيح؟

- لا، ليس العكس هو الصحيح.

- ما الذي يجعلك تظنّ ذلك؟

- حسناً، اسمعي. إنك الشقيقة الصغرى، ومع ذلك فقد كان لديك دائماً صورة جيدة وواضحة عمّا تريدينه لنفسك. كنت تستطيعين أن تقولي لا عندما كان عليك أن تقولي ذلك، وكنت تفعلين الأشياء بحسب إيقاعك. وهي أشياء لا تستطيعها إيري أساي. منذ أن كانت طفلة صغيرة، كان عملها هو أن تؤدي الدور المنوط بها وتُرضي الأشخاص المحيطين بها. كانت تعمل بجدّ حتى تصبح نموذجاً لبياض الثلج، إذا جاز لي أن أستعير تسميتك لها. صحيح أنها كانت محط اهتمام واسع من الجميع، ولكنني أراهن أن ذلك كان أحياناً يزعجها للغاية. ومن أدقّ مشكلاتها هي أنه لم تتحْ لها الفرصة كي تبني لنفسها شخصية ثابتة. وإذا كانت كلمة «عقدة» تنطوي على بعض المبالغة، فلنقل إذن أنها ربما كانت تحسدك.

- هل إيري أخبرتك بذلك؟

- لا، ولكنني استشفيت ذلك من فهمي لبعض ما قالته وقد جمَّعت كل ذلك الآن في خيالي. لا أظنني بعيداً عن الحقيقة كثيراً.

ماري: «ربما لا تكون بعيداً، ولكني أرى أنك تبالغ. ربما يكون صحيحاً أنني عشت نمط حياة أكثر استقلالية من تلك التي عاشتها إيرى. أفهم ذلك. ولكن انظر إلى النتائج الفعلية: ها أنا ذا إنسانة تافهة ومسلوبة الإرادة فعلاً. لست أملك المعرفة التي ينبغي أن أمتلكها، ولست تلك الفتاة الذكية. لست جميلة، وليس هناك أحد يهتم بي كثيراً. أما بالنسبة إلى بناء الشخصية الثابتة، فلست أدري متى استطعت أن أحقق ذلك أيضاً. إنني أتخبط وحسب طول الوقت داخل عالمي الصغير. ما الذي يميِّزني حتى تحسدني إيري عليه؟»

تكاهاشي: «إنك ما زلت في طور مرحلة الإعداد. ومن المبكر للغاية أن تصِلي إلى أي نتائج نهائية. إنك على الأرجح ستكونين من هذا النوع الذي يحقق إمكاناته في سن متأخرة».

ماري: «تلك الفتاة كانت في التاسعة عشرة من عمرها أيضاً».

- أي فتاة؟

- الفتاة الصينية التي جُرِّدت من كل ملابسها وتعرَّضت لضرب مبرح حتى نزفت دماً في فندق ألفافيلا. كانت جميلة. ولكن ليس هناك أي مراحل إعداد في عالمها الذي تعيش فيه. لا أحد يتوقف ليفكر فيما إذا كانت ممّن يتأخرن في تحقيق النضج أو لا. هل تفهم ما أقصد؟

يومئ تكاهاشي برأسه إيماءة صامتة تدل على موافقته.

ماري: «بمجرد أن وقعت عيني عليها، انتابني شعور جارف بالرغبة في أن أصبح صديقتها. ولو كنا قد تقابلنا في مكان آخر

وظروف مختلفة، فأنا متأكدة أننا كنا سنصبح صديقتين جيدتين. لم أشعر بذلك الشعور قط إزاء أي أحد آخر».

- حسناً.

- ولكن لا يهم ما هو شعوري، إنّ العالمين اللذين نعيش فيهما مختلفان أشد الاختلاف. وليس بوسعي أن أعمل شيئاً حيال ذلك. مهما حاولت بكل ما أوتيت.

- صحيح كلامك.

- أستطيع أن أخبرك ذلك، رغم أنني لم أمضِ معها وقتاً طويلاً وكنا نادراً ما نتبادل أطراف الحديث، ولكني أشعر وكأنها تعيش داخلي الآن. وكأنها جزء مني. لا أعرف كيف أعبر عن ذلك.

- إنك تتألمين لألمها.

- ربما هو كذلك.

يفكر تكاهاشي في أمر ما لبرهة. ثم يفتح فمه ويقول: «خطرت ببالي فكرة للتو. لماذا لا تنظرين إلى المسألة من هذه الزاوية؟ قولي إن شقيقتك في مكان يشبه ألفافيلا، لا أعرف أين، وأنها تتعرض لعنف طائش على يد شخص ما. إنها تصرخ صرخات مكتومة وتنزف دماً غير مرئي».

- بالمعنى المجازي؟

تكاهاشي: «ربما».

- هل كلامك مع إيري هو ما أعطاك ذلك الانطباع؟

- إنها مهمومة وحدها بمشكلات كثيرة جداً ولا تستطيع أن

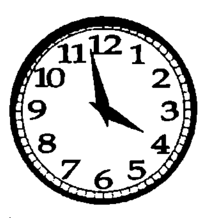
تمضي قدماً، وهي تتطلع لمساعدة. إنها تعبِّر عن تلك المشاعر بإلحاق الأذى بنفسها. هذا ليس مجرد انطباع، وإنما شيء أوضح من ذلك.

تنهض ماري عن الأريكة وتتطلع نحو السماء. ثم تقصد الأراجيح وتجلس في إحداها. ينقطع سكون الليل للحظات بخشخشة أوراق الشجر الجافة تحت وطأة حذائها المطاطي الأصفر. تتلمس الأحبال السميكة كما لو كانت تختبر قوتها. يترك تكاهاشي الأريكة هو الآخر ويمشي عبر الأوراق الجافة ليجلس في أرجوحة مجاورة لأرجوحة ماري.

تقول ماري وكأنها تشاركه اعترافاً: «إن إيري نائمة الآن. إنها تنام نوماً عميقاً حقاً».

تكاهاشي: «الجميع نيام الآن. لقد انتصف الليل».

تقول ماري: «لا، ليس ذلك هو ما قصدته. إنها غير راغبة في الاستيقاظ».



الساعة 58 : 3 ليلاً

12

مكتب شيراكاوا.

يرقد شيراكاوا مستلقياً على الأرض وبلا ملابس تستر نصف جسمه العلوي، ويؤدي بعض التمارين الرياضية على بساط خاص باليوغا. يظهر قميصه وربطة العنق معلقين على ظهر كرسيه، فيما توجد نظارته وساعته على مكتبه. يمتلك شيراكاوا قواماً نحيفاً، ولكن جسمه عريض عند منطقة الصدر، وليس لديه أي ترهّل عند خصره. لديه عضلات قوية ومفتولة. إنه يعطي انطباعاً مختلفاً تماماً عندما يكون مجرداً من ملابسه. أنفاسه عميقة ولكنها حادة وهو يرفع نفسه عن البساط ويلوي جذعه يميناً ويساراً. تلمع حبّات من العرق على صدره وكتفيه تحت ضوء مصابيح الفلوروسنت. كانت أغنية «سكارلاتي» التي يغنيها «براين أساوا» تنساب من مشغل القرص المدمج المحمول الموجود على المكتب. كان إيقاع الأغنية يتناقض مع مشقّة التمارين، ولكن شيراكاوا يتحكم في حركاته

بمهارة ليجعلها تتواءم مع الموسيقى. يبدو أن كل ذلك هو جزء من الروتين اليومي الذي يستعد من خلاله لرحلة العودة إلى البيت بعد العمل طول الليل من خلال أدائه مجموعة من التمارين على أرضية المكتب فيما يستمع للموسيقى الكلاسيكية. تتسم حركاته بالتناسق والثقة.

بعد عدة مرات من الثني القوي للركبة، يلملم بساط اليوغا ويضعه في الخزانة. يتناول فوطة صغيرة بيضاء اللون وعدة حلاقة من فوق الرف ويأخذها إلى الحمام. ما زال مجرداً من ملابسه في نصفه العلوي، يغسل وجهه ثم يجففه بالفوطة التي يستخدمها بعدئذٍ لتجفيف العرق المتصبِّب من جسمه. يؤدي كل حركة بتأنٍّ. ترك باب الحمام مفتوحاً وما زال بالإمكان سماع صوت أغنية سكارلاتي. يدندن بعض مقطوعات من هذه الموسيقى التي تمّ تأليفها في القرن السابع عشر. يُخرج قنينة مزيل عَرق صغيرة من عدة الحلاقة ويرشّ كل إبط من إبطيه رشة سريعة، ثم يميل برأسه ليتأكد من زوال رائحة العرق. يقبض ويبسط كفه اليمنى مرات عديدة ويحرّك أصابعه في جهات مختلفة. يتفحص ظهر يده ليرى إن كانت قد تورمت. إن الورم ليس كبيراً بما يكفي لأن يلحظه أحد، لكنه ما زال يشعر بألم كبير منها.

يُخرج فرشاة شعر صغيرة من الحقيبة ويصفف شَعر رأسه. انحسر خط الشعر نوعاً ما، إلا أن جبهته حسنة الشكل لا تعطي أي انطباع بأن بعضاً من شعره قد تساقط. يرتدي نظارته. يرتدي قميصه ويربط ربطة عنقه. القميص لونه رمادي مائل للصفرة، أما

ربطة العنق فهي داكنة الزرقة. يضبط ياقة القميص ويُملس أسفل عقدة الربطة.

يُمعن شيراكاوا النظر في وجهه المنعكس على سطح المرآة. تظلّ عضلات وجهه ثابتة فيما يحدق بعينين ثاقبتين في وجهه طويلاً وبشدة. يضع يده على حوض الغسيل. يحبس أنفاسه ولا تطرف عينه مطلقاً، وكأنه يتوقع أنه إن أطال في ذلك، فربما يظهر له شيء ما. لتجسيم كل الحواس، ولسحق وعيه، ولإيقاف المنطق مؤقتاً، ولإيقاف عجلة الوقت ولو مؤقتاً، فإن ذلك هو ما يحاول عمله، وهو أن يصهر نفسه مع المشهد خلفه، وليجعل كل شيء يشبه لوحة فنية محايدة.

بالرغم من محاولاته الكثيرة، فإن ذلك الشيء لا يظهر أبداً. تظل صورته في المرآة مجرد صورة لنفسه في الواقع. انعكاس لما هو هناك. يكف عن المحاولة، ويأخذ نفساً عميقاً، ويملأ رئتيه هواء جديداً، ويفرِد قوامه. يرخي عضلاته ويدير رأسه دائرتين كبيرتين. ثم يتناول متعلقاته الشخصية من الحوض ويضعها في حقيبة الفنيل مرة ثانية. يُكوِّر الفوطة التي استعملها في تجفيف وجهه ثم يرميها في سلة المهملات. يطفئ الأضواء وهو يغادر الحمام. يغلق الباب من خلفه.

حتى بعد أن غادر شيراكاوا، تظل زاوية رؤيتنا في الحمام، وككاميرا ثابتة تواصل التقاط المرآة المظلمة. ما زال ظِلّ شيراكاوا منعكسا على المرآة. ينظر شيراكاوا، أو ربما يجب أن نقول

صورته، تنظر في هذا الاتجاه من داخل المرآة. إنها لا تغيّر أو تحرك تعبيرها. وإنما تحدق مباشرة أمامها. وفي النهاية، وكما لو أنها قد استسلمت، تسترخي وتأخذ نفساً عميقاً، وتدير رأسها. ثم تضع يدها على وجهها وتمسح وجنتيها بضع مرات، وكأنها تتفحص ملمس الجلد.

يجلس شيراكاوا على مكتبه مُطرقاً وهو يعبث بقلم رصاص فضي اللون بين أصابعه. إنه القلم الرصاص ذاته الذي كان على أرضية الغرفة التي استيقظت فيها إيري أساي، والذي يحمل اسم علامة «فيريتك». سِنّ القلم غير حاد. بعد لعبه بهذا القلم الرصاص لفترة، يضعه شيراكاوا بجانب علبة الأقلام التي تحتوي على ستة أقلام رصاص متماثلة، لكن هذه الأقلام الستّة ذات أسنان حادة تماماً.

يستعد للعودة إلى البيت. يضع بعض الأوراق داخل حقيبة بنية اللون ويرتدي معطفه. يعيد عدة الحلاقة الخاصة به إلى الخزانة، يمسك بكيس تسوق كبير كان قد وضعه بالقرب منه، ويحمله إلى مكتبه. يجلس ثم يبدأ في نقل محتوياته الواحدة تلو الأخرى وهو يتفحصها. تلك هي قطع الملابس التي جرَّد العاهرة الصينية منها في فندق ألفافيلا.

معطف رقيق قشدي اللون وحذاء أحمر ذات كعب عال. كان

نعل الحذاء قد اهترأ بشدة. سترة زهرية اللون ومطرزة عند الرقبة، وقميص أبيض مطرز، وتنورة قصيرة زرقاء اللون وضيقة. جورب ضيق. وملابس داخلية ذات لون زهري غامق وهُدب اصطناعية مزركشة واضحة. إنها ملابس ترتبط بالحزن أكثر ممّا ترتبط بالجنس. القميص الخارجي والملابس الداخلية ملطخة ببقع دم سوداء. وساعة يد رخيصة. وحقيبة يد جلدية مقلَّدة.

كانت علامات التعجب تعلو ملامح شيراكاوا في كل مرة يتفحص فيها قطعة من هذه القطع ولسان حاله يقول، «ما الذي أتى بهذه الأشياء إلى هنا؟» كانت تعبيرات وجهه توحي بحيرة مفعمة بالاستياء. لا شك أنه يتذكر تماماً ما الذي فعله في إحدى غرف ألفافيلا. وحتى إذا حاول أن ينسى، فسوف يظلّ الألم الذي يستشعره في يده اليمنى يذكِّره بما كان. لا شيء هنا ممّا تقع عليه عيناه يحمل معنى سليماً. كلها أشياء تافهة لا قيمة لها ولكنها تخترق حياته. رغم ذلك فإنه يواصل وبشكل غير منفعل، النبش عن الآثار القذرة للماضي القريب.

يفك مشبك حقيبة اليد ثم يفرغ جميع محتوياتها فوق مكتبه. مناديل ورقية، وعدسات لاصقة وأحمر شفاه، وقلم لتحديد العين، والعديد من مستحضرات التجميل صغيرة الحجم وحبوب استحلاب للحلق. وعلبة صغيرة من الفازلين وعلبة من الواقي الذكري. فوطتان. علبة صغيرة من الغاز المسيل للدموع للاستخدام ضد أصحاب الشذوذ الجنسي. (لحسن حظ شيراكاوا، فإنه لم يتح لها أن تُخرج هذه العلبة). أقراط رخيصة. ضمادات. علبة حبوب

تحتوي على حبوب كثيرة. حافظة نقود جلدية بنية اللون. يوجد بالحافظة ثلاثة أوراق من فئة العشرة آلاف ين كان قد أعطاها لها في البداية وبضع أوراق أخرى من فئة الألف ين وبعض الفكة الضئيلة. أيضاً كان بها بطاقة اتصال هاتفي واشتراك لركوب قطار الأنفاق. قسيمة خصم في صالون تجميل. لا شيء يكشف عن هويتها. يعتري شيراكاوا بعض التردد، ثم يأخذ النقود ويدسها في جيب بنطاله. **إنها على أية حال نقودي التي أعطيتها إياها. وأنا الآن أستردها وحسب.**

يوجد أيضاً في الحقيبة هاتف نقال صغير. إنه من النوع مسبق الدفع ولا يمكن تَتَبُّع أثره. آلة الردّ المُعدة في الهاتف مهيأة للعمل. يضغط على زر التشغيل ثم يضغط على زر إعادة عرض الرسائل. يتم عرض بضعة رسائل، ولكنها جميعها بالصينية. إنه صوت الرجل نفسه يتكرر كل مرة. وكل مرة يبدو صوتاً غاضباً. الرسائل نفسها قصيرة. بالطبع، لا يستطيع شيراكاوا فهمها، ولكنه مع ذلك يسمعها جميعها قبل أن يغلق آلة الرد.

يُحضر كيس قمامة ورقي ويُلقي بكل شيء عدا الهاتف الجوال داخله، ويكبس محتوياته إلى أسفل ويشد حزام الكيس ليغلقه. يظلّ الهاتف على مكتبه، مفصولاً عن بقية الأشياء. يمسكه وينظر فيه ثم يضعه ثانية. يبدو أنه يفكر فيما يفعل به. ربما يجد له استخداماً، ولكنه لم يقرِّر بعد.

يغلق شيراكاوا مشغل الأقراص المدمجة، ويضعه في الدرج الأخير من مكتبه، ثم يقفل الدرج بالمفتاح. بعد أن ينظف عدسات

نظارته بمنديل ورقي بعناية، يطلب سيارة أجرة، مستخدماً الهاتف الأرضي الموجود على مكتبه. يعطيهم عنوان مكتبه واسمه ويطلب منهم المجيء عند مدخل الخدمات خلال عشر دقائق ليقلوه إلى منزله. يتناول معطفه الرمادي المقاوم للمطر من شماعة المعاطف، ويرتديه، ثم يدسّ هاتف المرأة في جيبه. يحمل الحقيبة وكيس القمامة. وبينما يقف عند الباب، يلقي نظرة فاحصة في المكتب فيما يخامره شعور بالرضا كونه لا يعاني من مشكلات، ثم يطفئ الأنوار. بالرغم من إطفائه لكل مصابيح الفلوروسنت، إلا أن الغرفة لم تظلم تماماً. فأضواء مصابيح الشوارع تتسرب إلى داخلها عبر الستائر، فتضيئها من الداخل إضاءة خافتة. يوصد الباب ثم يخرج إلى الردهة. يسير عبر الردهة وهو يسمع وقع خطى قوية، ثم يفغر فاه ويتثاءب تثاؤباً طويلاً وعميقاً، وكأنه يقول، «وها نحن انتهينا من يوم آخر».

يستقل المصعد للنزول، ويفتح باب الخدمات، ثم يغادره ويغلقه. أنفاسه تصنع سحباً من الدخان الأبيض الكثيف فيما يقف هناك منتظراً. وسرعان ما تصل سيارة الأجرة. يفتح سائق في منتصف العمر نافذة السيارة ويسأل إن كان هو السيد شيراكاوا. تقع عين السائق على كيس القمامة البلاستيكي الذي يحمله شيراكاوا.

شيراكاوا: «إنها ليست قمامة خام. لا رائحة لها. وسوف ألقيها قريباً من هنا».

يقول السائق: «حسناً»، ثم يفتح الباب ويقول «تفضل».

يدخل شيراكاوا السيارة.

يتحدث إليه السائق عبر المرآة الخلفية. «إذا لم أكن مخطئاً، سيدي، فقد ركبت سيارتي من قبل. قدمتُ لتوصيلك من هنا في مثل هذا الوقت. دعنا نرى. . . أليس منزلك في إيكودا؟»

- قريباً منها. إنه في تتسوجاكودو.

- إنها هي تتسوجاكودو. هل تحب أن أُقلك إلى هناك اليوم أيضاً؟

- بالتأكيد. أحببت ذلك أو لم أحبه، فهذا هو المنزل الوحيد الذي لدي.

يقول السائق فيما يضغط على دواسة الوقود: «من المفيد أن يكون للمرء مكان واحد يذهب إليه كبيته. ولكن لا بد أنّ التأخر في العمل إلى هذا الوقت دائماً هو أمر يصعب احتماله».

- إنه الركود. ما يرتفع هو ساعات العمل الإضافي، وليس راتبي.

السائق: «الأمر نفسه معي. كلما قلَّ عدد من أقوم بتوصيلهم، كان علي أن أزيد ساعات عملي حتى أعوض الفارق. ولكن مع ذلك أظن أنك أفضل حالاً يا سيدي. على الأقل الشركة تدفع لك أجرة السيارة عندما تعمل وقتاً إضافياً. هذا ما أعنيه بالضبط».

يقول شيراكاوا بابتسامة غير ودية: «نعم، ولكن إن كانوا سيجعلونني أعمل حتى هذه الساعة المتأخرة، فسوف يدفعون أجرة السيارة. وإلا فلن أستطيع العودة إلى المنزل».

ثم يتذكر: «آه، كدت أن أنسى. هل يمكنك أن تنعطف يميناً

عند التقاطع القادم وتُنزلني أمام متجر «سفن إليفن»؟ زوجتي طلبت مني أن أتسوق لها بعض الحاجيات. لن أزيد عن ثانية».

يقول السائق متحدثاً إلى المرآة الخلفية، «إذا ذهبنا إلى هناك، فسوف يتعين علينا أن ندخل في شوارع ذات اتجاه واحد ثم ننعطف. هناك متاجر صغيرة أخرى كثيرة عبر الطريق. ما رأيك أن تتسوق حاجياتك من أي منها؟»

- ذلك هو المكان الوحيد على الأرجح الذي تتوفر عنده الأشياء التي تريدها. وعلى أية حال، فإنني أريد التخلص من تلك القمامة.

- لن يضيرني ذلك في شيء. ربما يزيد تعريفة العداد قليلاً.

ينعطف السائق يميناً، ثم يمضي قليلاً في المنطقة حتى يجد مكاناً يركن فيه السيارة. ينزل شيراكاوا من السيارة وهو يحمل كيس القمامة ويترك حقيبته على مقعد السيارة. توجد كومة من أكياس القمامة ملقاة أمام «سفن إليفن». يضيف كيسه إلى كوم القمامة. مع اختلاطه مع الكثير من أكياس القمامة المماثلة، يفقد كيسه تميزه فوراً. سوف يتم نقله مع كل الأكياس الأخرى عندما تصل عربة جمع القمامة في الصباح. ولأنه لا يحوي أي قمامة خام، فلا يُحتمل أن تفتحه الغربان. يلقي نظرة أخيرة على كوم القمامة، ثم يدلف إلى المتجر.

لا يوجد زبائن في الداخل. مسؤول الخزينة منهمك في محادثة هاتفية عاطفية على هاتفه النقال. يسمع صوت أغنية جديدة لفرقة «ساذرن أول ستارز». يتجه شيراكاوا مباشرة نحو قسم

الألبان، ويلتقط علبة من تاكاناشي قليل الدسم. يتفحص تاريخ الصلاحية. حسناً. ثم يأخذ علبة زبادي كبيرة. وأخيراً، يخطر بباله أن يُخرج من جيب معطفه الهاتف النقال الخاص بالفتاة الصينية. يتطلّع حوله ليتأكد من أن لا أحد يراقبه، ثم يضع الهاتف بجوار علب الجبن. يمتزج الهاتف بلونه الفضي مع المكان على نحو كبير، حتى يبدو وكأن ذلك كان مكانه دائماً. بعد أن خرج من يد شيراكاوا، أصبح الآن جزءاً من «سفن إليفن».

يدفع قيمة المشتريات عند خزينة الدفع ثم يسرع عائداً نحو سيارة الأجرة.

يسأله السائق: «هل وجدت ما كنت تريد؟»

يجيبه شيراكاوا: «نعم، بالتأكيد».

- حسناً، إذن نتوجه الآن إلى تسوجاكودو مباشرة.

شيراكاوا: «ربما تأخذني غفوة خلال الطريق، لذا أرجو أن توقظني عندما نقترب، اتفقنا؟ هناك محطة غاز لشركة «شوا شل» في الطريق. سوف أنزل بعدها بقليل».

- حاضر، سيدي. غفوة هانئة.

يضع شيراكاوا كيس البلاستيك وبه الحليب والزبادي بجوار حقيبته، ويضم ذراعيه، ويغمض عينيه. لن يتمكن من النوم على الأرجح، ولكنه ليس في حالة مزاجية تمكّنه من تبادل أطراف أحاديث قصيرة مع السائق طول الطريق. بعينين مغمضتين، يحاول أن يفكر في شيء لا يثير أعصابه. شيء عادي لا يحمل معانٍ عميقة. أو إن أمكن شيء تجريدي تماماً. ولكن لم يخطر بباله أي

شيء من ذلك. خلال هذا الفراغ، لا يشعر إلا بذلك الألم المزعج في يده اليمنى. إنه ينبض مع دقات قلبه، ويتردد صداه في أذنيه مثل زئير موج المحيط. **أمر غريب، يفكر، إن المحيط ليس قريباً من هنا بأي حال.**

بعد السير سريعاً لفترة، تتوقف سيارة الأجرة التي يستقلها شيراكاوا عند إشارة حمراء. إنه تقاطع كبير وبه إشارة حمراء طويلة. وإلى جانب هذه السيارة تنتظر الإشارة أيضاً دراجة بخارية سوداء اللون يقودها الرجل الصيني. لا يفصل بينهما سوى متر واحد، ولكن الرجل الذي يستقلّ الدراجة ينظر أمامه، ولا يلحظ شيراكاوا مطلقاً. شيراكاوا غارق تماماً في مقعده ومغمض العينين. يتسمّع لما يتوهمه زئيراً لموج المحيط النائي. يتحوّل ضوء الإشارة إلى الأخضر، فتنطلق الدراجة البخارية مثل السهم. أمّا سائق سيارة الأجرة فيُسرع تدريجياً حتى لا يوقظ شيراكاوا. عندما ينعطف يساراً، يغادر المنطقة.



الساعة 4:09 صباحاً

13

تجلس ماري وتكاهاشي كلٌّ في أرجوحته في الحديقة التي خلت من الرواد خلال الليل. ينظر تكاهاشي إليها بجانب وجهه. تقول تعبيرات وجهه «لست أفهم». هذا هو استئناف لمحادثتهم السابقة.

- هل هي لا تريد أن تستيقظ؟

تلزم ماري الصمت.

يسألها: «ماذا تقصدين؟»

تظلّ ماري على صمتها، وهي تنظر نحو قدميها، وكأنها لا تستطيع أن تحسم أمرها. إنها ليست مستعدة لهذه المحادثة.

ماري: «هل ترغب في بعض المشي؟»

- بالتأكيد، هيا بنا نمشي. المشي مفيد لك. امش وئيداً واشرب ماء كثيراً.

- ماذا تقصد بذلك؟

- إنه شعاري في الحياة: امش وئيداً، واشرب ماء كثيراً.

تنظر إليه ماري. شعار غريب، لكنها مع ذلك لا تعلق عليه، أو تسأله عنه. تنزل عن الأرجوحة وتبدأ في المشي. يتبعها. يغادران الحديقة متجهين صوب منطقة مضيئة.

يسألها تكاهاشي: «هل ستعودين الآن إلى سكايلارك؟»

تهز ماري رأسها. «أظن أن مجرد الجلوس والقراءة في مطعم للعائلات قد بات يزعجني».

يقول تكاهاشي: «أظنّ أنني أفهم ماذا تقصدين».

- أريد العودة إلى ألفافيلا إذا كان ذلك ممكناً.

- سوف أرافقك إلى هناك. إنه قريب جداً من المكان الذي تتدرب فيه فرقتنا.

- كاورو قالت لي إن باستطاعتي الذهاب إلى هناك في أي وقت أشاء، ولكني أخشى أن يضايقها ذلك الآن.

هز تكاهاشي رأسه. «إنها بذيئة اللسان، ولكنها تعني ما تقول. إذا كانت قد قالت لك تعالي وقتما تشائين، فلا ضير من أن تذهبي وقتما تشائين. يمكنك الوثوق بكلامها».

- حسناً.

- وفوق ذلك، فهم لا يجدون ما يفعلونه في مثل هذا الوقت من الليل. سوف تُسعدها زيارتك.

- وأنت هل ستعود إلى مزيد من التدريب؟

ينظر تكاهاشي في ساعته. «هذه على الأرجح ستكون آخر مرة أمضي الليل ساهراً. سوف أخرج كل ما لدي فيها».

* * *

يعودان إلى وسط الحي. يكاد الشارع يخلو من المارة في هذا الوقت المتأخر. إن الرابعة صباحاً، هي فترة هدوء المدينة. توجد أشياء كثيرة مبعثرة في الشارع. علب البيرة المعدنية، وصحيفة مسائية ملقاة وقد داستها الأقدام، صندوق من الكرتون المدهوس، قنينات بلاستيكية، أعقاب سجائر. شظايا مصباح سيارة خلفي مهشم. بعض قسائم الخصم. آثار قيء أيضاً. قطة كبيرة الحجم متّسخة تتشمم كيس قمامة، وهي مصمِّمة على اقتطاع نصيب القطط منه قبل أن تعيث الفئران فيه فساداً أو قبل أن يأتي طلوع الفجر بأسراب الغربان الشرسة. انطفأ أكثر من نصف لافتات النيون، ما يجعل لافتات النيون الخاصة بمتاجر السوبر ماركت الصغيرة التي تعمل طول الليل أكثر وضوحاً. المطويات الإعلانية تمّ حشرها أسفل مساحات زجاج السيارات الواقفة بمحاذاة الشارع. يتردّد صدى زئير الحافلات الكبيرة بلا انقطاع آتياً من الشارع الرئيس القريب. هذا هو أفضل وقت لقائدي الحافلات الكبيرة لقطع المسافات الطويلة حينما تكون الشوارع خالية. شدت ماري قبعة «ريد سوكس» للأسفل لتغطي رأسها. يداها مدسوستان في جيبي سترتها الشبابية. عندما يسيران جنباً إلى جنب يظهر جلياً ذلك الفرق في طولهما.

يسألها تكاهاشي: «لماذا ترتدين قبعة ريد سوكس؟»

تجيب: «هناك شخص أعطاني إياها».

- ألا تشجعين إذن فريق ريد سوكس؟

- ليس لدي أدنى فكرة عن البيسبول.

- وأنا أيضاً، لا أهتم كثيراً بالبيسبول. إنني أكثر ميلاً إلى كرة القدم. إذن وعلى أية حال، بخصوص شقيقتك... ماذا كنا نقول؟

- نعم.

- لم أفهم ما كنت تقولينه تماماً، ولكنك كنت تقولين إن إيري أساي لم تكن تستيقظ؟

تتطلع ماري في وجهه وتقول: «معذرة، ولكني لا أرغب في الكلام حول ذلك ونحن نتمشى هكذا. إنه موضوع معقد نوعاً ما».

- أفهم ذلك.

- تحدث عن شيء آخر.

- مثل ماذا؟

- أي شيء. تحدث عن نفسك.

- عن نفسي؟

- نعم. حدثني عن نفسك.

يُطرق تكاهاشي لبرهة.

- لا تحضرني الآن أي مواضيع مبهجة.

- حسناً، أخبرني بشيء كئيب.

يقول: «أمي ماتت بسرطان الثدي وأنا في السابعة من عمري. اُكتشف المرض بعد فوات الأوان. ماتت بعد ثلاثة أشهر فقط من اكتشاف المرض. هكذا في غمضة عين. انتشر المرض بسرعة، لم يكن هناك وقت لعلاج فعال. كان أبي دائماً في السجن. مثلما قلت من قبل».

تتطلع ماري في وجه تكاهاشي مرة أخرى.

- هل ماتت أمك بسرطان الثدي عندما كنت في السابعة وكان أبوك في السجن؟

- بالضبط.

- إذن أمضيت كل تلك المدة بمفردك؟

- نعم. أُلقي القبض عليه بتهمة التزوير وحُكم عليه بالسجن سنتين. أعتقد أنه كان يدير مشروعاً في التسويق الهرمي أو شيء من هذا القبيل. لم يحصل على حكم مع إيقاف التنفيذ لأن الضرر كان كبيراً وكان له سجل اعتقال منذ أن أُحتجز لانتمائه إلى إحدى منظمات الحركة الطلابية. أُتهم بجمع تبرعات للمنظمة، ولكنه في حقيقة الأمر لم يكن له علاقة بذلك. أذكر أن أمي اصطحبتني ذات مرة لزيارته في السجن. كان الطقس هناك قارس البرودة. بعد أن انقضت ستة أشهر من فترة حبسه، أُكتشفت إصابة أمي بمرض السرطان، وعلى الفور أُدخلت المستشفى. وهكذا أصبحت يتيماً لفترة مؤقتة. الأب في السجن، والأم في المستشفى.

- ومن كان يرعاك خلال تلك الفترة؟

- علمت فيما بعد أن عائلة أبي هي مَن جمع المال لسداد مصاريف المستشفى والمعيشة. ظل أبي منقطعاً عن عائلته لسنوات، ولكنهم ما كانوا ليتركوا طفلاً في السابعة من عمره ليُعنى بنفسه، ولذلك كانت إحدى عماتي تأتي على مضض لزيارتي كل يومين، وكان أناس في الحي يتناوبون على تدبير شؤوني، مثل الغسيل والتسوق والطهو. كنا عندئذٍ نعيش في الحي القديم للطبقة العاملة، وهو ما أفادني على الأرجح. فهم هناك ما زالوا يؤمنون

بحق «الجيرة». ولكني في معظم تلك الفترة، أعتقد أني اعتمدت على نفسي كثيراً. فكنت أجهز لنفسي وجبات طعام بسيطة، وأهيئ نفسي للذهاب إلى المدرسة ومثل هذه الأشياء. ذكرياتي عن تلك الفترة مشوشة للغاية كما لو أن كل ذلك قد حدث لشخص آخر بعيد عني تماماً.

- ومتى عاد أبوك؟

- أعتقد أنه عاد بعد ثلاثة أشهر من وفاة أمي. وبسبب هذه الظروف، فقد حصل على إفراج مشروط. بصراحة، كنت مبتهجاً لعودة أبي إلى البيت. لم أعد يتيماً. أيا كان ما سيحدث لاحقاً، فهو شخص كبير وقوي. الآن يطمئن قلبي. عاد مرتدياً معطفاً خشناً قديماً. ما زلت أذكر الملمس الخشن له ورائحة التبغ التي كانت تفوح منه.

يخرج تكاهاشي يده من جيبه ويدلّك منطقة خلف الرقبة مرات عديدة.

- ولكن بالرغم من أنني أصبحت مع أبي مرة أخرى، إلا أنني لم أشعر قط بالأمان التام. لا أعرف كيف أعبِّر عن ذلك بدقة، ولكني لم أشعر قط باستقرار داخلي. كانت تنتابني مشاعر غير واضحة، من قبيل أن شخصاً ما يضع فوق كاهلي حملاً، وأن أبي الحقيقي قد اختفى ولن يعود للأبد، وأنه لملء هذا الفراغ، فقد أرسل إليّ شخصاً آخر على هيئته. هل تفهمين ما أقصد؟

- نوعاً ما.

يصمت تكاهاشي لبرهة قبل أن يتابع قصته.

- إذن وعلى أية حال، فهكذا كان شعوري خلال تلك الفترة، وهو أنّ أبي ما كان ينبغي له قط أن يتركني وحيداً، أياً كانت الأسباب. ما كان ينبغي له قط أن يجعلني يتيماً في هذا العالم. أياً كان السبب، ما كان ينبغي له الذهاب إلى السجن. بالطبع في ذلك السن، لم أكن حتى أدرك معنى السجن. أقصد أنني كنت في السابعة من عمري. كانت فكرتي عن السجن أنه أشبه بخزانة ملابس كبيرة ومكان مظلم ومخيف ومليء بالشرور. ما كان لأبي أن يذهب قط إلى مثل ذلك المكان.

يقطع تكاهاشي قصته. ثم يسأل ماري «هل سبق لأبيك أن دخل السجن؟»

تهز رأسها. «لا أعتقد ذلك».

- وماذا عن أمك؟

- لا أعتقد ذلك.

يبتسم تكاهاشي: «أنت محظوظة إذن. عليك أن تشعري بالامتنان لأنّ ذلك لم يحدث لك في حياتك. لا أظنك تدركين معنى ذلك».

- لم أفكر في ذلك من قبل.

- معظم الناس لا يفكرون في ذلك، ولكني أفكر.

تنظر ماري إلى تكاهاشي بطرف عينيها.

- إذن، لم يدخل أبوك السجن بعد ذلك قط؟

- لا، لم يرتكب أي مخالفات قانونية أخرى. أو ربما يكون قد فعل. عندما أفكر في الأمر، فلا بد أنه فعل. فهو لم يكن من

نوعية الأشخاص الذين يمشون على الطريق المستقيم. ولكنه على الأقل لم يتورط في عمل سيئ يستحق بسببه السجن. أو ربما، وعلى طريقته الخاصة، أحسّ بنوع ما من المسؤولية الشخصية نحو أمي الراحلة ونحوي. على أية حال، فقد أصبح رجل أعمال له مكانته بالرغم من أنه ظلّ في الحقيقة يعمل في منطقة رمادية. فقد تعرَّض لتقلبات حادة ما بين النجاح والفشل، فتارة يصبح غنياً غنى فاحشاً، وتارة أخرى يبلغ حدّ الكفاف. كان الأمر مثل من يركب لعبة الأفعوانية كل يوم. في يوم يكون لديه سيارة مرسيدس بنز بسائقها، وفي يوم آخر لا يستطيع حتى أن يشتري لي دراجة. وفي إحدى المرات تسللنا خلسة من المنزل تحت جنح الظلام. لم نستقر قط في أي مكان، ولذلك كان عليّ أن أغير مدرستي كل ستة أشهر أو أكثر. وبطبيعة الحال، لم أستطع أن أُكون أي صداقات مطلقاً. ظلَّ حالي على هذا المنوال، حتى التحقت بالمدرسة الإعدادية.

يدس تكاهاشي يديه في جيبي المعطف مرة أخرى ويهز رأسه وكأنه يحاول أن يطرد عنه تلك الذكريات.

- والآن، وبالرغم من ذلك، فقد أصبح يحظى بقدر كبير من الاستقرار. أصبح يحظى بعزيمة الجيل الذي شهد الزيادة الهائلة في أعداد المواليد. كما هو الحال مع «مايك جاجر»، إنه يسمى الآن «سير» - إنه ذلك الجيل، العالق هناك. إنه لا يقوم بالكثير بحثاً عن ذاته، ولكنه يتعلم دروسه. لست أدري في أي مجال يعمل الآن. لا أسأله عن ذلك وهو لا يخبرني. ولكنه لم يُفوّت مرة قسطاً من

أقساط تعليمي. وأحياناً، عندما يَروق مزاجه، يعطيني بعض النقود لإنفاقها. وهناك أشياء من الأفضل ألا تعرفيها.

- هل تزوج أبوك ثانية، هل تودّ قول ذلك؟

- نعم، بعد أربع سنوات من وفاة أمي. إنه ليس ذاك البطل الهُمام الذي يربي طفله بمفرده.

- وهل أنجب أطفالاً آخرين من زوجته الجديدة؟

- لا، لم ينجب سواي. وربما ذلك هو السبب في أنها كانت ترعاني وكأني ولدها. أشعر بامتنان كبير نحوها. إذن المشكلة هي مشكلتي أنا.

- أية مشكلة؟

يبتسم تكاهاشي وينظر إلى ماري. «حسناً، وفي النهاية، عندما تصبحين يتيمة، فإنك تظلين يتيمة حتى يوم رحيلك عن العالم. ما زلت أرى الحلم نفسه. إنني في السابعة من عمري ويتيم مرة أخرى. وحيداً، ولا أحد جواري يرعاني. إنه المساء وضوء النهار يتراجع أمام زحف الليل على المكان. إنه الحلم نفسه يتكرر. وفي الحلم أجدني عدت إلى السابعة من عمري. لا يمكنك تغيير هذا البرنامج الحاسوبي عندما يفسد».

تظل ماري على صمتها.

تكاهاشي: «إنني أحاول معظم الوقت ألا أفكر في هذه الأمور. فذلك لا يفيدني في شيء. عليك أن تعيشي يومك الحاضر».

- امشِ كثيراً، واشرب الماء ببطء.

يقول: «لا ليس كذلك. امش وئيداً واشرب ماء كثيراً».

- أعتقد أن كليهما شعاران جيدان.

أطرق تكاهاشي يفكر في ذلك بجدية، ثم يقول: «حسناً. ربما تكونين على صواب».

ينتهي الحوار عند هذا الحد. يسيران في صمت. ينفثان أنفاساً بيضاء، يصعدان الدرج المظلم ويخرجان أمام فندق ألفافيلا. تبدو أضواء النيون القرمزية المبهرجة الآن مألوفة لماري.

يتوقف تكاهاشي لدى المدخل وينظر مباشرة إلى ماري نظرة متجهمة على غير عادته.

يقول: «أودّ أن أعترف لك بشيء».

- ما هو؟

- إنني أفكر بالضبط فيما تفكرين فيه. ولكن اليوم ليس جيداً. فأنا لا أرتدي ملابس داخلية نظيفة.

تهز ماري رأسها بتقزّز. «كفى نكاتاً فارغة، لو سمحت. إنها ترهقني».

يضحك تكاهاشي: «سوف آتي لأوقظك في السادسة. إذا كنت لا تمانعين، يمكننا تناول الفطور معاً. أعرف مطعماً قريباً يقدم أومليت طيب المذاق، ساخن ومنفوش. آه، هل لديك مشكلة في تناول الأومليت؟ مثل الهندسة الوراثية أو القسوة الممنهجة ضد الحيوانات أو الإخلال بالآداب العامة؟»

تطرق ماري تفكر لبرهة. «لا أعرف شيئاً عن الإخلال بالآداب

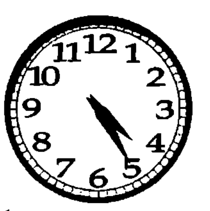
العامة، ولكن إذا كان الدجاج يعاني من مشكلة، فأظن أن تلك المشكلة ستنتقل إلى البيض».

يتنهد تكاهاشي، ويعقد حاجبيه. «آه، لا. كل ما أحبه به مشكلة».

- لكني أحب الأومليت رغم ذلك.

يقول تكاهاشي: «حسناً إذن. دعينا نصل إلى اتفاق. أعدك بأنك ستجدين هذا الأومليت رائعاً».

يلوح لها بيده ويتجه صوب قاعة التدريب. تعيد ماري ضبط قبعتها وتدخل الفندق.



الساعة 4:25 صباحاً

14

غرفة إيري أساي.

التلفاز يعمل. تنظر إيري وهي بقميص نومها من داخل الشاشة نحو الخارج. تتدلى خصلتان من شعرها فوق جبهتها. تهز رأسها لتزيحهما. تضغط بيديها على الزجاج من ناحيتها وتبدأ في الكلام في هذا الاتجاه. يبدو كأن شخصاً يدور داخل حوض سمك فارغ في معرض بحري ويحاول أن يشرح مأزقه إلى زائر عبر الزجاج السميك، لكن صوتها مع ذلك لا يبلغ ناحيتنا. لا يمكنه أن يحدث ذبذبات في الهواء هنا.

ثمة شيء يوحي بأن حواس إيري ما زالت مخدَّرة، كما لو أنها غير قادرة على استخدام أطرافها بكامل قوتها. وهو ما يعزى على الأرجح لكونها كانت مستغرقة في نوم عميق وطويل جداً، لكنها مع ذلك تحاول أن تفهم، حتى وإن كان فهماً محدوداً، بعض الظروف التي تجد نفسها عالقة فيها وتستعصي على فهمها. وبالرغم من أنها قد تكون مرتبكة ومشوشة ذهنياً، فإنها تبذل

قصارى جهدها لفهم المنطق الحاكم لهذا المكان، والأساس الذي يقوم عليه وجوده. إن حالتها الانفعالية تظهر نفسها عبر هذا الزجاج.

لا يوحي ذلك بأنها تصرخ بأعلى صوتها أو تستغيث استغاثة مؤثرة. تبدو والإنهاك قد نال منها لهذا السبب تحديداً. وهي تدرك من تجارب سابقة أن صوتها لن يخترق الزجاج.

إن ما تحاول فعله الآن هو تحويل ما تلتقطه عيناها وتدركه حواسها إلى أبسط الكلمات وأكثرها ملاءمة. وهكذا تخرج الكلمات وكأنها موجهة في نصفها إلينا وفي نصفها الآخر إليها. وبطبيعة الحال، ليست هذه بالمهمة البسيطة. تتحرك شفتاها حركة بطيئة ومتقطعة. تبدو وكأنها تتحدث لغة أجنبية، فالجمل التي تنطق بها جميعها قصيرة، وثمة فجوة غير منتظمة تتخلل كلماتها. تزداد الفجوات فيَضعف المعنى الذي يجب أن يصل إلى هناك. نسلط أعيننا عن عمد عليها من ناحيتنا عبر الزجاج، لكننا لا نستطيع أن نميز بوضوح بين الكلمات والصمت الذي تصنعه إيري أساي بشفتيها. إن الواقع ينساب من بين أصابعها النحيفة مثلما تنساب الرمال من ساعة الزمن. وهكذا فالوقت ليس في مصلحتها مطلقاً.

وفي نهاية المطاف، تسأم من توجيه حديثها إلى الخارج وتُغلق فمها في امتعاض واضح. ثمة صمت جديد يَغشى الصمت الموجود أصلاً هناك. بقبضتي يديها المضمومتين، تبدأ في النقر نقراً خفيفاً على الزجاج من جانبها. إنها مستعدة لتجربة أي شيء، إلا أن الصوت لا يبلغ هذا الجانب.

يبدو أن إيري تستطيع أن ترى ما يظهر على هذا الجانب من زجاج التلفاز. يمكننا أن نخمِّن ذلك من خلال حركة عينيها. إنهما ينتقلان من شيء إلى آخر داخل غرفتها (تلك الغرفة الواقعة في هذا الجانب)، وهي المكتب والسرير وخزانة الكتب. إنها تنتمي إلى هذه الغرفة. وينبغي لها أن تنام نوماً هادئاً في السرير هنا. ولكن الآن من المستحيل عليها أن تمر عبر الحائط الزجاجي الشفاف وتعود إلى هذا الجانب. ثمة وسيلة أو غاية نقلتها إلى تلك الغرفة الأخرى وحبستها هناك عندما أخلدت إلى النوم. أخذ بؤبؤ عينها لوناً وحيداً، مثل لون السحب الرمادية عندما تنعكس على صفحة بحيرة هادئة.

لسوء الحظ (ينبغي لنا أن نقول)، فإنه ليس ثمة ما يمكننا عمله من أجل إيري أساي. ربما يبدو ذلك تكراراً، ولكننا مجرد زاوية نظر. ليس باستطاعتنا التأثير في الأشياء على أي نحو.

ولكن، إننا نتساءل، مَن كان ذلك الرجل الذي لا وجه له؟ ترى ما الذي فعله بإيري أساي؟ وإلى أين ذهب الآن؟

فجأة، وقبل تلقّيها أي جواب، تبدأ شاشة التلفاز في فقدان ثباتها. الإشارة تهتز. تغشى إيري أساي حالة من الارتباك وتعتري أطرافها رعشة خفيفة. وعندما تدرك أن ثمة شيئاً يحدث لجسمها، تشيح بوجهها وتتفحص ما حولها. تنظر إلى أعلى حيث السقف، وإلى أسفل حيث الأرض، وأخيراً إلى يديها المرتعشتين. تحدِّق في يديها وهما يفقدان وضوحهما. تبدو على وجهها علامات الخوف. ما الذي قد يحدث؟ يرتفع صوت الطقطقة المزعج. يبدو

أن رياحاً عاتية قد ثارت مرة أخرى فوق تلٍّ في مكان ما. تتعرض نقطة الاتصال في الدائرة التي تصل بين العالمين إلى هزة عنيفة، ما يهدِّد بإزالة الحدود الواضحة لوجودها. إن معنى ذاتها الجسمية يتآكل.

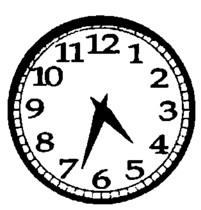
«اركضي» بدأنا نصيح بها. لوهلة نسينا القاعدة التي تُلزمنا بأن نبقى على الحياد. لا شك أن صوتنا لا يصلها، ولكن إيري تدرك الخطر المحدق بها. تحاول الهرب. تتجه بعيداً بخطى واسعة، أغلب الظن نحو الباب. تتلاشى صورتها من مجال رؤية الكاميرا. وتفقد صورة التلفاز فجأة وضوحها السابق، وتتشوش، ثم تتحلل تماماً. يخفت ضوء الصورة تدريجياً. تتقلص حتى تصبح نافذة صغيرة ومربعة، ثم تنطفئ تماماً في النهاية. كل المعلومات تنتهي إلى العدم، ويزول كل إحساس بالمكان، وتتفكك كل المعاني، وينشطر العالمان، فيخلِّفان وراءهما صمتاً يخلو من كل إحساس.

توجد ساعة مختلفة في مكان مختلف. ساعة إلكترونية مستديرة الشكل ومعلقة على الحائط. تشير عقاربها إلى الساعة 4:31. هنا مطبخ منزل شيراكاوا. يجلس شيراكاوا وحيداً أمام مائدة الفطور فيما أزرار ياقة قميصه مفتوحة، وربطة العنق مفكوكة، ويأكل زبادي سادة بملعقة. يتناوله بالملعقة من العلبة البلاستيك إلى فمه مباشرة.

إنه يشاهد التلفاز الصغير الموجود في المطبخ. يوجد جهاز

التحكم عن بعد بجانب علبة الزبادي. تظهر على الشاشة صور لقاع البحر. كائنات غريبة في أعماق البحر. بعضها قبيح وبعضها جميل. كائنات مفترسة وأخرى فرائس. غواصة بحرية صغيرة للبحث ومجهزة بأحدث معدات التكنولوجيا الفائقة. كشافات ضوئية كبيرة وذراع قياس. البرنامج اسمه «كائنات الأعماق». الصوت على الوضع الصامت. بملامح جامدة، يتابع شيراكاوا الحركات على الشاشة فيما يواصل تناول الزبادي بالملعقة. إلا أن عقله مع ذلك ما زال يفكر في أشياء أخرى. وهو ما زال يفكر في جوانب العلاقة بين الفكر والفعل. هل الفعل هو مجرد نتاج عابر للفكر، أم أن الفكر هو النتاج الطبيعي للفعل؟ تتابع عينه صورة التلفاز، ولكنه في واقع الأمر ينظر إلى شيء عميق داخل الشاشة، وهو شيء يتجاوز الشاشة من الداخل بأميال.

يلقي لمحة سريعة على ساعة الحائط. تشير عقاربها إلى الساعة 4:33. يدور عقرب الثواني حول قرص الساعة المدرَّج. يتحرك العالم دون توقف أو انقطاع. يواصل الفكر والفعل عملهما معاً في اتساق. على الأقل في الوقت الراهن.



الساعة 4:33 صباحاً

15

ما زال برنامج كائنات الأعماق يُعرض على شاشة التلفاز، ولكنه ليس ذلك التلفاز الموجود في مطبخ شيراكاوا. فالشاشة هنا أكبر بكثير، فضلاً عن أنه موضوع في إحدى غرف النزلاء في فندق ألفافيلا. تجلس ماري وكوروجي معاً أمامه يشاهدان البرنامج باهتمام غير عابئ. تجلس كل منهما في كرسيها. تظهر ماري وهي ترتدي نظارتها. سترتها الشبابية وحقيبة كتفها موضوعان على الأرض. تقطب كوروجي وجهها وهي تشاهد كائنات الأعماق، ولكن سرعان ما يتلاشى اهتمامها بموضوع البرنامج، فتبدأ في تصفح القنوات الأخرى مستخدمة جهاز التحكم عن بعد. يبدو أنه لا شيء من برامج الصباح الباكر يستحق المشاهدة. تتوقف عن تصفح القنوات، وتغلق التلفاز.

تبتدرها كوروجي: «لا بد أنك متعبة. الأجدى لك أن تستريحي وتحصلي على قسط من النوم. كاورو تأخذ إغفاءة في الغرفة الخلفية».

ماري: «لكني لا أشعر بالنعس إلى هذا الحد».

- إذن ما رأيك في كوب من الشاي الساخن؟

- إذا لم يكن ذلك يزعجك.

- لا عليك، فالشاي من الأشياء التي لدينا منها الكثير.

تُعد كوروجي كوبين من الشاي الأخضر مستخدمة كيسي شاي وإناء من الماء الساخن.

تسألها ماري: «في أي ساعة تنتهين من عملك؟»

- أنا وكوموجي نعمل معاً. يبدأ عملنا من العاشرة صباحاً إلى العاشرة مساء. نقوم بترتيب الغرف بعد أن يغادرها نزلاء الليلة الواحدة، وهذا هو كل شيء. ومن حين إلى آخر نأخذ قسطاً من النوم.

- هل تعملين في هذه الوظيفة منذ فترة طويلة؟

- ربما منذ سنة ونصف. عادة لا يبقى المرء طويلاً في هذا النوع من العمل.

تتوقف ماري لبرهة، ثم تسأل: «هل... تمانعين إن سألتك سؤالاً شخصياً؟»

كوروجي: «اسألي ما تشائين، لكن ربما لا أستطيع أن أجيب عن بعض الأسئلة».

- ألن تشعري بالاستياء؟

- لا، لا تقلقي.

- أظنك قلت أنك تخلصت من اسمك الحقيقي؟

- هذا صحيح. قلتُ ذلك.

- ولماذا فعلت ذلك؟

ترفع كوروجي كيس الشاي من كوب ماري، ثم تضعه في منفضة السجائر، وتعيد الكوب إلى مكانه.

«لأن استخدامي له كان سيجعلني عرضة للخطر وذلك لكل الأسباب المحتملة. وحتى أكون صادقة معك، فأنا هاربة من . . . بعض الأشخاص». تأخذ كوروجي رشفة من الشاي. «ربما لا تعرفين ذلك الأمر، ولكن إن كنت تودين فعلاً الهرب من شيء ما، فأفضل وظيفة يمكنك الالتحاق بها هي مساعدة في أحد فنادق الحب. صحيح يمكنك أن تجني مالاً أكثر كنادلة في حانة يابانية تقليدية حيث تحصلين على بقشيش كثير، ولكن عليك أن تقابلي الناس وتتحدثين إليهم. أما العمل في أحد فنادق الحب، فليس عليك أن تظهري وجهك للنزلاء. يمكنك العمل في سرية وتحت جنح الظلام. ويوفرون لك عادة مكاناً للنوم. ولا يطالبونك بسيرتك الذاتية أو بأن تقدمي أشخاصاً ضامنين لك وما شابه ذلك من أمور. فعندما تخبريهم بأنك لا تستطيعين الإفصاح عن اسمك الحقيقيي، يقولون لك كلاماً من قبيل، «حسناً، لماذا لا نسميك إذن كريكت؟» وذلك لأنهم يعانون دائماً من نقص في العاملين. ويمكنك أن تجدي أشخاصاً كثيرين ممّن تعذبهم ضمائرهم يعملون في هذا العالم».

- هل ذلك هو السبب في أن الأشخاص لا يمكثون طويلاً في فندق واحد؟

- هذا صحيح. عندما تمكث في فندق واحد أكثر مما ينبغي،

فسوف يعثرون عليك عاجلاً أو آجلاً. إذن على المرء أن يظلّ يغير أماكن عمله. وفنادق العشاق توجد في كل مكان، بداية من هوكايدو وحتى أوكيناوا، ولذلك يمكنك دائماً العثور على عمل. ولأنني أشعر بارتياح حقيقي هنا، ولأن كاورو تعاملني بلطف كبير، فقد بقيت هنا كل هذه الفترة.

- هل أنت هاربة منذ فترة طويلة؟

- حسناً. . . ربما منذ ثلاث سنوات حتى الآن.

- ودائماً تلتحقين بوظائف من هذا القبيل؟

- نعم. هنا وهناك.

- أظن أن الشخص أو الشيء الذي تهربين منه هو مخيف جداً؟

- بالطبع. إنه مخيف جداً. ولكن لا تسأليني أي أسئلة أخرى عن ذلك. أحاول أن أتجنّب الحديث بشأن ذلك.

يسود الصمت بينهما لفترة. تحتسي ماري شايها، فيما تحدق كوروجي في شاشة التلفاز الخالية.

تسألها ماري: «لكن ماذا كنت تعملين؟ أقصد قبل هروبك».

- كنت عندئذٍ فتاة مختلفة تماماً وأعمل في وظيفة مكتبية. تخرَّجت من المدرسة الثانوية والتحقت بالعمل لدى شركة تدريب كبيرة، من التاسعة إلى الخامسة، وكنت ألبس زياً خاصاً بالعمل. كنت في مثل عمرك. . . تقريباً خلال الوقت الذي وقع فيه زلزال كوبي. يبدو كل ذلك مثل الحلم الآن. وعندئذٍ حدث شيء ما. شيء بسيط. لم يكن يستوقفني في أول الأمر. ولكن تبين لي

عندئذٍ أنني عَلِقت فيه، وأنني لم أعد أستطيع أن أتقدم أو أتراجع. فخلَّفتُ كل شيء ورائي، وظيفتي ووالدي..

تنظر ماري إلى كوروجي دون أن تنبس بكلمة.

تسألها كوروجي: «آه، معذرة، ولكن ما اسمك مرة ثانية؟»

- ماري.

- اسمحي لي أن أخبرك بشيء، ماري. قد تبدو الأرض التي نقف عليها صلبة بما يكفي، ولكن إذا حدث شيء ما، فإنها يمكن أن تتزلزل من تحت قدميك. وبمجرد أن يحدث ذلك، فلن تعود الأمور إلى سابق عهدها. كل ما تستطيعين عمله هو أن تعيشي وحيدة هناك وسط الظلام.

تتوقف كوروجي للتفكير مرة أخرى حول ما قالته تواً، ثم تهزّ رأسها هزة خفيفة وكأنها تنتقد نفسها.

- بالطبع، ربما يرجع ذلك إلى ضعف بي كإنسانة، وهو أن الأحداث جرفتني لأنني كنت أضعف من أن أوقفها. كان ينبغي لي أن أدرك ما يجري عند نقطة ما ثم أستيقظ وأثبِّت قدمي على الأرض، ولكني لم أستطع. لا يحق لي القيام بدور الواعظة هنا..

- وماذا سيحدث إن عثروا عليك، أعني هؤلاء الذين يطاردونك؟

كوروجي: «حسناً... ماذا سيحدث، آه؟ لا أعرف حقاً. وأُفضّل ألا أفكر في ذلك كثيراً».

تلزم ماري الصمت. أما كوروجي فتعبث بمفاتيح جهاز التحكم عن بعد، ولكن دون أن تفتح الجهاز ثانية.

- عندما أنتهي من عملي وآوي إلى فراشي، دائماً ما يسير تفكيري على النحو الآتي: ليتني لا أستيقظ ثانية. ليتني أظل نائمة هكذا. لأنني عندئذٍ لن يتعين علي أن أُشغل نفسي بأي شيء، لكن مع ذلك سيكون لدي أحلام. إنه الحلم نفسه دائماً يتكرر. حيث أرى شخصاً ما يطاردني. أظلّ أركض وأركض حتى يمسكون بي في نهاية المطاف ويأخذوني بعيداً. ثم بعد ذلك يضعوني في شيء يشبه الثلاجة ويغلقون غطاءها. وهنا أستيقظ وأجد كل ما علي من ملابس مبللاً بالعرق. إنهم يطاردونني خلال يقظتي، ويطاردونني خلال أحلامي عندما أكون نائمة، فلا أعرف للراحة طعماً. إن الوقت الوحيد الذي تتوقف مطاردتهم لي هو هنا، عندما أجدني مستغرقة في الكلام مع كاورو أو كوموجي ونحن نتناول الشاي. . . هل تعرفين ماري، إنني لم أخبر أحداً قط قبلك بهذا الشيء، ولا حتى لكاورو أو كوموجي.

- تقصدين كونك هاربة من شيء ما؟

- آه، نعم، لكني أظن أن لديهم بعض الشكوك.

يسود الصمت بينهما لبرهة.

تسألها كوروجي: «هل تصدقين ما أخبرك به الآن؟»

- بكل تأكيد، أصدقك.

- أحقاً؟

- بالطبع.

- ربما يكون كل ذلك محض اختلاق. ولن تعرفين ذلك. فنحن لم نلتقِ من قبل.

ماري: «لا يبدو عليك أنك من نوعية الأشخاص الذين يكذبون، كوروجي».

كوروجي: «يسعدني سماع ذلك. لدي شيء أريد أن أريكِ إياه».

تسحب كوروجي قميصها إلى أعلى، وتكشف ظهرها. يظهر جلدها وقد دمغ بعلامتين على جانبي عمودها الفقري. كل منهما تمثل ثلاث خطوط مائلة تشبه أثراً لقدم طائر ويبدو أنها صُنعت بميسم كيٍّ لتمييزها. تبدو الأنسجة الجلدية مشدودة عند أطرافها في مكان الجرح. إنها دليل على تعرض صاحبها لألم رهيب. تقطب ماري جبينها عند رؤيتها لذلك.

كوروجي: «هذا بعض ما فعلوه بي. لقد تركوا علامتهم علي. هناك علامات أخرى، ولكني لا أستطيع أن أريها لكِ. لست أكذب في ذلك».

- هذا أمر مروع!

- لم أكشف عن هذه العلامات لأحد من قبلك قط. لك وحدك، يا ماري. أريدك أن تصدقيني.

- إنني أُصدقك بالفعل.

- لست أدري ولكني شعرت أن بوسعي أن أخبرك بذلك دون أن يلحق بي ضرر.

تُنزل كوروجي قميصها. ثم وكأنها تضع علامة ترقيم انفعالية، تتنهد تنهيدة تكاد تتمزق لها ضلوعها.

ماري: «كوروجي»

- آه، ماذا؟

- هل أخبرك بشيء لم أتفوّه به لأحد قط من قبل؟

- كوروجي: «بكل تأكيد. هات ما عندك».

- لدي أخت. هي شقيقتي الوحيدة. وتكبرني بعامين.

- ثم ماذا؟

- قبل شهرين تقريباً، قالت لنا، **أنا ذاهبة لأنام بعض الوقت.** قالت ذلك لكل أفراد الأسرة قبل طعام العَشاء. لم يستوقف ذلك أحداً كثيراً. كانت الساعة لم تتجاوز السابعة مساء، وكانت شقيقتي لديها عادات نوم غير منتظمة، ولذلك لم يكن هناك ما يستدعي الدهشة. قلنا لها طابت ليلتك. لم تكد تلمس طعامها، ثم دلفت إلى غرفتها وأوت إلى فراشها. وما زالت تغط في النوم منذ ذلك الحين.

- منذ ذلك الحين؟

ماري: «نعم».

تعقد كوروجي حاجبيها. «ولم تستيقظ قط؟»

ماري: «نحن نعتقد أنها تستيقظ أحياناً. فالوجبات التي نضعها على مكتبها تتلاشى، ويبدو أنها تذهب إلى الحمام. ومن حين إلى آخر، تستحم وتُغير قميص نومها. لذلك فهي تستيقظ وتقوم بالحد الأدنى الذي يُبقيها على قيد الحياة، ولكن حقاً، الحد الأدنى وحسب. لكن مع ذلك، فلا أحد منا رآها فعلاً وهي مستيقظة. وكلما نظرنا داخل الغرفة، وجدناها في سريرها نائمة، نائمة فعلاً، ولا تدّعي النوم. تبدو عملياً ميتة، فلا تستطيعين حتى سماع

أنفاسها، وهي لا تحرك أي عضلة من عضلاتها. نصرخ فيها ونهزها، ولكنها لا تستيقظ».

- إذن. . . هل استدعيتم لها الطبيب لفحصها؟

- طبيب العائلة يأتي إليها من حين إلى آخر، لكنه مجرد ممارس عام، ولا يمكنه أن يجري لها أي فحوص طبية متعمقة، ولكن من وجهة النظر الطبية، فلا يبدو أنها تعاني من أي مشكلة صحية. درجة حرارة جسمها طبيعية. نبضات قلبها وضغط الدم لديها منخفضان، ولكن ليسا إلى الحد الذي يقلق. إنها تحصل على ما يقيم أَودها من التغذية، ولذلك لا تحتاج إلى التغذية الوريدية. إنها تغط في نوم عميق وحسب. بالطبع، لو أن ذلك كان إغماءة أو شيئاً آخر، لكان في الأمر مشكلة كبيرة، ولكن طالما أنها تستطيع الاستيقاظ من حين إلى آخر وتقوم بما ينبغي لها القيام به، فليس هناك ما يستدعي رعاية خاصة. لقد استشرنا طبيباً نفسياً أيضاً، ولكنه أشار أن هذه الأعراض لا مثيل لها. لقد قالت إنها ستأخذ قسطاً من النوم، ثم فعلت ذلك بالضبط، ويقول الطبيب، لو أنها كانت لديها تلك الحاجة الداخلية للنوم، فإن أفضل ما يمكننا فعله لها، هو أن ندعها تواصل نومها. وحتى إن كان سيعالجها، فإن ذلك ينبغي أن يبدأ بعد استيقاظها حتى يتسنى له الحديث معها. وهكذا فإننا ندعها تنام وحسب.

- ألا تعتقدين أنه كان عليكم إدخالها إلى المستشفى؟

- والداي يتبنيان الاحتمال الأكثر تفاؤلاً، وهو أن شقيقتي ستظل نائمة حتى تُشبع رغبتها في النوم، ثم تستيقظ يوماً ما وكأن

شيئاً لم يكن، وأن كل شيء سيعود إلى طبيعته. إنهما يتعلقان بتلك الإمكانية. ولكني لا أحتمل ذلك. أو يجب أن أقول، من حين إلى آخر أجدني غير قادرة على احتمال ما يجري أكثر من ذلك، وهو أن أعيش مع شقيقتي تحت سقف واحد، ثم لا يكون لدي أدنى فكرة عن السبب الذي يجعلها تذهب في نوم عميق على مدى شهرين.

- وهذا هو ما جعلك تقررين ترك المنزل وتهيمين على وجهك هكذا ليلاً في الشوارع؟

ماري: «كل ما هنالك هو أنني لا أستطيع النوم. عندما أحاول، تحاصرني صورة شقيقتي وهي على هذه الحالة من النوم في الغرفة المقابلة. وعندما تسوء حالتي، لا أستطيع البقاء داخل المنزل».

- شهرين، حقاً؟ إنها فترة طويلة.

تومئ ماري موافقة.

كوروجي: «لا أعرف حقاً ما الذي يجري بالطبع، ولكن يبدو لي أن شقيقتك تعاني من مشكلة كبيرة وقعت فيها، مشكلة لا يمكنها أن تحلها وحدها. لذلك فإن كل ما تريده هو الخلود إلى النوم في فراشها، حتى تهرب من عالم الواقع ولو لفترة من الزمن. أعتقد أنني أعرف ماهية شعورها. أو يجب أن أقول، إنني أعرف ماهية شعورها بالضبط».

- هل لديك أي أشقاء أو شقيقات، كوروجي؟

- لدي شقيقان، وكلاهما أصغر سناً مني.

- هل أنت قريبة منهما؟

كوروجي: «كنت قريبة منهما. لكني لا أعرف عنهما شيئاً الآن. فلم أرهما منذ فترة طويلة».

ماري: «حتى أَصدقك القول تماماً، فأنا لم أعرف شقيقتي جيداً قط - مثلاً، لست أدري كيف تمضي أيامها أو ماذا كان يشغل بالها، أو من الذي كانت تلتقيه. ولست أدري حتى إن كان ثمة ما يُقلقها. أعرف أن ذلك سيئاً، ولكننا كنا نعيش في بيت واحد حيث كانت كل منا مشغولة بشؤونها، ولم يحدث قط أن تحدثت أي منا للأخرى حديثاً من القلب. ليست المشكلة هي أننا لم نتآلف، فنحن لم نتشاجر قط بعد أن كبرنا. كل ما هنالك هو أن كلاًّ منا ظلت لفترة طويلة تعيش حياة تختلف عن تلك التي تعيشها الأخرى».

تحدق ماري في شاشة التلفاز الخالية.

كوروجي: «حدثيني عن شقيقتك. إذا كنت لا تعرفين شخصيتها من الداخل، فأخبريني عن الأشياء الظاهرة، وما تعرفينه عنها عموماً».

- إنها طالبة جامعية. تذهب إلى إحدى أقدم الكليات التبشيرية الخاصة بالفتيات الثريات. تبلغ من العمر 21 عاماً. تخصصها الرسمي هو علم الاجتماع، ولكني لا أعتقد أن لديها أي اهتمام بذلك الموضوع. لقد ذهبت إلى الكلية لأن ذلك كان هو المأمول منها، وهي تعرف جيداً كيف تجتاز الاختبارات، ذلك كل ما في الأمر. أحياناً تعطيني بعض النقود حتى أُعد لها تقريراً. وغير ذلك،

فقد كانت تعمل فتاة غلاف للمجلات وتظهر على شاشات التلفاز من حين إلى آخر.

- التلفاز؟ في أي البرامج؟

- ليس برنامجاً محدداً. مثلاً، اعتادت أن تعرض الجوائز أمام الكاميرات في برامج المسابقات، وتحملها وهي مبتسمة ابتسامتها العريضة. لكن ذلك انتهى، ولم تعد تشارك في برامج أخرى. وكانت أيضاً تظهر في بضع إعلانات تجارية، أحدها كان لشركة نقل. وأشياء من هذا القبيل.

- لا بد أنها كانت فاتنة الجمال.

- ذلك ما يقوله الجميع. إنها لا تشبهني على الإطلاق.

تقول كوروجي وهي تزفر تنهيدة قصيرة: «أحياناً أتمنى لو كنت ولدت جميلة مثلها. كنت سأحب أن أجرب ذلك، ولو لمرة واحدة، لأعرف كيف يكون».

تتردّد ماري لبرهة، ثم تقول وكأنها تعترف بشيء. «ربما يبدو ذلك غريباً، ولكن شقيقتي تبدو جميلة حقاً عندما تخلد إلى النوم. ربما يفوق جمالها وهي نائمة ما هي عليه من جمال خلال يقظتها. إنها شفافة. ربما أكون شقيقتها، ولكن دقات قلبي تتسارع كلما رأيتها وهي نائمة».

- مثل الجمال النائم.

- بالضبط.

كوروجي: «ثمة شخص سوف يُقبّلها قبلة ويوقظها».

ماري: «إذا سار كل شيء على ما يرام».

يسود بينهما صمت لفترة. ما زالت كوروجي تداعب أزرار جهاز التحكم عن بعد. ومن بعيد يُسمع صوت آلة تنبيه لسيارة إسعاف.

- أخبريني، يا ماري، هل تؤمنين بتناسخ الأرواح؟

تهز ماري رأسها، وتقول: «لا، لا أظن ذلك».

- إذن فأنت لا تعتقدين بأن هناك حياة أخرى قادمة؟

- لم أفكر كثيراً في هذه المسألة، لكن يبدو لي أنه ليس هناك ما يجعلني أؤمن بأن هناك حياة قادمة بعد هذه الحياة.

- إذن، فبمجرد أن تموتي، فلن يكون هناك عدم.

- طبعاً.

- في الحقيقة، أنا أرى أنه يجب أن يكون ثمة شيء مثل تناسخ الأرواح. أو ربما عليّ أن أقول إن الفزع يتملكني عندما أفكر بأنه بعد حياتنا هذه لن تكون هناك حياة أخرى. لا أستطيع أن أفهم العدم. لا أستطيع أن أفهمه ولا أستطيع أن أتخيله.

- العدم يعني أنه ليس ثمة شيء مطلقاً، وبالتالي ليس ثمة حاجة لفهمه أو تخيله.

- صحيح، ولكن ماذا لو أن العدم لا يشبه ذلك؟ ماذا لو أنه شيء يستدعي منك فهمه أو تخيله؟ أعني، أنكِ لا تعرفين كيف سيكون الموت، ماري. ربما يتعين على المرء أن يموت فعلاً حتى يفهم ماهية الموت.

ماري: «حسناً، نعم. . .»

كوروجي: «ينتابني هلع شديد عندما يقودني تفكيري إلى هذه الأشياء. هلع لا أكاد أستطيع معه التقاط أنفاسي، وأجد جسمي كله يريد أن يتقلص ويتنحى جانباً في زاوية من الزوايا. الإيمان بتناسخ الأرواح أسهل من ذلك بكثير. ربما تولدين من جديد في شكل كائن شنيع، إلا أنك على الأقل تستطيعين أن تتخيلي الشكل الذي ستأخذينه، كحصان أو قوقعة مثلاً. وحتى إن كان كائناً سيئاً، فربما تكون أحسن حظاً في المرة التالية».

- نعم... لكني مع ذلك ما زلت أرى أن طبيعة الأمور هي الاعتقاد بأن المرء عندما يموت، فلن يكون ثمة شيء بعد ذلك.

- لست أدري إن كانت شخصيتك القوية هي السبب في ذلك.

- أنا!؟

تومئ كوروجي: «يبدو أن لديك مقدرة واضحة وقوية على التحكم في نفسك».

تهز ماري رأسها: «لستُ كذلك. عندما كنت صغيرة، لم يكن لدي أي ثقة بنفسي على الإطلاق. كان كل شيء يخيفني. ولذلك السبب كنت أتعرض للتنمّر كثيراً. كنت تلك اللقمة السائغة. وما زالت المشاعر التي كانت تنتابني عندئذٍ تعيش داخلي. وطوال الوقت تتراءى لي أحلام شبيهة بذلك».

- حسناً، ولكني أراهن أنكِ اجتهدت كثيراً خلال السنوات الماضية حتى قهرت تلك المشاعر خطوة خطوة، وتلك الذكريات السيئة.

تقول ماري وهي تومئ: «خطوة خطوة، أنا أُشبه ذلك. عاملة مجتهدة».

- هل ثابرت عليها بنفسك مثابرة حَدَّادة القرية؟

- صحيح.

- أعتقد أنه أمر رائع أن باستطاعتك ذلك.

- تقصدين العمل باجتهاد؟

- نعم أقصد ذلك.

- حتى إن لم يكن هناك شيء آخر يميزني؟

تبتسم كوروجي دون أن تتكلم.

تطرق ماري تفكر فيما قالته كوروجي: «أشعر أنني استطعت أن أصنع شيئاً يمكن تسميته عالمي الخاص... مع مرور الزمن... ورويداً رويداً. وعندما أكون بداخله، يخالجني إلى حدٍّ ما شعور بالارتياح. ولكن حقيقة أنني شعرت بأن علي أن أوجد ذلك العالم هي في حدّ ذاتها ربما تعني أنني شخص ضعيف، وأنه يسهل جرحي، ألا تعتقدين ذلك؟ وفي نظر المجتمع على نطاق واسع، فإن عالمي هذا ما هو إلا شيء ضئيل وضعيف. إنه أشبه بعالم من الكرتون، يمكن لنفخة ريح أن تلقي به بعيداً».

تسألها كوروجي: «هل لديك صديق؟»

تهز ماري رأسها هزة خفيفة.

- وهل ما زلت عذراء؟

تومئ ماري إيماءة سريعة وقد احمرّت وجنتاها. «نعم».

- لا ضير في ذلك، ليس في هذا ما تخجلين منه.
- أعرف ذلك.

تسألها كوروجي: «كل ما هنالك أنك لم تقابلي من تحبينه؟»
- هناك فتى اعتدت أن أراه. ولكن..
- لم يبلغ حبك له الحد الذي يجعلك تذهبين معه حتى النهاية.

ماري: «صحيح. كان لدي فضول كبير، لكني لم أشعر بالرغبة في ذلك قط. لست أدري..»

كوروجي: «حسناً، ليس هناك معنى لأن ترغمي نفسك إذا لم تكن لديك الرغبة. أما أنا، فحتى أكون صريحة معك، فمارست الجنس مع أشخاص كثر، ولكنني كنت أفعل ذلك في الأساس بدافع الخوف. كنت خائفة من ألا أجد من يطوقني بذراعيه، ولذلك لم أستطع أن أقول لا. هذا هو كل ما في الأمر. لم أحقق فائدة تذكر من ممارسة مثل هذا النوع من الجنس. كل ما يقدمه لي هو أنه يسحق معنى الحياة داخلي شيئاً فشيئاً كل مرة. هل تفهمين ما أقول؟»

- أظن ذلك.
- يوماً ما سوف تقابلين الشخص المناسب، يا ماري، وسوف تكتسبين المزيد من الثقة بنفسك. ذلك ما أعتقد أنه سيحدث. لذلك لا تقبلي بأقل من ذلك. في هذا العالم، ثمة أشياء لا يمكن للمرء أن يفعلها إلا بمفرده، وأشياء أخرى لا تُؤدى إلا برفقة آخَر. ومن المهم للمرء أن يمزج الاثنين معاً بحسب المقادير المناسبة.

تومئ ماري: تحك كوروجي شحمة أذنها بإصبعها الخنصر. «لسوء الحظ، فقد فات الأوان بالنسبة لي».

تقول ماري بوقار واضح. «اسمحي لي أن أقول هذه وحسب».

- آه . . . ماذا؟

- آمل أن تتخلصين من أي شخص يطاردك.

تقول كوروجي: «أحياناً أشعر كما لو أنني في سباق مع ظلي. وهو ما لن أستطيع أبداً تجاوزه. فليس بوسع أحد أن يتخلص من ظله. ربما يكون ذلك شيء آخر، شيء مختلف تماماً».

تطرق كوروجو لبرهة وهي تفكر في ذلك، ثم تومئ لماري. «أظن أنك على صواب. كل ما أستطيع فعله هو أن أبذل قصارى جهدي وأتابعه حتى النهاية».

تتطلع كوروجي في ساعتها، ثم تمطّ جسمها بقوة، وتنهض واقفة. «حان وقت العودة إلى العمل. يحسن بك أن تأخذي إغفاءة، وتعودي إلى البيت بمجرد إطفاء الأنوار».

- حسناً.

- سوف يكون كل شيء على ما يرام مع شقيقتك. لدي شعور بذلك. مجرد شعور.

ماري: «أشكرك».

- ربما لا تشعرين بالقُرب منها الآن، ولكنني واثقة من أنك كنت كذلك في وقت ما. حاولي أن تتذكري لحظة كنت فيها وثيقة الاتصال بها، ولم تكن تفصلك عنها أي فجوات. ربما لا تسعفك

الذاكرة بشيء الآن، ولكن إن حاولت بجدية، فسوف تتذكرين ذلك. فأنتما تنتميان إلى أسرة واحدة، ومهما يكن، فهناك تاريخ طويل يجمعكما. لا بد أن لديك ذكرى واحدة على الأقل محفوظة في مكان ما.

ماري: «حسنا، سأحاول».

- إنني كثيراً ما أفكر في الأيام الخوالي. ولا سيما بعد أن بدأت أتنقل في البلد. عندما أحاول جاهدة أن أتذكر، تأتيني هذه الأشياء كلها كذكريات حية حقاً. فجأة ومن حيث لا أدري أجدني أستطيع استعادة أشياء لم تخطر ببالي منذ سنوات. إنه أمر مثير للاهتمام حقاً. إن الذاكرة شيء مثير للغاية! إنها أشبه بتلك الأدراج المحشوة بأشياء كثيرة عديمة الجدوى. وفي تلك الأثناء، نأخذ في نسيان الأشياء المهمة فعلاً، الواحد تلو الآخر.

تنهض كوروجي واقفة وهي تمسك بجهاز التحكم عن بعد.

تقول: «هل تعرفين ما يذهب إليه تفكيري حول ذلك؟ إن ذكريات الأشخاص ربما هي الوقود الذي يحرقونه حتى يظلوا على قيد الحياة. وسواء كانت تلك الذكريات ذات أهمية حقيقة أم لا، فإن ذلك لا يهم طالما أن الأمر يتعلق باستمرارية الحياة. فهي كلها وقود. فإذا كان لديك مطويات دعائية في صحيفة، وكتب في الفلسفة وصور جنسية من مجلات ورزمة من فئة العشرة آلاف ين، ثم ألقيت بها جميعاً في النار، فإنها تصبح كلها مجرد ورق. والنار لا تفكر حتى تقول، «آه، هذا كانط»، أو «آه، هذه هي الطبعة المسائية من صحيفة يوميوري»، أو صور «مؤخرات جميلة» وهي

تحرقها. إنه الشيء نفسه تماماً. الذكريات المهمة، والذكريات غير المهمة، جميعها معدومة الجدوى، وليس ثمة فرق بينهما، فكلها مجرد وقود».

تومئ كوروجي لنفسها. ثم تتابع كلامها: «أعتقد أنه لو لم يتوفر لدي ذلك الوقود، ولو لم يكن لدي تلك الأدراج من الذكريات، لكنت انفجرت منذ زمن طويل. كنت سأتكوم في حفرة وفي مكان ما ثم أموت، لكن بفضل قدرتي على استعادة الذكريات من الأدراج كلما تعين علي ذلك، سواء كانت ذكريات مهمة أو غير مهمة، فإنني أستطيع أن أعيش ذلك الكابوس الذي يُسمى الحياة. أعتقد أنني لا أستطيع أن أتقبله أكثر من ذلك، وأنني لا أستطيع أن أسير على هذا المنوال، ولكن بطريقة أو بأخرى فقد تجاوزت ذلك».

تنظر ماري وهي لم تزل في كرسيها إلى كوروجي.

- إذن حاولي جاهدة، يا ماري. حاولي جاهدة أن تستعيدي كل أنواع الذكريات عن شقيقتك. سيكون ذلك وقوداً مهماً. لك وربما لشقيقتك أيضاً.

تنظر ماري إلى كوروجي دون أن تعقب بشيء.

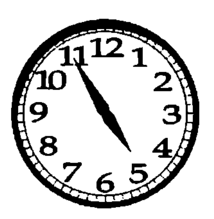
تتطلع كوروجي في ساعتها مرة ثانية. «عليّ أن أذهب».

ماري: «أشكرك على كل شيء».

تلوح لها كوروجي بيدها ثم تنسل خارجة.

عندما تصبح وحدها، تقوم ماري بمعاينة الغرفة من جديد. إنها غرفة صغيرة في فندق من فنادق الحب. لا نوافذ بها. الشيء

الوحيد الموجود خلف الستارة هو تجويف حيث يجب أن تكون النافذة. بها سرير ضخم على نحو لا يتلاءم مع مساحة الغرفة. بالقرب من مقدمة السرير توجد مفاتيح غامضة كثيرة، حتى ليُخيل لمن يراها أنها جزء من قُمرة طائرة. وثمة آلة لبيع أجهزة هزاز للإثارة الجنسية وملابس داخلية متنوعة الألوان تلبي أرقى الأذواق. لم يسبق لماري أن رأت مثل تلك الأشياء الغريبة في حياتها، إلا أن ذلك لم يسؤها في شيء. وبالرغم من أنها بمفردها في هذه الغرفة الغريبة، فإنها تشعر رغم ذلك بالأمان. تلحظ أن حالة من الطمأنينة قد غشيتها ولأول مرة منذ فترة طويلة. تغوص في الكرسي وتغمض عينيها، وسرعان ما تذهب في النوم. نومها لا يطول ولكنه عميق. هذا هو ما ظلّت تريده لفترة طويلة من الزمن.



الساعة 4:55 صباحاً

16

مخزن في قبو بناية يبعث على الكآبة تؤدي الفرقة الموسيقية فيه تدريبها خلال الليل. ليس به نوافذ. سقفه عالٍ وبه أنابيب مكشوفة. لسوء تهويته يُحظّر التدخين في داخله. ومع اقتراب الليل من نهايته، ينتهي التدريب الرسمي ويتجمع الموسيقيون من أعضاء الفرقة. هناك عشرة منهم معاً. يضمّون بينهم امرأتين، هما عازفة البيانو وعازفة الساكس سوبرانو التي اختارت ألا تشارك في هذه الفقرة.

بمصاحبة بيانو إلكتروني وكمان جهير وطبلة، يعزف تكاهاشي مقطعاً طويلاً بآلة الترومبون. يعزف مقطوعة «سوني موون فور تو» لسوني رولينز بإيقاع شجن متوسط. أداؤه ليس سيئاً، وهو يتميز بتعبيراته الحوارية أكثر من تميزه بأدائه الفني. ربما يكون في ذلك ما يعكس شخصيته. بعينين مغمضتين، يستغرق في الموسيقى. يضيف «الساكسفون» و«التوساكسفون» والبوق جُملاً موسيقية بسيطة

من حين إلى آخر. أما هؤلاء الذين يشاركونه العزف فيحتسون القهوة من إبريق، ويعيدون النظر في أوراقهم الموسيقية أو يعملون على آلاتهم وهم ينصتون. فيما ينادي بعضهم من حين إلى آخر على تكاهاشي لتشجيعه خلال توقفاته في عزفه المنفرد.

ولأنها تُعزف بين حوائط عارية، يأتي صوت الموسيقى عالياً؛ يستخدم العازف عصوين ينقر بهما معاً على الطبلة. لوح خشبي طويل وكراسي معدنية تصنع معاً طاولة مؤقتة يوجد فوقها صناديق بيتزا مبعثرة فارغة، إبريق القهوة، أكواب ورقية، أوارق موسيقية، مسجل شرائط صغير، ولوازم الساكسفون. وسائل التدفئة منعدمة تقريباً هنا. الأشخاص يعزفون وهو يرتدون معاطفهم وستراتهم. أما أعضاء الفرقة الذين يجلسون ولا يشاركون في العزف فيرتدون قبعات وقفازات. إنه مشهد غريب. ينتهي العزف المنفرد الطويل لتكاهاشي، فيما تنضم آلات النفخ الأربعة ويبدأ عزف الغيتار الإلكتروني في الختام.

عندما ينتهي اللحن، يأخذون استراحة لعشرة دقائق. بعد ليلة تدريب طويلة، تبدو آثار التعب بادية على وجوه الجميع، ويتبادلون الحديث فيما بينهم ولكن على نحو أقل ممّا اعتادوا عليه. بينما يستعدون لأداء اللحن التالي، نجد عازفاً يتمطأ بذراعيه، فيما يحتسي آخر شراباً ساخناً، وآخر يقضم نوعاً من البسكويت، ويخرج آخران للتدخين. وخلال هذه الاستراحة، ليس هناك سوى عازفة البيانو، وهي فتاة ذات شعر طويل، التي تبقى مع آلتها الموسيقية خلال الاستراحة، وهي تجرب بعض النغمات. يجلس

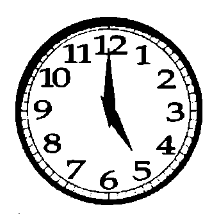
تكاهاشي في مقعد معدني، يرتب مدونته الموسيقية، يفك آلة الترومبون، يسكب سائل اللعاب المتراكم داخلها على الأرض، يمسحها مسحاً سريعاً بقطعة من قماش، ثم يبدأ في وضعها في حقيبتها. من الواضح أنه لن يشارك في جلسة التدريب التالية.

يأتيه عازف الغيتار الكهربائي ذي القامة الطويلة ويربت على كتفه. «عزفك رائع، يا تكاهاشي. لقد كان يفيض بمشاعر صادقة».

يقول: «أشكرك».

يسأله الشاب صاحب الشعر الطويل الذي كان يعزف البوق: «هل ستكتفي الليلة بهذا القدر، يا تكاهاشي؟»

- نعم. لدي بعض الأشياء علي أن أقوم بها. معذرة، لن يكون بوسعي المشاركة في التنظيف.



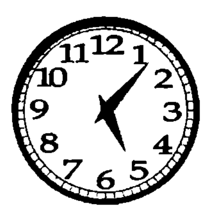
الساعة 5:00 صباحاً

مطبخ منزل شيراكاوا. على شاشة التلفاز تُسمع صافرة تشير إلى الزمن فيما تبدأ نشرة أخبار «إن إتش كي». يحدق المذيع في الكاميرا مباشرة فيما يقرأ الأخبار بدقة. يجلس شيراكاوا أمام مائدة الطعام، ويشاهد التلفاز الذي خفَّض صوته حتى يكاد لا يسمعه. فك شيراكاوا ربطة عنقه وراح يتكئ على ظهر كرسيه، يظهر ذراعاه

وقد شمّرهما حتى كوعيه. علبة الزبادي خاوية. لا يجد رغبة قوية في مشاهدة نشرة الأخبار. ليس هناك ما يثير اهتمامه. إنه يدرك ذلك. كل ما في الأمر هو أن النوم يجافي عينيه.

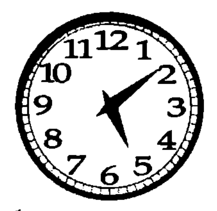
ببطء يقوم ببسط وقبض يده اليمنى وهي على المائدة. إن الألم الذي يشعر به ليس بالألم العادي، وإنما هو ألم مفعم بذكريات. يتناول قنينة ماء «بيرييه» بعلامتها الخضراء من الثلاجة ويجعلها تلامس ظهر يده عساها تخفف حدة الألم. ثم يلف غطاء القنينة ويصب لنفسه كوباً من الماء ويشربه. يخلع نظارته ويدلك المنطقة حول عينيه بعناية شديدة. ما زال لا يشعر بأي علامة على النعاس. من الواضح أن جسمه يعاني من الإرهاق، ولكن ثمة شيء في رأسه يحوْل بينه وبين النوم. هناك شيء يقضّ مضجعه، ويبدو أنه لا يستطيع التخلص منه. ييأس من محاولة ذلك، ويرتدي نظارته ثانية، ويستدير نحو شاشة التلفاز. الأخبار تتحدث عن مشكلة إغراق السوق بصادرات الحديد الصلب. تدابير الحكومة لمواجهة الارتفاع المفاجئ في قيمة الين. أم تنتحر وتقتل طفليها بعد أن غمرت سيارتها بالبنزين ثم أشعلت فيها النار وصورة لهيكل السيارة المتفحمة، وما زال الدخان ينبعث منه. اشتعال المنافسة بين منافذ بيع السلع الخاصة بأعياد الكريسماس التي على الأبواب.

يوشك الليل أن ينجلي، ولكن ليله هو لن ينتهي بهذه السهولة. حالاً ستصحو أسرته من النوم، وعندئذٍ سيتعين عليه أن يخلد للنوم بكل تأكيد.



الساعة 5:07 صباحاً

غرفة في فندق ألفافيلا. دخلت ماري في إغفاة خفيفة وهي تغوص في المقعد. تضع قدميها على طاولة زجاجية قصيرة وقد ألبستهما جوربين أبيضي اللون. خلال نومها، تظهر على وجهها علامات ارتياح. يظهر كتابها السميك مفتوحاً على منتصفه وقد قُلب على دفتيه. أنوار السقف مضاءة. سطوع الغرفة على ما يبدو لا يشغل بال ماري. التلفاز مطفأ وصامت. السرير مُرتب. والصوت الوحيد المسموع هو الطنين الرتيب المنبعث من نظام التدفئة في السقف.



الساعة 5:09 صباحاً

غرفة إيري أساي.

تعود إيري أساي إلى هذا الجانب الآن. إنها نائمة في سريرها وفي غرفتها مرة أخرى. أصبح وجهها موجهاً نحو السقف، ترقد

ولا تحرك ساكناً. حتى أنفاسها لا تكاد تسمع. هذا هو المشهد ذاته الذي رأيناه لدى دخولنا لهذه الغرفة أول مرة. صمت مطبق، نوم عميق عمقاً مخيفاً. أفكارها ساكنة وتشبه سطح مرآة. إنها تطفو هناك ووجهها إلى أعلى. لا يمكننا أن نلحظ أي أثر للفوضى في الغرفة. مرة أخرى تصبح شاشة التلفاز باردة ومعتمة، مثل الوجه الآخر من القمر. تُرى هل ربما نجحت في الهروب من تلك الغرفة الملغزة؟ ترى هل ربما انفتح لها باب ما وعلى نحو ما؟

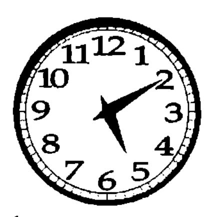
لا أحد يجيب عن أسئلتنا. علامات الاستفهام التي لدينا ابتلعها، دون مقاومة، الظلام الدامس والصمت العنيد لليل. كل ما نعرفه على وجه اليقين هو أن إيري أساي قد عادت إلى سريرها في هذه الغرفة. وبحسب ما تراه أعيننا، فقد تمكنت من العودة إلى هذا الجانب آمنة، دون أن تمس خطوطها. لا بد أنها تمكنت من الهروب من باب في آخر لحظة. أو ربما كان بوسعها أن تكتشف مخرجاً مختلفاً.

أياً كان الأمر، فإنه يبدو أن سلسلة الأحداث الغريبة التي وقعت داخل هذه الغرفة خلال الليل قد انتهت وإلى الأبد. ثمة دورة قد اكتملت، وتمّت تسوية كل الاضطرابات، وإخفاء كل أشكال الارتباك، وعادت الأشياء إلى سيرتها الأولى. حولنا، يتّحد السبب والنتيجة ويحافظ التآلف والانقسام على توازنهما. وأخيراً، انكشف كل شيء في مكان يشبه هوة سحيقة يتعذر الوصول إليها. إن مثل هذه الأماكن تفتح مداخل سرية في الظلام خلال الفترة التي تفصل بين منتصف الليل وبين الوقت الذي يبدأ الضوء فيه في

الانتشار في السماء. ليس لأي من مبادئنا أدنى تأثير هناك. لا أحد بوسعه أن يتنبأ متى أو أين ستبتلع تلك الهوّات السحيقة الأشخاص، أو متى أو أين ستلفظهم.

بعد أن تحررت من كل اضطراب، تنام إيري الآن بأناقة في سريرها. شعرها الأسود ينسدل فوق وسادتها على نحو أنيق تعجز عن وصفه الكلمات. بوسعنا أن نستشعر اقتراب الفجر. انقضت الآن أحلك ساعات الليل ظلمة.

ولكن هل هذا صحيح حقاً؟



الساعة 5:10 صباحاً

داخل متجر «سفن إليفن». تتدلى من كتفه حقيبة آلة الترومبون، فيما يختار تكاهاشي طعامه تطل من عينيه نظرة شديدة الجدية. سوف يعود إلى شقته للنوم ولكنه سيحتاج شيئاً لتناوله عندما يستيقظ. إنه الزبون الوحيد داخل المتجر. تنبعث معزوفة «بوم جوس» لشيكاو سوجا من مكبرات الصوت المثبتة في السقف. يلتقط تكاهاشي ساندويشاً مغلفاً بالبلاستيك وعلبة حليب. يقارن تاريخ انتهاء الصلاحية المدوّن على تلك العلبة والعلب الأخرى. الحليب بالنسبة إليه هو غذاء شديد الأهمية في حياته.

ليس باستطاعته أن يغضّ الطرف عن أبسط التفاصيل عندما يتعلق الأمر بالحليب.

في هذه اللحظة ذاتها، يرن هاتف محمول من فوق رفّ الأجبان. إنه ذلك الهاتف الذي تركه شيراكاوا هناك قبل فترة وجيزة. يقطب تكاهاشي وجهه ويحدق فيه بارتياب. تُرى من الذي يمكنه أن يترك هاتفاً نقالاً في مثل هذا المكان؟ يمدّ نظره نحو خزينة الدفع، ولكن ليس هناك أثر لمسؤول المبيعات. يستمر الهاتف في الرن. وأخيراً يمسك تكاهاشي بالهاتف صغير الحجم ذي اللون الفضي في يده ثم يضغط على زر الكلام.

- مرحباً؟

- «لن تُفلت بفعلتك أبداً»، يسمع صوت رجل يقول له مباشرة. «لن تفلت أبداً. ومهما بعد المكان الذي ستهرب إليه، فسوف نمسك بك».

يأتي الصوت بنبرة ثابتة، كما لو أن الرجل يقرأ نصاً مطبوعاً. ليس به أي مشاعر. ليس لدى تكاهاشي، بطبيعة الحال، أدنى فكرة عما يتحدث عنه الرجل.

يقول تكاهاشي وبصوت أعلى من قبل: «يا . . تمهل للحظة». ولكن يبدو أن كلماته لم تصل إلى الرجل في الطرف الآخر، الذي يواصل بدوره الكلام باللهجة غير المميزة نفسها، كما لو أنه يترك رسالة صوتية عبر بريد صوتي.

- سوف نضع أيدينا على كتفك يوماً ما. إننا نعرف ملامحك.

- يا للحماقة . . .

يقول الرجل: «إذا وضع أحد يده على كتفك يوماً ما في مكان ما، فسيكون نحن من فعل ذلك».

ليس لدى تكاهاشي أدنى فكرة عمّا ينبغي له أن يقول رداً على هذا. يلتزم الصمت. ولكونه ترك داخل إطار ثلاجة، فإنه يشعر ببرودة مؤرقة تنبعث من الهاتف.

- ربما تنسى فعلتك، ولكننا لن ننساك أبداً.

تكاهاشي: «يا. . ، لست أدري ما الخطب، ولكني أود أن أقول لك بأنك تتحدث إلى الشخص الخطأ».

- لن تفلت أبداً.

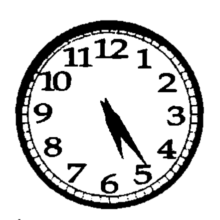
ينقطع الاتصال. تتوقف دائرة الاتصال. تُترك الرسالة الأخيرة مهملة على شاطئ مهجور. يحدق تكاهاشي في الهاتف النقال الذي في يده. ليس لديه أدنى فكرة عمّن يشير إليهم هذا الرجل بـ«نحن» أو من المقصود بهذا الاتصال، ولكن يظل صدى الصوت يرن في أذنه - تلك الأذن ذات الشحمة المشوهة - مثل لعنة عبثية تترك وراءها مذاقاً سيئاً. يشعر بشيء بارد وناعم في يديه، كما لو كان قد أمسك لتوه بثعبان.

ثمة شخص، لسبب ما، تطارده مجموعة من الأشخاص، هكذا تخيل تكاهاشي الأمر. وبناء على اللهجة الصريحة للرجل، فذلك الشخص لن يفلت على الأرجح من قبضتهم. في وقت ما، وفي مكان ما، وفي اللحظة التي لا يتوقع فيها ذلك، سوف يجد شخصاً ما يضع يده على كتفه. ترى ماذا سيحدث بعد ذلك؟

على أية حال، فإن الأمر لا يخصني نهائياً، هذا هو ما يتحدث

تكاهاشي به لنفسه. هذا هو أحد الأعمال الكثيرة التي تتسم بالعنف والدموية وتُقترف خلسة في الجانب المحجوب من المدينة - إنها أشياء من عالم آخر تأتي عبر دائرة أخرى. أنا مجرد عابر سبيل بريء. كل جريرتي هي أنني وشفقة بالمتّصل قمت بالرد على هاتف نقال يرن فوق رفٍّ في متجر صغير. أظن أن الشخص المتصل كان يحاول تعقّب مكان هاتفه المفقود.

يغلق الهاتف ويعيده إلى حيث وجده، بجوار علبة قوالب جبن كاممبرت. أَفضل شيء هو ألا يكون لي أي صلة بهذا الهاتف. والأسلم أن أغادر هذا المكان فوراً. والأسلم أن أبتعد قدر استطاعتي عن تلك الدائرة الخطيرة. يهرع إلى خزينة الدفع، ويُخرج حفنة من الفكة من جيبه ثم يدفع ثمن الساندويش والحليب.



الساعة 5:24 صباحاً

يجلس تكاهاشي وحيداً على أريكة في حديقة. إنها الحديقة الصغيرة التي تكثر بها القطط. ليس هناك أحد آخر سواه. توجد أرجوحتان متجاورتان، فيما تغطي أوراق الشجر الجافة الأرض. القمر يضيء السماء. يُخرج هاتفه النقال من جيب معطفه ويطلب رقماً.

غرفة في ألفافيلا حيث توجد ماري. يرن الهاتف. تستيقظ في الرنة الرابعة أو الخامسة ثم تنظر عابسة في ساعتها. تنهض واقفة ثم ترفع سماعة الهاتف.

ترد ماري بصوت قلق: «مرحباً».

- مرحباً، إنه أنا. هل كنت نائمة؟

- «غفوت»، تضع يدها فوق سماعة الكلام ثم تنظف حنجرتها. «حسناً، غفوت لبعض الوقت في كرسي».

- هل ترغبين في تناول إفطارك معي؟ في ذلك المطعم الذي حدثتك عنه والذي يقدم أومليت رائعاً؟ أنا متأكد أنه يقدم أيضاً أشياء أخرى شهية.

تسأله ماري، ولكنها تكاد لا تُميز صوتها من التعب: «هل انتهى التدريب؟».

- بكل تأكيد انتهى. وأنا جائع للغاية. ماذا عنك؟

- في الحقيقة، لست جائعة إلى ذلك الحد. أشعر بالرغبة في العودة إلى البيت.

- ليس لدي مانع من ذلك أيضاً. يمكنني اصطحابك إلى المحطة. أعتقد أن القطارات بدأت في العمل.

ماري: «أنا متأكدة أنني أستطيع المشي من هنا إلى المحطة بنفسي».

- أودّ الحديث معك حول بعض الأشياء الأخرى إذا سمحتِ. ماذا لو تحدثنا ونحن في طريقنا إلى المحطة. إذا لم تمانعي.

- لا، ليس لدي مانع.

- سوف أكون هناك خلال عشرة دقائق. اتفقنا؟

ماري: «اتفقنا».

يقطع تكاهاشي الاتصال، ويطوي هاتفه ويضعه في جيبه. ينهض عن أريكة الحديقة، ويمد ذراعيه متمطئاً بقوة، ثم ينظر إلى أعلى نحو السماء. ما زال المكان مظلماً. وما زال القمر الهلال نفسه يسبح هناك. من الغريب أن يظلّ ذلك الجسم الصلب الكبير معلقاً، ويرى من منطقة واحدة في المدينة ما قبل الفجر، هناك مجاناً.

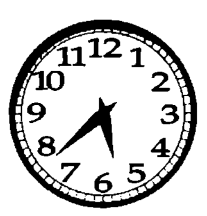
يقول تكاهاشي بصوت عالٍ فيما ينظر إلى القمر الهلال: «لن تُفلت أبداً».

سوف تظل تلك الكلمات المبهمة في ذاكرة تكاهاشي كنوع من المجاز. قال له الرجل عبر الهاتف: «لن تفلت أبداً... ربما تنسى ما فعلت، ولكننا لن ننساك». كلما أمعن تكاهاشي التفكير حول معناها، بدا له أكثر أن الكلمات لم تكن موجَّهة إلى شخص آخر، وإنما إليه - مباشرة، وشخصياً. ربما لم يكن هناك مصادفة في الموضوع. ربما كان الهاتف النقال يكمن له فوق أحد أرفف ذلك المتجر، في انتظار أن يمر هو خصيصاً من هنا. يطرق تكاهاشي يفكر: «نحن» ترى من عساهم يكونون «نحن»؟ وما الذي «نحن» لن ننساه؟

يعلق تكاهاشي حقيبة آلته الموسيقية وكيس التسوق بكتفه ويبدأ في المشي بخطى وئيدة نحو فندق ألفافيلا. بينما يمشي، يحك

شعر ذقنه الخشن الذي بدأ ينمو. يسود ظلامٌ دامس لليل يغلف المدينة مثل بشرة رقيقة. راحت عربات جمع القمامة تظهر في الشوارع. بينما تجمع العربات حمولتها ثم تنطلق، يأخذ الأشخاص الذين أمضوا ليلتهم في مناطق متنوعة من المدينة أماكنهم، ويمشون صوب محطات قطارات الأنفاق، عازمين على اللحاق بالقطارات الأولى التي ستقلهم إلى الضواحي، مثل أسراب سمك تسبح ضد التيار. يبدو الناس الذين أنهوا أعمالهم التي يتعين عليهم إنجازها طوال الليل، وكذلك الصغار الذين تعبوا من العزف طوال الليل، وأياً كان الفرق في ظروفهما، فكلا النوعين يتساوى في تحفُّظه وكتمانه، بل حتى هؤلاء الحبيبان اللذان وقفا أمام ماكينة بيع مشروبات، وهما يتكآن على بعضهما بعضاً بقوة، ليس لديهما المزيد من الكلمات حتى يقولها كل منهما للآخر. بدلاً من ذلك، فإن ما يتشاطرانه في صمت هو دفء جسديهما الذي يراوح مكانه.

يوشك النهار الجديد أن يطلع، ولكن النهار القديم لم يزل يجرجر أذياله الثقيلة. ومثلما تصارع مياه المحيط مياه النهر عند المصب، فهكذا يتصادم الزمن القديم والزمن الجديد ويمتزجان. وليس بمقدور تكاهاشي أن يحدد على وجه اليقين في أي جانب وأي عالم يوجد مركز جاذبيته.



الساعة 5:38 صباحاً

17

تمشي ماري وتكاهاشي عبر الشارع جنباً إلى جنب. تعلق ماري حقيبتها في كتفها فيما أنزلت قبعتها «ريد سوكس» لتغطي عينيها. لا ترتدي نظارتها الآن.

تكاهاشي: «ألست متعبة؟»

تهز ماري رأسها: «أخذت إغفاءة خفيفة».

- عندما أمضي الليل بطوله في التدريب هكذا، أستقلّ خط تشوأو من محطة شينجوكو للعودة إلى البيت، ولا أستيقظ إلا في ريف يماناشي حيث أجد الجبال تحيطني. إنني، ولا فخر، من نوعية الأشخاص الذين يمكنهم أن يغطوا في نوم عميق في أي مكان.

تظل ماري على صمتها، كما لو أنها تفكر في شيء آخر.

يقول تكاهاشي: «على أية حال، لنعد إلى ما كنا نتحدث فيه من قبل. . . بخصوص إيري أساي. بالطبع، لستِ ملزمة بالحديث

عنها إذا كنت لا ترغبين. ولكن اسمحي لي فقط أن أسألك سؤالاً».

- تفضل.

- شقيقتك نائمة منذ فترة طويلة. وليس لديها النية للاستيقاظ. لقد قلت شيئاً من هذا القبيل، أليس كذلك؟

- نعم، قلت ذلك.

- لست أدري ما الأمر، ولكن هل يمكن أن تكون في إغماءة أو حالة من فقدان الوعي؟

تتلعثم ماري قليلاً، ثم تقول: «لا، ليست كذلك. لا أظن أنه شيء يتهدد حياتها حالياً. إنها... نائمة وحسب».

تكاهاشي: «نائمة وحسب؟»

تتنهد ماري: «آه، فيما عدا أنها... لكن اعذرني، لست مستعدة للخوض في ذلك».

- حسناً. إذا لم تكوني مستعدة، فلا داعي لأن تتكلمي.

- إنني متعبة، ولا أستطيع حتى حمل رأسي. وصوتي لم يعد يشبه صوتي بالنسبة لي.

- حسناً. لندع ذلك الآن لفرصة أخرى.

تردّ ماري بارتياح واضح: «حسناً».

يمر بعض الوقت دون أن يخوضا في أي شيء على الإطلاق. يمشيان صوب المحطة وحسب، فيما يدندن تكاهاشي ببعض الألحان.

ماري: «لست أدري في أي ساعة تُطفأ الأنوار».

ينظر تكاهاشي في ساعته: «في ذلك الوقت من السنة... إمم ... ربما في السادسة والربع. هذا هو الوقت الذي يبلغ الليل فيه أقصاه خلال السنة. سوف يستمر الظلام لبعض الوقت».

- عندما يحل الظلام، فإنه يجعل المرء يشعر بالتعب حقاً، أليس كذلك؟

- إنه الوقت الذي يُفترض أن يخلد فيه الجميع للنوم. من الناحية التاريخية، فإن البشر لم يشعروا بالارتياح للخروج من منازلهم بعد حلول الظلام إلا مؤخراً جداً. جرت العادة أن يأوي الأشخاص إلى كهوفهم ويحتموا بها من بعد غروب الشمس. وما زالت ساعاتنا الداخلية مضبوطة على النوم بعد غروب الشمس.

- أشعر وكأن وقتاً طويلاً قد انقضى منذ أن حلّ الظلام ليلة أمس.

- صحيح، لقد انقضى وقت طويل.

يمران من أمام صيدلية تقف أمامها حافلة كبيرة. يقوم السائق بإفراغ حمولة الحافلة إلى الصيدلية عبر بابها الموارب.

تكاهاشي: «هل تعتقدين أنني سأتمكن من رؤيتك مرة أخرى قريباً؟»

- لماذا؟

- لماذا؟ لأنني أرغب في رؤيتك والحديث إليك بضع مرات أخرى. في وقت أكثر طبيعية من اليوم إذا أمكن.

- هل تعني أن نلتقي على سبيل المواعدة الغرامية؟

- ربما يمكنك أن تسميها كذلك.

- ما الذي يمكنك أن تتحدث معي فيه؟

يفكر تكاهاشي في ذلك. «هل تقصدين السؤال عن الموضوعات المشتركة التي تجمعنا؟»

- بعيداً عن إيري، هذا هو ما أقصده.

- حسناً... موضوع عام مشترك... لقد فاجأني ذلك، ولا أستطيع أن أجد أي إجابة ملموسة الآن وفي هذه اللحظة. لكن يبدو لي وحسب أننا سنجد موضوعات كثيرة لنتحدث بشأنها إذا تقابلنا.

- الحديث معي ليس مسلياً إلى حد كبير.

- هل سبق أن أخبرك أحد بذلك، أعني أن الحديث معك ليس مسلياً إلى حدٍّ كبير؟

تهز ماري رأسها: «لا، لم يحدث».

- إذن ليس هناك ما يدعو للقلق.

- قيل لي في بضع مرات أن لدي شخصية سوداوية.

ينقل تكاهاشي حقيبة الترومبون من كتفه الأيمن إلى الأيسر. ثم يقول: «ليس صحيحاً أن حياتنا مقسمة بين الأبيض والأسود. هناك منطقة ظلٍّ تتوسط بين هذا وذاك. إن إدراك وفهم الظلال هو ما يقوم به الذكاء السليم. وحتى يكتسب المرء ذكاء جيداً فإن ذلك يستغرق وقتاً وجهداً. لا أظن أن لديك شخصية سوداوية».

تطرق ماري تفكر في كلمات تكاهاشي. «لكنني جبانة مع ذلك».

- ها أنت تخطئين مرة أخرى. الفتاة الجبانة لا تخرج وحدها

في المدينة ليلاً مثلما أنت الآن. كنت ترغبين في استكشاف شيء ما هنا. أليس كذلك؟

- ماذا تقصد بـ«هنا»؟

- مكان مختلف. مكان يقع خارج حدودك المعتادة.

- لست أدري إن كنتُ قد استكشفت شيئاً - هنا.

يبتسم تكاهاشي وينظر إلى ماري. «على أية حال، أودّ أن أراك وأتحدث إليك ثانية ولو مرة واحدة على الأقل. ذلك هو ما أرغب فيه».

تنظر ماري إلى تكاهاشي. تلتقي عيناهما.

تقول: «ربما يكونِ ذلك مستحيلاً».

- مستحيل؟

- نعم.

- هل تقصدين أنكِ وأنا لن نلتقي أبداً مرة أخرى؟

ماري: «إذا تحدثنا من وجهة نظر واقعية».

- هل تواعدين أحداً آخر؟

- ربما ليس الآن.

- إذن فأنت لا تحبيني وحسب؟

تهز ماري رأسها. «لم أقل ذلك. سوف لا أكون في اليابان بداية من الاثنين القادم. أنا مسافرة إلى بكين. سأظل هناك حتى حزيران/ يونيو القادم على الأقل ضمن برنامج تبادل طلابي».

يقول تكاهاشي مبدياً إعجابه: «أمر طبيعي. فأنت طالبة نجيبة».

- تقدمت للبرنامج علَّ وعسى أن يقع عليّ الاختيار، وهو ما حدث بالفعل. أنا طالبة في السنة الأولى، وكنت أظن أنه لن يكون بوسعي الالتحاق بهذا البرنامج، لكنه برنامج مميز.

- رائع. أهنئك.

- إذن، وعلى أية حال، ليس لدي سوى بضعة أيام قبل أن أغادر، وسوف أكون مشغولة للغاية بالتحضير للسفر..

- بالطبع.

- بالطبع ماذا؟

- عليك أن تستعدي للسفر إلى بكين، سوف تشغلك أشياء كثيرة، ولن تجدي وقتاً لرؤيتي. بالطبع. إنني أتفهم ذلك جيداً. حسناً، لا أمانع. يمكنني الانتظار.

- ولكني لن أعود إلى اليابان إلا بعد ستة أشهر أو أكثر.

- ربما لا يظهر عليّ ذلك، ولكن بوسعي أن أكون صبوراً للغاية. وقتْل الوقت هو أحد تخصصاتي. أعطني عنوانك هناك، إذا كنت لا تمانعين؟ أودّ أن أكتب إليك.

- لا مانع لدي، على ما أظن.

- إذا كتبت إليك، هل ستردين؟

ماري: «بكل تأكيد نعم».

- وعندما تعودين إلى اليابان في الصيف القادم، دعينا نتواعد أو حسبما تريدين أن تسمّي ذلك. قد نذهب إلى حديقة الحيوان أو الحديقة النباتية أو حوض السمك، ثم بعد ذلك سوف نتناول أشهى أومليت على الإطلاق ولا يختلف عليه اثنان.

تنظر ماري إلى تكاهاشي مرة أخرى - محدقة في عينيه كما لو كانت تريد التحقُّق من شيء ما.

- لكن ما السر في اهتمامك بي؟

- سؤال وجيه. لكن ليس باستطاعتي أن أجيب عنه الآن. ولكن ربما - ربما - إذا ظللنا نتقابل ونتحدث، وبعد فترة نقوم بتشغيل شيء من قبيل الموسيقى التصويرية لفرانسيس لاي في الخلفية، فقد تظهر ومن حيث لا أدري مجموعة كاملة من الأسباب الجوهرية التي تفسِّر لك سبب اهتمامي بك. وإذا حالفنا الحظ، ربما يُثلج الطقس من أجلنا.

عندما يصلان المحطة، تخرج ماري من جيبها مفكرة صغيرة حمراء، وتدون عنوانها في بكين، ثم تقطع الصفحة وتسلمها لتكاهاشي. يطويها تكاهاشي نصفين ثم يدسها في حافظة نقوده.

- أشكرك. سوف أكتب لك خطاباً جميلاً ومسهباً.

تتوقف ماري أمام بوابة التذاكر الآلية، وقد أطرقت تفكِّر في شيء. يعتريها بعض التردد بشأن ما إن كان عليها أن تخبره بما يدور في خاطرها.

تقول عندما قرّرت أن تذكر له ذلك: «خطر ببالي الآن شيء حول إيري أساي. كنت قد نسيت ذلك منذ فترة طويلة، ولكنه خطر ببالي فجأة عقب اتصالك بي في الفندق بعد أن أخذتني غفوة وأنا جالسة على الكرسي. لست أدري إن كان يجب عليّ أن أخبرك بذلك هنا والآن».

- بالطبع يجب أن تخبريني.

- أود أن أخبر به أحداً وهو ما زال حياً في ذاكرتي. وإلا، فربما تتلاشى التفاصيل.

يلمس تكاهاشي أذنه في إِشارة إلى استعداده للإصغاء.

تستهل ماري: «عندما كنت في روضة الأطفال، علقت أنا وإيري في مصعد البناية ذات مرة. أعتقد أنه كان ثمة زلزال. ظلّ المصعد يهتز هزاً عنيفاً من طابق إلى آخر قبل أن يتوقف تماماً. انقطع التيار الكهربائي، ووجدنا نفسينا في ظلام دامس. أعني دامساً، حيث لا تستطيع أن ترى كفك. لم يكن هناك أحد آخر داخل المصعد، أنا وهي فحسب. انتابني شعور بالهلع. تسمرت في مكاني تماماً. شعرتُ كما لو أنني أصبحت حفرية من الحفريات في تلك اللحظة وذلك المكان. لم يكن باستطاعتي أن أحرك أصبعاً. كنت بالكاد أستطيع أن أتنفس، ولم أكن أستطيع حتى أن أهمس. نادتني إيري، لكني لم أستطِع أن أجيبها. غشيتني حالة من التشوش كما لو أن عقلي قد أصابه الشلل وأن صوت إيري يصلني بصعوبة عبر ثقب».

تغمض ماري عينيها للحظة وهي تستحضر حالة الظلام في ذهنها.

تتابع سرد حكايتها. «لست أتذكر كم استمر ذلك الظلام. يبدو لي الآن أنه كان وقتاً طويلاً للغاية، ولكن في الحقيقة ربما لم يكن بهذا الطول. بالضبط كم دقيقة استغرقها - خمس دقائق أو عشرين دقيقة - ليس ذلك هو المهم حقاً. المهم هو أنه خلال ذلك الوقت كله، كانت إيري تعانقني في الظلام. لم يكن ذلك مجرد

احتضان عادي. كانت تضمني بشدة حتى خُيل إليّ أن جسدينا قد انصهرا معاً وأصبحا جسداً واحداً. لم ترخ قبضتها لثانية واحدة. كان يبدو وكأننا إن تباعدنا قيد أنملة، فلن يرى أي منا الآخر مرة أخرى في هذا العالم».

يتكئ تكاهاشي على بوابة التذاكر، دون أن يقول شيئاً، في انتظار أن يسمع بقيةِ حكاية ماري. تسحب ماري يدها اليمنى من جيب سترتها الشبابية وتحدق فيها لبعض الوقت. ثم ترفع وجهها، وتتابع كلامها:

«بالطبع، كانت إيري في حالة هلع شديد أيضاً، أنا متأكدة، بل وربما كان الهلع الذي انتابها لا يقلّ عن ذاك الذي أصابني. لا بد أنها كانت تريد أن تصرخ وتبكي. أقصد، أنها كانت في السنة الثانية من الروضة على أية حال. ولكنها ظلت هادئة. ربما قررت في الحال أنها ستكون قوية. وعزمت على أنها ستكون من أجلي الشقيقة الكبرى القوية. وظلت طول الوقت تهمس في أذني بعبارات من قبيل «سوف نكون على ما يرام. لا تخافي. أنا هنا معك، وسوف يأتي شخص ما ويساعدنا حالاً». كانت تبدو هادئة تماماً. مثل شخص بالغ، بل إنها حتى غنَّت لي بعض الأغاني، وإن كنت لا أذكر أي أغان كانت. كنت أود أن أغني معها، لكن لم أستطع. فقد كنت خائفة حتى إن صوتي لم يكن يطاوعني. أما إيري فقد ظلّت تغني لي طول الوقت بنفسها. تركت نفسي تماماً لذراعيها. أصبحنا نحن الاثنتين جسماً واحداً. لم يكن هناك فراغات تفصل بيننا، بل وحتى اشتركنا في نبضة قلب واحدة. ثم

فجأة عادت الأنوار، واهتز المصعد مرة أخرى، وبدأ يتحرك».

تصمت ماري لبرهة. تبدو وكأنها تراجع ذاكرتها وتفتش عن الكلمات.

«ولكن تلك كانت آخر مرة. تلك كانت . . . كيف لي أن أسمي ذلك؟ . . . اللحظة الوحيدة في حياتي التي استطعت الاقتراب فيها بشدة من إيري . . . اللحظة الوحيدة التي تلاحمنا معاً قلباً لقلب لنصبح جسداً واحداً: لم يكن هناك شيء يفصلنا. بعد ذلك، يبدو أننا تباعدنا أكثر وأكثر. انفصلنا، ومنذ فترة طويلة بدأنا نعيش في عالمين مختلفين. ذلك الإحساس بالاتحاد الذي شعرته في عتمة المصعد، وذلك الرباط القوي بين قلبينا، لم يعاودني أي منهما مرة ثانية. لست أدري أين الخلل، ولكننا لم نستطع قط أن نعود إلى النقطة التي بدأنا منها».

يمدّ تكاهاشي يده ليأخذ يد ماري. للحظة جفلت من ذلك، إلا أنها لم تسحب يدها من يده. يظل تكاهاشي واضعاً يده في لطف فوق يدها الصغيرة الناعمة لمدة طويلة للغاية.

ماري: «في حقيقة الأمر لا أود أن أذهب».

- إلى الصين؟

- نعم.

- ولماذا لا تودين ذلك؟

- لأنني خائفة.

- هذا أمر طبيعي جداً. فأنت ذاهبة إلى مكان غريب وناء وحدك.

- أعرف ذلك.

- لكنك ستكونين على ما يرام مع ذلك. فأنا أعرفك. وسوف أكون في انتظارك هنا.

تومئ ماري.

- أنت جميلة للغاية. هل تعرفين ذلك؟

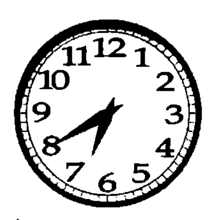
تشرئب ماري نحو تكاهاشي بعينيها، ثم تسحب يدها من يده وتضعها في جيب سترتها الشبابية. تنظر بعينيها نحو موضع قدميها حتى تتأكد من أن حذائها المطاطي ذي اللون الأصفر ما زال نظيفاً.

- أشكرك. ولكن عليّ أن أذهب إلى البيت الآن.

- سوف أكتب لك خطاباً طويلاً للغاية، مثلما هي الخطابات في الروايات القديمة.

ماري: «حسناً».

تجتاز بوابة التذاكر، وتمشي نحو الرصيف، ثم تتلاشى عندما تستقل القطار السريع الذي كان في الانتظار. يرقبها تكاهاشي وهي ذاهبة. سرعان ما تنطلق صافرة الإقلاع، وتغلق الأبواب ويغادر القطار الرصيف. عندما يفقد أثر القطار، يلتقط تكاهاشي حقيبة آلته من الأرض، ويعلقها في كتفه ثم يتجه صوب محطته وهو يُصفر بصوت هادئ. شيئاً فشيئاً يتزايد عدد الأشخاص الذين يدخلون إلى هذه المحطة.



الساعة 6:40 صباحاً

18

غرفة إيري أساي.

خارج النافذة، يبزغ النهار شيئاً فشيئاً. إيري أساي نائمة في سريرها. تبدو أسارير وجهها ورقدتها كما كانت عندما رأيناها آخر مرة. ثمة غطاء كثيف من النوم يلفها.

تدلف ماري إلى الغرفة. تفتح الباب في هدوء حتى لا تلفت انتباه أحد من أفراد الأسرة الآخرين، ثم تدخل، وتوصد الباب من خلفها بالهدوء ذاته. الصمت وبرودة الجو داخل الغرفة يجعلان ماري متوترة نوعاً ما. تقف قبالة الباب تُعاين محتويات غرفة شقيقتها بعناية فائقة. تحاول التأكد أولاً من أن هذه هي حقاً الغرفة كما كانت تعرفها دائماً - ومن أن شيئاً لم يتقلقل من مكانه، ومن أن شيئاً أو أحداً لا يكمن في إحدى زواياها. تدنو بعدئذٍ من السرير ثم تنظر إلى أسفل نحو شقيقتها المستغرقة في نوم عميق. تمدّ يدها وبرفق لتلمس جبين إيري، وبصوت هامس تناديها باسمها. ليس

هناك أدنى استجابة منها. كما هو حالها دائماً. تسحب ماري الكرسي الدوار من مكانه بجوار المكتب ثم تجلس. تنحني إلى الأمام وتنظر في وجه شقيقتها من كثب كما لو أنها تبحث عن معنى علامة خفية به.

تنقضي خمس دقائق. تنهض ماري واقفة، وتخلع قبعتها، وتمسِّد شعرها المتجعّد. ثم تخلع ساعة يدها وتضعها على مكتب شقيقتها. تخلع سترتها الشبابية، وكنزتها ذات القلنسوة، وكذلك قميصها المقلَّم المصنوع من الصوف، ولا تترك عليها سوى «تي-شيرت» أبيض. تخلع جوربها الرياضي السميك وبنطالها الجينز أزرق اللون، ثم تتمدد بهدوء في سرير شقيقتها. تدعُ جسمها يُعدِّل من وضعيته حتى يشمله الغطاء، وبعد ذلك تطوق بذراعها النحيف جسم شقيقتها المستلقية ووجهها إلى أعلى. تضع وجنتها بلطف فوق صدر شقيقتها وتظل كذلك، تتسمع، آملة أن تفهم كل نبضة من نبضات قلب شقيقتها. عيناها مغمضتان بلطف وهي تسمع. سريعاً، ومن دون أي إنذار، تذرف دموعاً من عينيها المغمضتين، دموعاً كبيرة وطبيعية تماماً. تنساب دموعها على وجنتيها حتى تبلل قميص نوم شقيقتها.

تجلس ماري في السرير وتبدأ في كفكفة دموعها التي تساقطت على وجنتيها بأطراف أصابعها. ينتابها شعور بأنها قد اقترفت عملاً لا يغتفر بأي حال بإزاء شيء ليس لديها أي فكرة ملموسة عن ماهيته، إنه عمل لا يمكنها التراجع عنه. غمرتها هذه المشاعر على نحو مباغت، وبلا أي صلة ملموسة لما سبق من أحداث، ولكنها

مشاعر غامرة. يتواصل انسياب دموعها. تتلقاها في راحتيها. تنزل كل دمعة دافئة وكأنها قطرة دماء، بسبب الحرارة الداخلية لجسمها. وفجأة، يخطر لماري: **كان بوسعي أن أكون في مكان آخر غير هذا. وإيري أيضا. كان بوسعها أن تكون في مكان غير هذا المكان.**

حتى تبث في نفسها الطمأنينة، تلقي ماري نظرة أخرى حول الغرفة، ثم مرة أخرى تنظر إلى أسفل نحو شقيقتها. تبدو إيري جميلة خلال نومها - جميلة حقاً. تكاد ماري تتمنى لو كان بوسعها أن تحفظ وجهها في صندوق زجاجي. تصادف أن غادرها الوعي وحسب في هذه اللحظة: ربما لجأ إلى مخبئ ما، ولكن لا بد أنه يتدفق بكل تأكيد في مكان ما بمنأى عن الأنظار، بعيداً جداً عن السطح، مثل عِرق مياه جوفية. بوسع ماري أن تسمع صداه. ترهف سمعها له. المكان الذي ينبعث منه ليس بذلك المكان البعيد للغاية. تشعر ماري بأن الوعي المتدفق من إيري يمتزج يقيناً بذلك الوعي المتدفق منها، فنحن شقيقتان، على أية حال.

تنحني ماري وتضع شفتيها لبرهة فوق فم إيري. ترفع رأسها وتنظر في وجه شقيقتها مرة أخرى. تسمح للوقت أن يمر عبر قلبها. تقبِّل إيري مرة أخرى، لكنها قبلة أطول وأكثر نعومة. تشعر ماري وكأنها تقبِّل نفسها. **ماري وإيري: اختلاف في مقطع صوتي واحد.** تبتسم. ثم وكأنها شعرت بالارتياح، تنكمش على نفسها لتنام بجانب شقيقتها الكبرى - حتى تكاد تلتصق بها، ويتشاطران في دفء جسديهما، ويتبادلان معاً علامات الحياة.

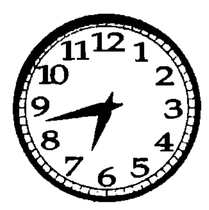
تهمس في أذن شقيقتها قائلة: «**عودي يا إيري. أرجوك أن تعودي**». تغمض عينيها وتسمح للقوة بمغادرة جسمها. مع إغماض عينيها، يأتيها النوم، فيحيط بها مثل موجة هائلة وهادئة آتية من عرض البحر. توقفت دموعها.

تزداد درجة السطوع خارج النافذة بسرعة هائلة. تنساب خيوط زاهية من الضوء إلى داخل الغرفة عبر فجوات الستارة. يفقد الزمان القديم فاعليته وينتقل إلى الخلفية. يظلّ كثير من الناس يتمتمون بكلمات قديمة، ولكن تحت ضوء الشمس الجديدة، تنتقل معاني الكلمات سريعاً وتتجدد. وحتى إذا افترضنا أن معظم المعاني الجديدة هي أشياء وقتية ستدوم حتى غروب شمس ذلك اليوم وحسب، فإننا سوف نقضي بعض الوقت ونتقدم إلى الأمام معها.

في إحدى زوايا الغرفة، تومض شاشة التلفاز للحظة. ربما يظهر الضوء على سطح كاثود الصورة. ربما يكون ثمة شيء قد بدأ يتحرك، ربما هي ارتعاشة صورة. هل يمكن أن تكون الدائرة بصدد استعادة الاتصال؟ نحبس أنفاسنا ونحن نرقب تقدمها. خلال الثانية التالية، رغم ذلك، لا تعرض الشاشة أي شيء. الشيء الوحيد هو الفراغ.

ربما يكون ما ظننا أننا رأيناه لم يكن سوى خداع بصري، مجرد انعكاس لتذبذب لحظي في الضوء المتدفق إلى داخل الغرفة عبر النافذة. ما زال الصمت يخيم على الغرفة، ولكن عمقه وثقله قد تضاءل وتراجع بوضوح. والآن تصل إلى آذاننا أصوات الطيور. لو كان بوسعنا أن نرهف حاسة السمع لدينا، لربما استطعنا أن

نسمع صوت الدراجات التي تسير في الشارع أو الأشخاص الذين يتحدثون إلى بعضهم بعضاً أو لنشرة الأحوال الجوية في المذياع، بل وربما استطعنا أن نسمع صوت الخبز وهو يُحمص. يغسل ضوء الصباح الساطع كل ركن من أركان العالم دون مقابل. هناك شقيقتان تنامان في هدوء، جسداهما متحدان في سرير واحد صغير. لا أحد سوانا على الأرجح يعرف ذلك.



الساعة 43 : 6 صباحاً

داخل متجر «سفن إليفن». ينحني موظف المبيعات في المتجر على ركبتيه في أحد الممرات فيما يمسك بيده قائمة مراجعة للبضائع ويُجري جرداً لها. تُعزف موسيقى هيب هوب يابانية. هذا هو الشاب نفسه الذي حصّل النقود من تكاهاشي عند خزينة الدفع. إنه شخص نحيف القوام، وشعره مصبوغ بالأحمر البني. يتثاءب على نحو متكرر بسبب الإرهاق الذي أصابه مع نهاية نوبة عمله الليلية. وفيما هو مندمج مع الموسيقى، يسمع رنة هاتف نقال. ينهض واقفاً وينظر حوله. ثم يفحص الممرات واحداً تلو الآخر. لا يوجد عملاء. إنه الشخص الوحيد الموجود في المتجر، ولكن الهاتف النقال يستمر في الرن على نحو عنيد. أمر غريب جداً.

يفتش كل أرجاء المتجر قبل أن يكتشف الهاتف أخيراً موضوعاً فوق أحد أرفف قسم الألبان.

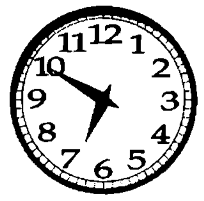
تُرى من الأحمق الذي ينسى هاتفه النقال في مكان مثل هذا؟ لا بد أنه شخص مجنون. بطرقعة لسان ونظرة اشمئزاز، يلتقط الجهاز المبرَّد، ويضغط على زر التحدث، ثم يضع الجهاز على أذنه.

يقول: «مرحباً».

يأتيه صوت رجولي خالٍ من أي تنغيم «ربما تظن أنك قد أفلتّ بفعلتك».

يصيح موظف المبيعات: «ماذا؟!»

- «ولكنك لن تستطيع الإفلات. يمكنك أن تهرب، ولكن لن تُفلت». يعقب ذلك صمت قصير وبليغ، ثم ينقطع الاتصال.



الساعة 6:50 صباحاً

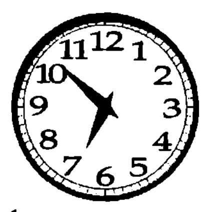
نسمح لأنفسنا بأن نصبح زاوية رؤية محايدة، نُحلِّق في الهواء فوق المدينة. ما نراه الآن هو مدينة عملاقة تستيقظ. تنطلق قطارات ركاب بشتى الألوان في جميع الاتجاهات، تُقل الأشخاص من مكان إلى آخر. إنّ كل مَن تقلّه من الركاب هو إنسان له وجه

مختلف وعقل مختلف، وفي الوقت ذاته، يمثل كل إنسان جزءاً مجهول الهوية من كيان جماعي. وكل منهم يعتبر كُلاً مكتفياً بذاته وجزءاً في الوقت نفسه. يتعاملون مع هذه الازدواجية الخاصة بهم بمهارة وعلى نحو مفيد، يؤدون طقوسهم الصباحية بمهارة ودقة: يغسلون أسنانهم، ويحلقون ذقونهم، ويربطون ربطات العنق، ويضعن أحمر الشفاه. يتابعون أخبار الصباح في التلفاز، ويتبادلون أطراف الكلام مع أسرهم، ويأكلون ويتغوطون.

مع بزوغ النهار، تتجمع الغربان فوق النفايات بحثاً عن الطعام. تلمع أجنحتها الزيتية السوداء تحت أشعة شمس الصباح. الازدواجية لا تمثِّل للغربان الأهمية ذاتها التي تمثلها للبشر. فالشاغل الوحيد فائق الأهمية لديها هو تأمينها لغذاء يكفي لإعالة الفرد. لم تُتم العربات جمع القمامة كلها. إنها مدينة عملاقة، على أية حال، وهي تنتج كميات هائلة من القمامة. تُطلق الغربان صرخات زاعقة وهي تحوم فوق مناطق المدينة ثم تنزل مثل قاذفات قنابل تدنو من هدفها حتى تصيبه.

تسكب الشمس الجديدة ضوءاً جديداً على شوارع المدينة. يتلألأ زجاج البنايات الشاهقة على نحو تزيغ مع الأبصار. لا يُرى في صفحة السماء أي أثر للغيوم، وإنما مجرد بقعة من الضباب والدخان التي تتدلى عبر الأفق. يأخذ القمر الهلال شكل عمود أبيض صامت، ورسالة مفقودة منذ زمن وتسبح في السماء الغربية. ثمة طائرة مروحية تتراقص في السماء مثل حشرة متوترة، وترسل صوراً عن الحالة المرورية إلى محطة الأخبار. السيارات التي

تحاول دخول المدينة بدأت تصطف بالفعل أمام أكشاك دفع رسوم سلوك الطريق السريع للمدينة. ما زالت هناك ظلال باردة تخيّم فوق الكثير من الشوارع المحشورة بين البنايات العالية. ما زالت معظم ذكريات الليلة الماضية كما هي لم تُمس.



الساعة 52 :6 صباحاً

تتحول زاوية رؤيتنا العلوية عن وسط المدينة وتنتقل إلى منطقة سكنية هادئة في ضواحيها. تصطف بالأسفل بيوت تتألف من طابقين ولكل منها باحة. تبدو البيوت جميعاً متشابهة كثيراً من أعلى- فالمداخيل متشابهة والأسر تتشابه في أعداد أفرادها. ثمة سيارة فولفو جديدة داكنة الزرقة تعكس أشعة شمس الصباح بفخر. يجري توصيل صحف الصباح طازجة. أشخاص يسيرون برفقة كلاب ضخمة. تنبعث من نوافذ المطابخ أصواتٍ إعداد الطعام. ينادي الناس بعضهم بعضاً. هنا، أيضاً، يبدأ يوم جديد تماماً. ربما يكون يوماً كبقية الأيام، أو قد يكون يوماً مميزاً من نواح عديدة على نحو يجعله يرسخ في الذاكرة. أياً كان الحال، حتى الآن، وبالنسبة إلى معظم الناس، فإنه ما زال صفحة بيضاء لم يُسَّطر بها شيء.

من بين البيوت المتشابهات جميعها نختار بيتاً ونهبط عليه مباشرة. نخترق الزجاج وستارة مفتوحة صفراء اللون لنافذة في الطابق الثاني، وندلف إلى داخل غرفة إيري أساي.

تنام ماري في السرير فيما تحتضن شقيقتها. باستطاعتنا أن نسمع صوت أنفاسها الهادئة. بحسب ما يتسنى لنا رؤيته، فإن نومها هادئ. يبدو أن حرارة جسمها قد ارتفعت: فقد أصبحت وجنتاها أكثر احمراراً من قبل. يغطي شعرها عينيها. هل يمكن أن تكون في حلم؟ أم أن أثر الابتسامة المرسومة على شفتيها هي من بقايا الذاكرة؟ شقَّت ماري طريقها خلال ساعات الظلام الطويلة، وتبادلت كلمات كثيرة مع أشخاص ينشطون ليلاً ممّن التقتهم هناك قبل أن تعود إلى حيث تنتمي. وحتى الآن، على الأقل، ليس هناك شيء بالقرب منها يهددها. فعلى مدى تسع عشرة سنة يحميها سقف وجدران، كما تحميها أيضاً مروج خضراء محاطة بأسوار مزودة بأجهزة إنذار ضد السرقة وعربات صُقلت بالشمع مؤخراً، وكلاب ضخمة ذكية تجوس خلال المنطقة. تُدثرها شمس الصباح المشرقة بلطف وتبث بها الدفء. تضع ماري يدها اليسرى على مؤخرة شعر شقيقتها المنسدل على الوسادة، فيما تبسط أصابعها بهدوء على شكل قوس طبيعي.

بالنسبة إلى إيري، لا نلحظ أي تغيير عليها سواء في وضعيتها أو تعبيرات وجهها. تبدو غير واعية تماماً بأن شقيقتها الصغرى تتمدد في السرير وتنام بجوارها.

وأخيراً، يتحرك فم إيري الصغير حركة طفيفة، كما لو كان

ذلك استجابة لشيء ما. ثمة ارتعاشة سريعة تعتري شفتيها ولكنها لا تدوم إلا للحظة، ربما لعُشر ثانية. وبالرغم من زاوية الرؤية المضبوطة بدقة التي نتخذها، فإننا لا نستطيع أن نتجاهل هذه الحركة. تسجل أعيننا هذه الإشارة الجسدية المؤقتة. ربما تكون الارتعاشة تسريعاً طفيفاً لشيء قادم. أو ربما تكون مجرد أثر طفيف لتسريع طفيف. أياً كان ذلك، فإن ثمة شيء يحاول أن يرسل علامة إلى هذا الجانب من خلال فتحة صغيرة في وعيها. يأتينا هذا الانطباع بكل يقين.

دون أن تعوقها الأشياء الأخرى، تستغرق علامات الأشياء القادمة وقتاً حتى تكبر في ضوء الصباح الجديد، فيما نحاول نحن أن نرصدها بتركيز عميق دون أن يلحظنا أحد. وأخيراً بدأ الليل ينجلي. سوف ينقضي وقت حتى يحلّ الظلام التالي.

هاروكي موراكامي

ما بعد الظلام

في روايته **ما بعد الظلام**، وهي الثانية عشرة له ضمن أعماله الروائية، يدعوك موراكامي لأن تَصحبه خلال ليلة مؤرَّقة في طوكيو. تتواصل أحداث الرواية على مدار سبع ساعات خلال إحدى ليالي العاصمة، وتتزامن فيها ثلاث قصص مختلفة، بيد أنه تجمعها المصادفات الغريبة والواقعية السحرية التي يتميز بها أسلوب موراكامي، ما يجعلك تدرك كيف أن هؤلاء «الأشخاص الليليين» مسكونون بأسرار واحتياجات تُوحدهم على نحو يفوق ما يفرقهم من ظروف متباينة.

هذه الرواية لا تخرج عن الطابع الذي عُرف به هاروكي موراكامي؛ إذ يتناول موضوعات الوحدة والاغتراب والتوق للتواصل الإنساني عبر شخصياتٍ رسمها بعناية وإحالات غربية وتقلبات القدر التي يقدمها موراكامي في إطار من الواقعية السحرية.

❖❖❖

«لا يمكنك بحال أن تضع جانباً هذه الرواية الرائعة بما تنطوي عليه من جاذبية آسرة واستراق للنظر».

(بروفيدنس جورنال)

«**ما بعد الظلام** هي رواية يختلط فيها الألم بالمتعة، وتُرضي أصعب الأذواق الأدبية... إن رواية موراكامي هذه تذكرنا بأن العالم مترامي الأطراف، وأن أساطيره عابرة... وأنه بينما نخلد للنوم، فإن ثمة عالَماً آخر لا يفتأ يتحرك بطرقه الغامضة وغير المتوقعة».

(سان فرانسيسكو كرونيكل)

«ما زالت روح الدعابة لدى موراكامي وإحالاته إلى الثقافة الغربية حاضرة في أعماله، وكذلك ما يثيره من تساؤلات جوهرية حول واقع الإنسان... يا ليت نيتشه وسارتر قد غلّفا تساؤلاتهما حول لاجدوى الوجود بغلاف من الفكاهة».

(إسكواير)



الدار البيضاء: ص. ب. 4006 (سيدنا)
بيروت: ص. ب. 113/5158
markaz.casablanca@gmail.com
cca_casa_bey@yahoo.com

